الثقافة النفسية المتخصصة

العدد 85. المجلد الثاني والعشرون. كانون الثاني/ يناير 2011

ملف العدد

التحليل النفسي للرئيس جورج ووكر بوش

جماعة من الباحثين

- قضية العدد: العملاق الأعمى، والكسيح المبصر
- مقابلة العدد: مع عالم الاجتماع فولفغانغ سوفسكي حول عنف الحضارة!
- علم النفس السياسي: مصر يناير 2041
- علم النفس الأمني: أساليب الارتقاء بالإعلام الأمني
- علم نفس الأعماق: الأستاذ فرويد والتلميذ كارل غوستاف يونغ
- شخصية العدد: الدكتور حسين بن دحمان
- مكتبة العدد: الشباب الخليجي والمستقبل: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية. المحرومون في العراق: دراسة في سيكولوجية الظلم. ثورة الكرامة المصرية... قراءة سيكولوجية

مركز الدراسات النفسية والنفسية ـ الجسدية

Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

طرابلس ـ لبنان- شارع عزمي ـ بناية قاديشا ص.ب 3062 ـ التل

تلفون: 961-6-441805

فاكس: 961-6-438925

E.mail: ceps50@hotmail.com

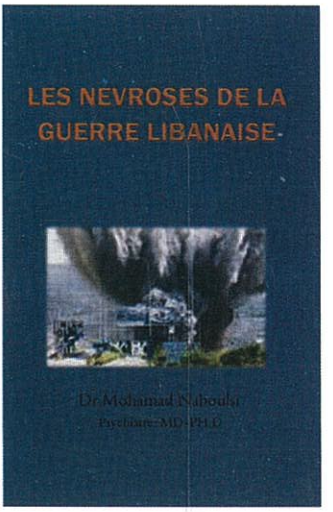

"Mais que vient-il donc faire dans cette galère ?"

Cette paraphase de Gérondе, dans les "Fourberies de Scapin" pourrait bien illustrer mes propos. Loin de me perdre dans des données historiques, politiques ou théoriques, je consacre cette étude à l'élucidation de la catastrophe libanaise, du point de vue psychiatrique.

Cette catastrophe, aux effets traumatisants, est devenue quotidienne dans la vie du Libanais. L'histoire de cette guerre est jalonnée de situations catastrophales quand elle n'est est pas elle même une.

Dans cette cours folle, le rôle du psychiatre qui cherche à faire une distinction entre le domaine quantitatif et le domaine qualitatif des troubles, semble bien difficile. Ne pouvant accomplir ce rôle, le psychiatre doit alors étudier les nuances des aspects psycho-socio-somatiques, car je suis parti de la définition suivante de la psychiatrie :

"La psychiatrie ne se limite pas au seul rôle curatif mais elle le dépasse pour jouer un rôle dans l'organisation de la défense et promovation de la santé mentale".

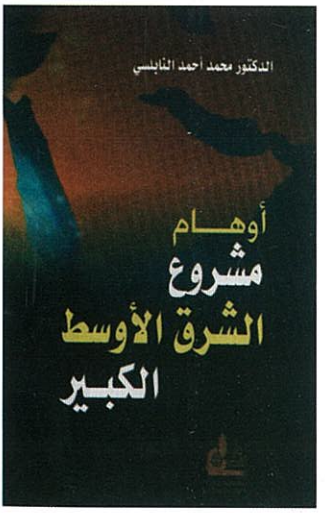

ما حدود الشرق الأوسط؟

أين يبدأ، وأين ينتهي؟

لماذا هذا السعي الغربي المستميت لنشر الإصلاح الاقتصادي والسياسي، والديمقراطية، والحكم الصالح، وحقوق الإنسان، وتمكين المرأة، ونشر حرية وسائل الإعلام، في هذه المنطقة؟

وهل حقاً مشروع الشرق الأوسط الكبير يحمل كل هذه القيم النبيلة ليقدمها للعالم العربي والشرق أوسطي هدية مجانية؟

هل استشيرت شعوب تلك المنطقة بهذه الخيارات ووافقت عليها؟

أم أنّ وراء الأكمة ما وراءها؛ فهناك أطماع سياسية وعسكرية واقتصادية مخبأة خلف هذا المشروع!

هذا الكتاب يوضح المخبوء خلف هذا المشروع من أهداف استراتيجية ومرحلية مباشرة.

والمؤلف مفكر استراتيجي معروف بدراساته السياسية والنفسية.

مركز الدراسات النفسية والنفسجسمية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S
طرابلس، لبنان شارع عزمي، بناية قاديشا ص.ب 3026، التل
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925
E.mail; ceo50@hotmail.com

مركز الدراسات النفسية والنفسية - الجسدية
Center d'Etudes Psychiques et Psycho Somatique C.E.P.S

الثقافة النفسية المتنمية

رئيس التحرير
محمد أحمد النابلسي

INTERDISCIPLINAR PSYCHOLOGY
Editor in chief: Naboulsi.M (M.D.PH.D)

PSYCHOLOGIE INTERDISCIPLINAIRE
Chef Editeur: Naboulsi M. (M.D. ph D.)

إن الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر كتابها، وهي لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

يرجى مراجعة شروط النشر المنشورة في صفحة مستقلة.

تعطى أفضلية النشر وفق خطة التحرير وبحسب المحاور المحددة مسبقاً.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على عنوان المركز المبين أدناه.

طرابلس لبنان شارع عزمي بناية قاديشا
P.O .BOX: 3026 - Tal
تلفون: 961-6-441805
فاكس: 961-6-438925

E-mail: ceps50@hotmail.com

سكرتاريا التحرير

حسن الصديق عبد القادر الأسمر

هيئة التحرير

روز ماري شاهين سلمى المصري دملج

سامر رضوان جليل شكور

الهيئة الاستشارية

أحمد عبد الخالق جامعة الكويت. كلية الاداب.
احمد أبو العزايم رئيس الاتحاد العالمي للصحة النفسية.
انور الجرابة مستشفى الهادي شاكر للطب النفسي.
بشير الرشيدي رئيس مجلس أمناء مكتب الإنماء الاجتماعي.
جمال التركي استشاري الطب النفسي / بريطانيا.
جيمي بيشاي مشفى المحاربين القدماء / الولايات المتحدة.
على وطفة كلية التربية. جامعة دمشق.
صفاء الأعسر مركز دراسات الطفولة / عين
طلعت منصور جامعة عين شمس / كلية التربية.
عادل الأشول جامعة الكويت / كلية التربية.
قتيبة شلبي الولايات المتحدة.
زايد الحارثي جامعة أم القرى / السعودية.
عبد الستار إبراهيم جامعة الملك فهد / الظهران.
عبد الفتاح دويدار جامعة الإسكندرية.
عبد العزيز الشخص جامعة عين شمس / كلية التربية.
عبد الرزاق الحمد جامعة الملك سعود / كلية الطب.
عبد المجيد الخليدي جامعة عدن / كلية الطب.
عدنان التكريتي رئيس تحرير المجلة العربية للطب النفسي.
علي زيعور الجامعة اللبنانية / كلية الأداب.
فاروق السنديوني جامعة واغا واغا / أستراليا.
فرج عبد القادر طه عضو المجمع العلمي المصري.
فيصل الزراد مستشفى الطب النفسي / أبو ظبي.
قدري حنفي قسم الدراسات الإنسانية / عين شمس.
محمد الطيب عميد كلية التربية / جامعة طنطا.

قيمة الاشتراك السنوي

الأفراد ٤٠ دولاراً أميركياً للمؤسسات ١٠٠ دولار أميركي ثمن النسخة عشرة دولارات أميركية، أو ما يعادلها - الاشتراك الشامل للمجلة وإصدارات المركز كافة ١٥٠ دولاراً أميركياً

شروط العضوية

منذ مطلع العام 1990، ومع صدور العدد الأول من الثقافة النفسية المتخصصة، والمركز يعمل على إرساء خطاب نفسي عربي جامع، يترجم أهداف خدمة الاختصاص في الدولة العربية. وعلى هذا الطريق عقد المركز ثلاثة مؤتمرات عربية جامعة مع انتظام صدور دوريته الثقافية النفسية المتخصصة، حتى توصل المركز إلى كسب ثقة زملاء من كافة أنحاء العالم العربي، فأصبح أعضاؤه موزعين على الدول العربية. هذا ويسعى المركز إلى توسيع دائرة التواصل بين الاختصاصيين عبر المجلة، والمشاريع التوثيقية التي يتبناها، ومنها مشروع الصفحة المعلوماتية العربية على شبكة الإنترنيت.

يتوجب على طالب العضوية استيفاء الشروط التالية:

1- أن يكون متخصصاً في أحد فروع العلوم النفسية. ويحدد نوع العضوية بناء على المؤهلات، إذ يعتبر عضواً متمرناً المنتسب الحائز على الليسانس. عضواً منتسباً الحائز على الماجستير، وعضواً مؤهلاً من كان حائزاً على الدكتوراه، أو على التخصص في الطب النفسي، أو الطبيب الباحث في ميدان السيكوسوماتيك. كما يعتبر عضواً عاملاً الاختصاصي المشارك في النشاطات الأساسية للمركز. وتمنح عضوية شرف المركز للمشتركين مدى الحياة في المجلة، كداعمين لاستمراريتها. وكذلك لأصحاب الإسهامات المميزة الداعمة للمركز.

2- أن يرسل سيرته العلمية المفصلة مع صور الوثائق، والسماح بإدراجها في الصفحة العربية للعلوم النفسية، وفي صفحة المركز التي ستضم أسماء أعضائه وسيرهم العلمية.

3- الالتزام بالدعوة لتكييف مبادئ الاختصاص، بما يلائم البيئة الثقافية العربية.

4- أن يشارك في نشاطات المركز ضمن إطارات اهتمامه.

5- أن يشترك في مجلة المركز الثقافية النفسية المتخصصة. حيث يعتبر هذا الاشتراك هو رسم الاشتراك في عضوية المركز. وتتوزع أنواع الاشتراك كمايلي:

- اشتراك عادي 40 دولار سنوياً (يحصل على أعداد المجلة).
- اشتراك شامل 100 دولار سنوياً (يحصل على كافة إصدارات المركز عن سنة الاشتراك من كتب ونشرات وغيرها).
- اشتراك مدى الحياة 500 دولار.

للاشتراك يرسل طلب الاشتراك مبيناً فيه بوضوح: الاسم والعنوان، والمستوى الأكاديمي، ومكان العمل، وفئة العضوية المطابقة. ويرسل الاشتراك بموجب حوالة باسم رئيس التحرير د. محمد أحمد النابلسي على الحساب التالي: المصرف: الشركة العامة اللبنانية، الأوروبية المصرفية ش.م.ل/ فرع طرابلس رقم الحساب:

(1- 01- 330384- 360-001- 010).

صاحب الحساب: محمد أحمد النابلسي

قسيمة الاشتراك

الاسم:

التخصص:

التخصص الدقيق:

مكان العمل:

نوعية الاشتراك وقيمته:

العنوان (بما فيه أرقام الهاتف والفاكس والبريد العادي والالكتروني)

قواعد نشر البحوث

في مجلة الثقافة النفسية المتخصصة

تعمل مجلة الثقافة النفسية المتخصصة على تقديم أفضل مستوى ممكن من الإحاطة بمستجدات الاختصاص في كافة فروع العلوم النفسية، محاولة بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين، خصوصاً بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال إطلاع القارئ على اتجاهات البحوث العالمية، وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث، وعبر بعض الترجمات المفيدة. أما بالنسبة للبحوث العربية، فإن المجلة تسعى لتقديم فرصة عرض الدراسات والبحوث الرصينة والمسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

وصفحات هذه المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب، وهي ترحب بمساهماتهم الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة الاستشارية وهيئة التحرير على الشكل التالي:

قواعد عامة

1- الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.
2- أن يكون البحث مطبوعاً ومراجعاً من قبل كاتبه.
3- أن لا يكون البحث قد سبق نشره أو عرضه.
4- أن يقدم الباحث إقراراً بعدم إرساله إلى جهة أخرى.
5- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 صفحة.
6- كتابة العناوين الرئيسية وسط السطر، والعناوين الفرعية على الجانب الأيمن.
7- إرسال نسخة واحدة من البحث مع الديسك.
8- السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتّاب الذين لم يسبق لهم النشر في المجلة.

قواعد خاصة

1- كتابة عنوان البحث، واسم الباحث ولقبه العلمي، والجهة التي يعمل لديها على صفحة الغلاف.
2- يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي:
3- تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين متبوعة بسنة النشر بين قوسين، ثم بعنوان المصدر، ثم مكان النشر، ثم اسم الناشر.
4- تخضع الأعمال المعروضة للنشر للتحكيم العلمي السري، وفقاً للنظام المعتمد في المجلة، ويبلغ الباحث في حال وجود اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.
5- توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس التحرير.
6- الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كتابها ووجهات نظرهم.
7- تلتزم المجلة بإبلاغ الباحث عن قرار النشر، وهي لا تعيد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.
8- لا تدفع المجلة مكافآت مالية عن البحوث التي تنشرها.

المحتويات

عـزيزي القـارئ 7

قضية العـدد: 9

العمـلاق الأعمـى، والكسيح المبصـر/ د. خليل فاضل

علم النفس حول العالم: 13

إعداد: نشأت صبوح ورمزية نعمان وسناء شطح

مقابلة العـدد : 25

مع عالم الاجتماع فولفغانغ سوفسكي حول عنف الحضارة!

ترجمة: د. سامر رضوان

علم النفس السياسي: 31

مصـر يناير 2041/ أ.د. قدري حفني

علم النفس الأمني: 35

أسـاليب الارتقـاء بالإعلام الأمني/ أ.د. محمد أحمد النابلسي

علم نفس الأعماق: 51

الأستاذ فرويد والتلميذ كارل غوستاف يونغ

المدارس النفسية 61

علم النفس الإنساني. 61

علم النفس الوجودي 71

الندوات والمؤتمرات 73

شخصية العـدد: 91

الدكتور حسين بن دحمان/ السيرة الذاتية

مكتبة العـدد: 115

الشباب الخليجي والمستقبل: دراسة تحليلية نفسية إجتماعية. . . . 115

المحرومون في العراق: دراسة في سيكولوجية الظلم 120

ثورة الكرامة المصرية... قراءة سيكولوجية 121

ملف العـدد 125

التحليل النفسي للرئيس جورج ووكر بوش

جماعة من الباحثين

إصدارات مركز الدراسات النفسية

طرابلس – لبنان ص. ب: 3062 التل
فاكس: 438925 - 6 - 00961
هاتف: 441805 - 6 - 00961

1- المعجم النفيس
مصطلحات طبية ونفسية وعصبية
ذياب والجراية وعمار (40 دولاراً أميركياً)

2- سيكولوجية السياسية الإسرائيلية – النفس المغلولة
إصدار 2001 (10 دولارات أميركية)

3- الصدمة النفسية – علم نفس الحروب والكوارث (6 دولارات أميركية)

4- سيكولوجية السياسة العربية – العرب والمستقبليات
إصدار 1999 (10 دولارات أميركية)

5- معجم مصطلحات الطب النفسي (10 دولارات أميركية)

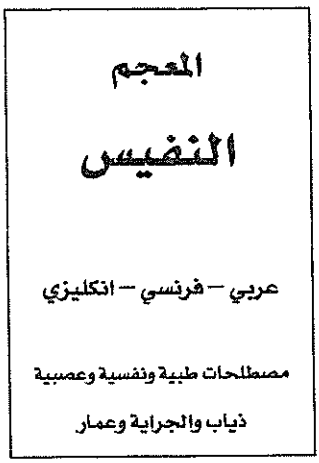

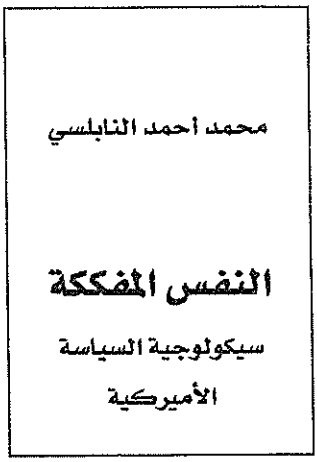

عزيزي القارئ

حملت بداية هذا العام أنباء غير متوقعة في وداع العام المنصرم، الذي دعانا لترقب تصعيد خطير في لبنان، تليه تداعيات شرق أوسطية. ومع بقاء هذا الترقب، حمل العام الجديد بشائر حراك شعبي يتحدى الجمود السياسي المهيمن على الساحة العربية منذ فترة بحجة الترقب وتجنب المآزق والمغامرات، مع دفع أقساط التكيف باهظة التكاليف، حيث استقبلنا هذا العام بحراك عربي شعبي مبشر للمرة الأولى منذ انتخاب العرب والمسلمين أعداءً للحضارة الغربية، دون النظر إلى عوامل التكافؤ التي تحولنا إلى مجرد ضحايا في غياب هذه العوامل. فكانت اهتزازات الأمن الاجتماعي في معظم الدول العربية مصحوبة بملامح عودة الاستعمار، وممارسة القوة العسكرية التي لم تسمح بعد بإعلان رسمي عن تعداد الضحايا المحليين نتيجة الحرب الأميركية على العراق.

لقد تأخر صدور هذا العدد، والسبب يعود لما ذكرناه أعلاه. وسبق أن تأخر صدور بعض أعداد المجلة لتصدر أحياناً على شكل عدد مزدوج. وهذه الأسباب تعود إلى رغبة أسرة التحرير بمواكبة الواقع العربي المعيش بقدر ما تسمح به الإمكانيات. لقد جاءت ثورة تونس بعبق الياسمين التونسي، لتليها ثورة مصرية نجحت بدورها، ولتقدم الثورتان نماذج حضارية مطورة عن الثورات الشعبية التقليدية ومجارية لأجواء تطور أهمية الأفراد وحقوقهم ومستقبلهم.

ومع استبعاد التحركات اللاحقة للثورتين، بسبب الدموية، أو التهديد بها، فإنهما رسختا ارتباط مفهوم الأمن بكافة وجوه النشاط الإنساني. وبالتالي علاقته الوثيقة بالسيكولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية، وكافة علوم الإنسان. وهو ما يتطلب بعد تجربة تونس العمل على ترسيخ العلاقة بين الإعلام الجديد وبين هذه العلوم ومعارفها، كشرط رئيسي لتوجيه الإعلام الرقمي عبر المعرفة ومبادئ العلوم، وليس عبر الأوامر الأمنية العسكرية، بل إن مثل هذه العلاقة من شأنها أن تقدم فرصة الفهم الأعمق لحركة المجتمع، كما تقدم الحصانة من الاختراقات الفيروسية - السياسية المحتملة لإساءة توظيف وتوجيه هذه الحركات المبدعة في تقنيات وأسلوب تقديمها للحلول دون الوقوع ضحية التحريض الممل غير معروف النهاية والمستهلك لقدرات المواطنين وللإمكانيات الموضوعية للمجتمعات.

هنا تبرز أولى الفروق البنيوية بين ما حدث ويحدث في لبنان من تسابق تحريضي غير محدد الأهداف تديره جهات إقليمية ودولية تتجاهل قدرات المجتمع اللبناني، وتشطره إلى شطرين يتواجهان دون تحديد أفق زمني لهذه المواجهة. إذ يمكن للمحكمة الدولية أن تمتد لـ 25 سنة قادمة، وهي الفترة التي استغرقتها المحكمة الدولية في المسألة الكمبودية.

في المقابل، فإن ثورة تونس، ومصر من بعدها، لم تعتمد التحريض، وأكدت سلميتها بشعار "سلمية... سلمية"، عداك عن أنها لم تستهلك المجتمع والأفراد، وتزيد أعباءهم. والأهم أنها جمعت الجمهور، ولم تفككه وتشطره وتضع فئاته في مواجهة بعضها بعضاً بتحكيم دولي.

زملاء كثر نقلوا لنا العتب لعدم إدلائنا بدلونا في هاتين الظاهرتين، رغم دعواتنا المتكررة لتوظيف الاختصاص في خدمة المجتمع العربي ومعايشة معاناته الفردية والجماعية. وجوابنا هو التذكير بأن الطب النفسي والسيكولوجيا عامة لا تؤمن بالمبدأ الروماني القائل بضرورة التكيف مع الوقائع بأي ثمن، وهو فخ وقع فيه بعض الزملاء، فقدموا قراءات عاطفية، ومراجعات وجدانية، اخترنا نماذج منها في هذا العدد.

ولعلك عزيزي القارئ تحفظ سرنا لو اعترفنا لك أننا امتنعنا لأننا غير محايدين في كلتا الحالتين التونسية والمصرية، كوننا نعرف عن قرب إمكانيات الشعبين وحاجتهما الملحة لإطلاق قدراتهما بعيداً عن فرض موانع الفكر السياسي التقليدي وعجزه عن مقاومة فيروسات الفساد على حساب حاجات مجتمعه وأفراده.

وفي انتظار تخطي عوائق المشاركة في دراسة هذه الظواهر الاجتماعية والنفسية الجماعية، وتوافر المعلومات اللازمة حولها، نقول إن هؤلاء الشباب تمكنوا من تقديم أمثلة عن قدراتهم وإبداعاتهم جلبت لهم الإعجاب العربي والعالمي. والأهم أنها أعادت الإعتبار لكرامتهم الوطنية بعد أن شوهتها سياسة الاحتفاظ بالحكم، مهما كانت التنازلات، ومهما تناقضت مع رأي الشارع الشعبي، بل حتى مع حاجاته الحياتية الملحة.

على أمل توافر القراءات والدراسات العلمية حول الثورتين لأعدادنا القادمة، وعلى أمل أن لا تشهد مجتمعاتنا نسخاً مشوهة عن هذه الثورات تسيء لمنجزات الشباب في كل من تونس ومصر، داعين للتفريق بين هذا النموذج والنموذج اللبناني التحريضي التفككي، الذي يستنسخ في البحرين، مثالاً، بما يقتضي التبرؤ التونسي المصري منه، ومن سائر النماذج التحريضية تحت ستار استنساخ الثورتين.....

أسرة التحرير

العملاق الأعمى، والكسيح المبصر

بقلم د. خليل فاضل
www.drfadel.net
kmfadel@gmail.com

يحكى أن نظاماً عملاقاً له أسلحته، من داخلية فاسدة، وأمن دولة لا يخدم الدولة، وإعلام كاذب، ومظهر ضخم فخم في العالم، موتوسيكلات وعربات لاسلكي، صفير ونفير، وحزب ليس بحزب أعضاؤه أصحاب مصلحة، أو خائفون من عدم الانضمام له. سلطة وجاه وفلوس وعقارات هيصة وشنّة ورنّة. عملاق بمعنى الكلمة، تخضك هيئته الفجّة ودمامته الواضحة. مُخوّخ وبهتان وعفن الرائحة.. تَبدّى لي آخر ما تبدّى عندما أقام عيد شرطته الهارية قبل الثورة بيومين، لما قام العادلي المخاطي النظرة، الساهي الداهي الهيئة، كالثعبان القذر، كالسحلية الغبية، يفخُّ وهو يقرأ كلمته؛ كانت لغة جسده، صوته، تردّده، لونه بلا لون، نظرته الخبيثة كالقوارض المنتظرة في جحورها.

كان العملاق يتخبط رغم سطوته وفلوسه وناسه وإعلامه وإمكانياته وإفساده.

كان نتناً كفأر سيئ السمعة، يحاول أن يكذب فصدقه بعض الناس، فأر عملاق منفوخ هواء مسمم، قاعد جوّه بكابورت مفتوح غطاه سنّه، تشُم الناس رائحته، ليس كلها، يخرج برأسه قليلاً وهو ملوث بالرائحة والخراء، تعمى عيناه فضلات النظام الذي يحميه، يرصد الثورة والثوار، ويحضر لهم الرصاص والأمن المركزي والقنابل بكل أنواعها، ثم ينزل مرة أخرى إلى البحر الوسخ يهز ذيله ويشرب من ماء المجاري، ناشراً كل الأوبئة. هذا العملاق (الفأر) يسير في الشوارع والحارات والأزقة والدروب متخبطاً في الجدران،

لا يرى تخبطه، ويظن الناس أنه قوي، ويظنون أنه يعرف سكّته، لكنه كان يدرك بأنه

سيتوه، عند لحظة التوهان تلك أدرك المارد الجسد الفأر النفس، أنه لازم ولابد أن ينزل إلى الميدان، لأنه أعمى القلب والعقل، عقيم النفس والوجدان، قرر الاستعانة بمُبصر كان كسيحاً، سأل العملاق الجسد الفأر النفس الكسيح المُبصر عن الطريق من وإلى ميدان التحرير.. داخله وخارجه، من وإلى الوطن، مفتاح السجن، خزنة الرصاص، خزنة الفلوس، ضحك المبصر الكسيح في خبث ودهاء وقال (بُص يا عم لا تسألني ولا أسالك، انت أعمى وضخم وفخم، وأنا كسيح وقزم لكن باشوف، شيلني فوق كتافك وأنا أبقى بوصلة اتجاهك أرشدك وأقولك)..؟؟

زمجر المارد الأعمى انقزم النفس، وقال هو أنت حتى مش عارف شوارع البلد ولا شكلها؟ المهم ماعنديش حل إلا ده. ظل القزم الكسيح المبصر على كتفي العملاق الجسد القزم النفس، ده يقول له من هنا، وده يقول له من هناك، يخبطوا في بلكونة، يدهسوا عيل صغير، يموتوا شاب عاري الصدر، حتى أنهكتهم المحاولات وأعيتهم الحيل.

في المقابل، كان الناس في الميدان عفويين، يعتمدون إلى حد كبير على الحدس والفهم، لا على الفهلوة والكذب، كانوا غير متأكدين إلى أين سيجرى النهر، لكن يعرفون بفطرتهم أنه سيروي الأرض، وسيزهر الشهداء، كانت القدرة على الاستنهاض داخل القدر المكتوم البخار يغلي، فيطرد غطاء الإناء إلى الهواء، ليرتفع إلى عنان السماء، ويسقط على الأرض دماء شهداء، رصاصاً مطاطياً، شظايا، قنابل غاز مختلفة الصنع والفاعلية، خوذات جنود، عربات غشيمة لا ترى ولا تدري، تترنح فتقتل وتميت وتدوس على الناس.

وعندما شُجت رأس المارد الأعمى ألقى بالمبصر الكسيح على الأرض خارج الحلبة، ظل يترنح ويلطش بيديه شمالاً ويميناً.

ثمة توجسٌ، وثمة إحساسٌ بالفخر، وإحساس بالنصر، وشعورٌ غامر بالثورة، وبلذة الحرية.

بدأ المارد الأعمى في توتره وفي غليانه، وفي عنفوان الذليل، صار كالثور في الحلبة بعدما أدماه الفارس، لكنه لم يجهز عليه من بعد، كان مُثخناً بجراحه، يصرخ ويتنازل، يسقط جزءاً من ثيابه النتنة المضمخة بزائحة البكابورت، فيقدم تنازلاً تلو الآخر.. مرة تعيين نائب الرئيس، ومرة تغيير وجوه عفنة بأخرى كالحة، وأخرى بوعود تبدأ بحرف الهاء (هاعمل كذا وكذا)، ولا من مجيب، يجيب اللصوص في الليلة الدهماء، وتصرخ النسوة، ويعلو صوت الأطفال.

جاء العملاق الأعمى الجريح يترنح، تساعده إبل قريش، ويغال الوطني، بدأ يضرب ويشيع

قولاً كاذباً مفضوحاً، وكلما عرَّت راقصته الاستربتيز جزءاً من جسدها، يظهر قبحها أكثر، لدرجة لم يعد الثوار في حاجة لرؤية عورتها.. عهد مبارك انتهى، ماردة الأعمى الضخم الكريه الرائحة يُحاكم، قزمه الكسيح مفضوح.. وبعد أيام من الثورة، ما زال يرقد المارد والحاكم خلف الدبابات، يهطل المطر، وتذرو الرياح حبوب اللقاح في الهواء، يعلو الغناء والتغريد وتفيض البهجة.

أيها الحاكم، أيها المارد، أيها الخونة، لا نريد أن نشم رائحتكم، ولا نريد أن نرى وجوهكم العكرة، ولا نريد أن نسمع أصواتكم النشاز، ولا نود أن نشاهد عورتكم، فلقد رآها العالم مصورة على كل الشاشات.. بقي أن تطلق المدفعية قذائف النصر.. بقي أن تنسحب الدبابات والمدرعات، وتعود قوات جيشنا المهذبة الباسلة إلى ثكناتها... بقي أن ترسل قادتها لتتصدر الجنازة.

مصر كالذهب الخام، أخضر اللون بلون قلوب أمهات الشهداء، بلون المزارع، تَجلوه المعاناة؛ فيفيض نوراً متوهجاً أصفر بلون الشمس لنغني جميعا مع فيروز:

مصر عادت شمسُك الذهب

إن القراءة النفسية للحرب على العراق هي مهمة ملقاة على عاتق فروع اختصاصية متداخلة. وهي ستشغل العاملين في هذه الفروع على مدى سنوات قادمة. وعليه فإن ما نقدمه في هذه الدراسة ليس سوى مقدمة لقراءات نفسية لاحقة تنتظر ظهور معلومات جديدة عن خلفيات هذه الحرب وأسرارها وصفقاتها الخفية.

محمد أحمد النابلسي

الحرب النفسية في العراق

متابعة للجوانب النفسية في الحرب الأميركية على العراق

علم النفس حول العالم

إعداد: نشأت صبوح، ورمزية نعمان، وسناء شطح.

تداعيات الخيانة الزوجية نفسيا كالسرطان

تؤدي الخيانة لدى بعضهم إلى عوارض نفسية مشابهة تماماً لعوارض مرض السرطان.

نبهت رئيسة قسم الأمراض النفسية في المشفى الجامعي في براغ، الدكتورة لاورا ياناتشكوفا، إلى أن الناس الذين يتعرضون للخيانة الزوجية يعانون بشكل مشابه لما يشعر به الناس الذين تظهر لديهم الأمراض السرطانية، أي الشعور بالأسف الشديد، وخيبة الأمل، والشعور بالإهانة والألم والخوف، لأن أحلامهم وخططهم تنهار، ويتوقفون بشكل مفاجئ عن معرفة كيفية مواجهة أعباء الحياة لوحدهم.

وأضافت بأنها اهتمت لفترة طويلة بتقديم المساعدات النفسية للناس الذين أبلغوا بوجود أمراض سرطانية لديهم، وأنها لاحظت وجود تشابه كبير بين معاناة هؤلاء المرضى والناس الذين تعرضوا للخيانة الزوجية. وأوضحت أن الناس في الأغلب لا يكونون جاهزين نفسياً لمواجهة التغييرات الحياتية الصعبة التي تظهر أمامهم من خلال الإصابة بالأمراض السرطانية، أو التعرض للخيانة الزوجية، لأن هذه الأمور تصيب حياتهم في الصميم.

وأكدت أن تأثيرات الكشف عن الخيانة الزوجية تمثل زلزالاً نفسياً بالنسبة للشخص الذي ارتكبت الخيانة بحقه، أي للرجل، أو المرأة، على حد سواء، وأن من مظاهر ذلك حدوث تغيرات حادة في المزاج، والتقوقع، والحد من العلاقة مع العالم الخارجي، والتحسر على الذات، والشعور بالتوتر والضيق والكآبة واستنفاذ القوى.

وأكدت أن الكشف عن الخيانة لا يؤدي فقط إلى تغيرات نفسية، وإنما أيضاً إلى تغيرات

بدنية، وتغيرات في التصرف، مشيرة إلى أن أهم التغييرات البدنية تظهر من خلال خفقان القلب، والعجز الجنسي، وحدوث اضطرابات في الدورة الشهرية للمرأة، ووجع في الرأس، وظهور إشكالات جلدية، وتزايد سقوط الشعر، وحدوث اضطرابات في النوم، وتنامي الشهية للطعام، أو العكس بفقدان الشهية للطعام.

ولفتت إلى أن أهم التغيرات في ردود الفعل تظهر من خلال عدم المقدرة على اتخاذ القرار، وازدياد الحوادث التي يتعرض لها الشخص، وتراجع الأداء في العمل، والإكثار من التدخين، وتعاطي الكحول، وتنامي استخدام الأدوية للتهدئة وللنوم. وتؤكد الدكتورة ياناتشكوفا بأن الشخص بمجرد علمه بحدوث الخيانة الزوجية فإنه يبدأ بالسقوط إلى ما يسمى "بالطريقة النمطية اللا تفكيرية"، التي تتجلى بأوتوماتيكية النشاطات العادية، مثل قيادة السيارة، القيام بالأعباء المنزلية والمهام التي تتكرر بشكل أكثر في العمل.

وتضيف، لكن مع مرور الوقت يبدأ الشريك الحياتي الذي تعرض للخيانة بمعالجة المعلومة التي عرفها، وهي تعرضه للخداع، أما الهدف من هذه المعالجة فهو الحاجة في اللاوعي لمعرفة سبب الخيانة الزوجية، أو إيجاد المذنب في هذه المسألة، ولذلك يكثر من توجيه الأسئلة لنفسه، مثل من يتحمل ذلك؟ ما هو قسطي من المسؤولية؟ لماذا حصل ذلك؟

وتنبه الدكتورة ياناتشكوفا إلى أن الخيانة لا تعكر فقط العلاقة العاطفية، وإنما تحمل معها حالة عدم الاستقرار إلى الأمان، أو الضمان الاقتصادي لنظام العائلة، ولهذا يقوم الرجل المخدوع، أو المرأة المخدوعة، بمحاولة تقييم الوضع الجديد القائم، والبحث عن المذنب، فعدم وجود الطمأنينة يضعف الثقة بالنفس، ويؤدي إلى اتهام الذات.

وأكدت أن الكشف عن الخيانة الزوجية يؤدي إلى رد فعل عنيف وعدواني لدى الذين تعرضوا للخيانة، وهذا الرد قد لا يقتصر على مرتكب الخيانة، وإنما يطال أحياناً الأطفال، وحتى جميع المقربين منه، لأن العدوانية هي نظام دفاعي للإنسان، ويحدث خلال الهجمات الكلامية عملية تحرر وانفراج للتوتر النفسي الداخلي.

وعلى العكس من رد الفعل العنيف، يمكن أن يحدث رد سلبي متطرف، وهو السلبية الكاملة التي يرافقها عدم توافر الرغبة بالقيام بأي نشاط، وفي مثل هذه الأوضاع تظهر حالات الكآبة على الأشخاص الذي يتبنون هذا الموقف. ورأت أن التفسير العقلاني وفهم أسباب الخيانة لا يساعد كثيراً في تجاوز ما حصل، كما أنه ليس بالإمكان تخفيف المعاناة النفسية المتأتية من الخيانة بناء على أمر.

وتضيف أن أحد المظاهر الرئيسية لتجاوز الخيانة يكمن في عودة الشخص المخدوع إلى

حياته الطبيعية تدريجياً، والتأقلم مع الوضع الجديد، أما لدى النساء فإن الأمر النمطي لديهن يشير إلى حدوث تحسن لتجاوز خيانة شريكهن يكمن في ظهور الرغبة بالتغيير، حيث يقمن مثلاً بتغيير تسريحتهن وملابسهن، أو التزام الحمية الغذائية، والتردد إلى مراكز التدريب الرياضي، والعودة إلى ممارسة هواياتهن المنسية منذ فترة طويلة، وأيضاً إلى زيادة الأداء في العمل.

دماغ الإنسان يتقلص والبشر لا يزدادون غباء

تبين أن حجم دماغ الإنسان يتقلص تدريجياً، مما يستدعي السؤال عما إذا كان الجنس البشري يزداد غباء بسبب ذلك أم لا. وذكرت مجلة "ديسكوفر" الأميركية أن تقريراً جديداً أظهر أنه "خلال السنوات الـ20 ألفاً الماضية تقلص حجم دماغ الرجل من 1500 إلى 1350 سنتمتراً مكعباً، مما يعني أنه خسر حجماً يقدر بحجم كرة تنس". وأضافت أن "حجم دماغ المرأة تقلص بهذا القدر تقريباً".

يشار إلى أن هذا الكلام يأتي تعليقاً على كلام المتخصص بعلم الإنسان من جامعة ويسكونسن الدكتور جون هاوكس، الذي قال إن تقلص حجم دماغ الإنسان لا يعني بالضرورة أنه يصبح أقل ذكاء.

ووافق بعض العلماء على هذا التشخيص بأن دماغ البشر يصبح أصغر، وقال بعضهم إنه مع ذلك أصبح أكثر فاعلية، في حين اعتبر بعض آخر بأن الإنسان ازداد غباء مع تطوره.

وقدمت نظريات عديدة لتفسير لغز تقلص حجم الدماغ، وإحداها أن الرؤوس الكبيرة كانت ضرورة خلال الحياة في العصر الحجري القديم، (أي بين ما بين 40000 و10000 سنة سابقة)، لتتماشى مع النشاطات التي يبذلها الإنسان في الخارج، وفي الظروف المناخية الباردة.

وتقول نظرية ثانية بأن الجماجم تطورت لتتماشى مع النظام الغذائي الذي يتطلب مضغ لحوم الأرانب والغزلان والثعالب والأحصنة، ولكن عندما أصبح الطعام أسهل للمضغ توقفت الرؤوس عن النمو.

لكن نظرية ثالثة خرجت لتقول إنه مع بروز المجتمعات المعقدة صغر حجم الدماغ، لأن الناس ما عادوا بحاجة لأن يكونوا أذكياء حتى يبقوا على قيد الحياة.

وأجرى العالمان ديفيد غيري ودرو بايلي دراسة، فوجدا أنه عندما كانت الكثافة

السكانية منخفضة كان حجم الجمجمة يكبر، ولكن ما إن بدأ العدد السكاني بالتغير والزيادة تراجع حجم الجمجمة.

وخلصا إلى أنه مع بروز المجتمعات الأكثر تعقيداً صغر حجم الدماغ، لأنه ما عاد ضرورياً أن يكون الناس أذكياء ليحافظوا على حياتهم.

لكن غيري أوضح أن "هذا لا يعني أن أسلافنا كانوا أكثر ذكاء منا، فتطور المجتمعات دفع إلى التركيز على العلوم والفنون وغيرها من المجالات".

وأعرب هاوكس عن اعتقاده بأن تقلص حجم الدماغ قد يظهر في الحقيقة أننا نزداد ذكاء، مشيراً إلى أن الدماغ يستخدم 20٪ مما نستهلكه، ما يعني أن الدماغ الأكبر سيتطلب طاقة أكثر، ويستغرق وقتاً أطول ليتطور.

الطعام المشبع بالدهون يزيد خطر الاكتئاب

أظهرت دراسة اعتمدت على أبحاث وعمليات مسح واسعة النطاق أن تناول الأطعمة المشبعة بالدهون يزيد من خطر الإصابة بمشاكل نفسية، وعلى رأسها الاكتئاب، وذلك بخلاف ما يظنه كثير ممن يقبل على تناول وجبات دسمة كوسيلة للتخلص من مصاعب الحياة.

وجرت الدراسة في إسبانيا، وتناولت السجلات الصحية لـ12059 تلميذاً من مختلف الجامعات، ولمدة تصل إلى ست سنوات، مع مقارنتها بأنماط الغذاء.

وعند بداية الدراسة، لم يكن أي من الذين شملهم البحث يعاني الاكتئاب، ولكن بعد نهايتها أبلغ 657 شخصاً عن إصابتهم بهذا المرض، بحسب مجلة "تايم" الشقيقة لـCNN.

ووجد الباحثون أن خطر الاكتئاب يزداد مع زيادة استهلاك المواد الغذائية المشبعة بالدهون، وقد ارتفعت إمكانية التعرض للكآبة بواقع 42 في المئة لدى الأشخاص الذين يحصلون على 0.6 في المئة من الوحدات الحرارية اليومية التي يتناولونها من الدهون المتحولة.

وعمل على الدراسة مجموعة من الأطباء في جامعة "سيفيومينتو دي نافارا" الإسبانية، بتمويل من الحكومة الأميركية لأغراض البحث بكلية التمريض.

وقد اهتم الجانب الأميركي كثيراً بنتائج الدراسة، باعتبار أن الدهون المتحولة لا تمثل أكثر من 0.4 في المئة من الوحدات الحرارية التي يتناولها الإسباني العادي يومياً، من خلال مأكولات مثل الحليب والزبدة واللحمة والجبن، أما المواطن الأميركي، فتشكل الدهون المتحولة 2.5 في المئة من الوحدات الحرارية التي يتناولها بسبب نوعية الأغذية السريعة التي

يعتمده.

ولفتت الدراسة أيضاً إلى أن الدهون المتحولة تزيد خطر أمراض القلب، وتعتبر أمراض القلب بدورها من أهم أسباب الاكتئاب.

دراسة: رياضة التأمل يمكن أن تطيل العمر

أكدت دراسة تناولت رياضة التأمل والاسترخاء أن ممارستها يمكن فعلاً أن تساعد على إطالة العمر، إذ سُجل ارتفاع في نسب الأنزيمات المرافقة عادة لأجساد الأشخاص من ذوي الأعمار الطويلة لدى ممارسي هذه الرياضة، بعد ثلاثة أشهر فقط من بدء ممارستهم لها.

وذكرت الدراسة التي عمل عليها الباحث طوني جايكوب في جامعة كاليفورنيا أن هذه النتائج قائمة على عملية رصد مركزة لثلاثين شخصاً مارسوا التأمل على مدار ست ساعات طوال ثلاثة أشهر في جبال كولورادو المنعزلة، حيث تركوا عقولهم تسرح دون اكتراث للهموم، مع طغيان لمشاعر الحب والتعاطف مع الآخرين.

وبنهاية الرصد، اتضح لجايكوب أن نشاط أنزيم "تيلوميريس" تزايد بنسبة 30 في المئة لدى الذين مارسوا التأمل مقارنة بالأشخاص العاديين، وفقاً لمجلة "تايم".

وتكمن أهمية أنزيم "تيلوميريس" في كونه المسؤول عن إصلاح الخلل الذي يطرأ على الكروموزمات في الخلايا البشرية، ومع كل انقسام للخلية، يضعف أداء هذا الأنزيم، ويتوقف عن إصلاح الخلايا وتجديدها، وهو الأمر الذي يعتقد العلماء أنه يسبب الشيخوخة والموت في نهاية المطاف.

من جانبها، قال إليزابيث بلاكبيرن، التي سبق أن نالت جائزة نوبل لأبحاثها حول أنزيم "تيلوميريس،" أن هنالك "أمراً دفع هذا الأنزيم لزيادة نشاطه بعد الاسترخاء والتأمل"، وأضافت: "لقد أحدث التأمل كثيراً من التغيير بالسلوك النفسي، وحتى بالشكل الخارجي للأشخاص".

غير أن بعض الأطباء طالبوا بإجراء المزيد من الأبحاث حول هذا الاكتشاف، قبل تقديم خلاصات طبية حازمة، فرغم أن أنزيم "تيلوميريس" يساعد الخلايا على تجديد نفسها واستعادة شبابها، إلا أن المستويات المرتفعة منه كثيراً ما تترافق مع أمراض مثل السرطان، الذي يدفع الخلايا إلى الانقسام على نفسها دون نهاية.

اكتشاف مجموع بروتينات تساهم بشكل أساسي في التسبب بالأمراض الدماغية

قال علماء إنهم اكتشفوا مجموعة من البروتينات التي تساهم بدور أساسي في نشوء أكثر من 130 نوعا من الأمراض الدماغية. وتشير دراستهم أيضاً إلى رابط مفاجئ بين هذه الأمراض، بما فيها ألزهايمر وباركنسون، وتطور السلوك البشري.

الدماغ البشري هو كناية عن متاهة من ملايين الخلايا العصبية المتخصصة التي تربط بينها مليارات الوصلات الكهربائية والكيميائية التي تدعى نقاط التشابك. وداخل نقاط التشابك هذه توجد بروتينات تندمج معاً لتشكل منطقة ذات كثافة تشابكية يعتقد أنها تخل بوظائف نقاط التشابك، مسببة أمراضاً وتغيراً في السلوك.

وقد قاد سيث غرانت من معهد "ويلكوم تراست سانغر" البريطاني فريقاً استأصل مناطق ذات كثافة تشابكية من نقاط التشابك لدى مرضى يخضعون لجراحة دماغية، ونشرت نتائج دراسته في مجلة نيتشور البريطانية.

وقال غرانت "وجدنا إن أكثر من 130 مرضاً دماغياً مرتبط بمنطقة الكثافة التشابكية، وهو عدد أكبر بكثير مما كنا نتوقع. هذه المنطقة الدماغية في مقدمة عدد كبير من الأمراض البشرية التي تصيب ملايين الناس".

ومن بين هذه الأمراض، فضلاً عن الاضطرابات التنكسية العصبية الشائعة، داء الصرع وداء التوحد.

وأضاف غرانت أن ذلك يتيح "تطوير اختبارات جينية جديدة لتشخيص الأمراض ومساعدة الأطباء على تصنيف الأمراض الدماغية".

وكشفت الدراسة أيضاً أن البروتينات في هذه المنطقة الدماغية ذات جذور وراثية عميقة، وتؤدي دوراً غير مباشر في السلوك الإدراكي، مثل التعلم والذاكرة، فضلاً عن المشاعر والمزاج.

جدل حول خصائص وفوائد فيتامين D

أبدى المعهد الأميركي للطب تحفظات حول الفوائد المنسوبة إلى الفيتامين "دي" في ما يتعلق بمكافحة السرطان والمحافظة على صحة الأوعية والشرايين، وذلك بعد مراجعة حوالى ألف دراسة نشرت في أوقات سابقة.

لكن عدداً كبيراً من المؤشرات تؤكد أهمية الفيتامين "دي" والكالسيوم في تعزيز نمو العظام والمحافظة على سلامة الهيكل العظمي، وفقاً للتقرير نفسه.

وانطلاقاً من ذلك، حدد المعهد الذي يعتبر سلطة نافذة في الولايات المتحدة، مستويات قصوى جديدة يوصي بها في ما يتعلق بالنسب اليومية للفيتامين "دي" والكالسيوم. وقد لفت إلى أن الأميركيين والكنديين يتناولون كميات كافية منها، وذلك استناداً إلى تحاليل للدم.

وتشير لجنة الأطباء التي صاغت التقرير إلى أنها راجعت عدداً كبيراً من الدراسات والتقارير التي تبين آثاراً إيجابية أخرى للفيتامين "دي"، لاسيما في ما يتعلق بمكافحة السرطان وأمراض الشرايين وأمراض المناعة والسكري.

وفي حين أشارت دراسات عدة إلى احتمال تسجيل آثار إيجابية، فقد أبدت أخرى تحفظاً عليها، أو نقدتها بالكامل، الأمر الذي يجعل من المستحيل التأكيد على الخصائص الطبية التي تنسب للفيتامين "دي"، بحسب المعهد.

ومما لا شك فيه هي الحاجة إلى دراسات سريرية دقيقة وشاملة لتحديد آثار الفيتامين "دي" في الوقاية من هذه الأمراض على ما أكد التقرير. ويذكر معدو التقرير بأن الظن كان سابقاً بأن الفيتامين "إي" قادر على حماية جهاز القلب والشرايين، قبل أن تثبت دراسات سريرية عكس ذلك.

دواء مضاد للاكتئاب يتفادى العوارض الجانبية الجنسية

اكتشف الباحثون في دراسة حديثة دواء مضاداً للاكتئاب يقلل من العوارض الجانبية للنشاط الجنسي. ويمكن أن تساعد العقاقير المضادة للكآبة على الشفاء من حالات اكتئاب شديدة، ولكن بعض المرضى يتجنب تناولها بسبب آثارها الجانبية على الوظيفة الجنسية. ولكن إدارة الغذاء والدواء الأميركية وافقت الآن على دواء يبدو أن آثاره الجانبية الجنسية أقل من العقاقير المتعارف عليها.

واكتشف الباحثون في دراسة نُشرت العام الماضي أن العقار الجديدة فيبريد **Viibryd**، أو فيلازودون **vilazodone** يؤدي مفعوله في الحد من أعراض الكآبة الشديدة بعد أسبوع واحد على بدء العلاج. وكانت أبرز الآثار الجانبية المرتبطة به هي الإسهال والغثيان والصداع، ولكن التجارب العلمية أظهرت عدم وجود اختلاف كبير في الأداء الجنسي للأشخاص الذي تناولوا العقار الجديد، وعينة أخرى من الأشخاص الذي تناولوا دواء كاذباً، أو مادة خاملة (بلاسيبو).

وفي كل التجارب التي أُجريت على العقار الجديد حتى الآن أبلغ نحو 4 في المئة من المرضى عن هبوط في الطاقة الجنسية، مقابل 1 في المئة ممن أخذوا بلاسيبو، وأشار 2 في المئة من الرجال إلى ضعف الانتصاب، بالمقارنة مع 1 في المئة من الذين تناولوا المادة الخاملة.

علاقة وطيدة بين الاكتئاب والأداء الجنسي

تعاني شرائح شبابية عديدة، عربية كانت أم غربية، من تراجع مستمر في الأداء الجنسي، سببه علاقة وطيدة بين الأخير وظاهرة الاكتئاب لديهم. ما يجعل زيارة الطبيب المختص أمراً ضرورياً لاستبعاد أو تأكيد الاصابة بأمراض الغدة الدرقية. نحن نتحدث عن بالغين تتراوح أعمارهم بين 20 و30 عاماً. فبعد صلة زوجية، أو علاقة حميمة، مع المرأة، يبدأ هؤلاء الشباب التساؤل حول سبب انهيار أدائهم الجنسي بالكامل أمام زوجتهم، أو صديقتهم، بعد أن كانت، في البداية، مرضية للاثنين، مع معدل علاقات جنسية يصل إلى 3 مرات أسبوعياً. لكن سرعان ما تتحول العلاقة الجنسية إلى اضطراب يبدأ بتراجع معدل هذه العلاقة إلى مرة أو اثنتين، شهرياً، ثم إلى غياب دائم، قد تحفزه بين، مناسبة وأخرى، حبوب الفياغرا، أو مشاهدة فلم بورنو، سوية، على أمل اللقاء "السكسي" المرتقب، في السرير!

وبرغم سلسلة من الحوافز الخارجية، إن كان صيدلانية، أو سينمائية، أو غيرها، فإن العلاقة الجنسية لا تستمر أكثر من دقائق معدودة. وغالباً ما يشتكي الرجال من عدم قدرة العضو الذكري على الانتصاب كما يجب خلال عملية الجماع، لا بل إن بعضاً منهم يشعر وكأنه رجل مسن تجاوز الستين عاماً!

يفيد الأطباء السويسريون أن التوازن بالجسم، في قلب مجتمع غربي عصري مثلاً، معرض للخلل، الذي يتمثل بنوع من "التهديد"، بسبب باقة من العوامل التي يطلق عليها الأطباء البريطانيين اسم (stressors). للمحافظة على هذا التوازن، يقوم الجسم بالتجاوب مع عوامل الخطر هذه عن طريق زيادة إفراز سلة من الهرمونات، وعلى رأسها الكورتيزول والأدرينالين (يكون إفرازه استجابة لأي نوع من أنواع الانفعال، أو الضغط النفسي، كالخوف، أو الغضب) والنورأدرينالين. عادة، يُفرز الجسم هذين الأخيرين معاً. أما النظام العصبي المركزي، المستقل، فهو يتحرك لإجراء مجموعة من التغييرات الجسدية التي تخول الجسم الاحتفاظ بتوازنه.

علاوة على ذلك، ينوه الأطباء بأنه يجري تنشيط مجموعة التغيرات الجسدية هذه على

حساب تعطيل وظائف هامة بالجسم، كما الوظائف الجنسية والتناسلية. في الوقت الحاضر، لا يوجد دواء قادر على علاج الاكتئاب إنما توجد إمكانات عدة لتغيير نمط حياة الشباب الذين يعانون، باكراً، من فقدان قوتهم الجنسية، وتحديث كيفية تفكيرهم بالأمور. وتعتبر استشارة الطبيب المختص ومصارحته بداية هذا العلاج!

الزواج جيد جسديا للرجال وعقليا النساء

الزواج يبقي الرجال سليمي البنية، في حين يعزز السلامة العقلية للنساء، حسب دراسة أكاديمية حديثة.

قالت دراسة نشرت في "ستودنت بي أم جَي" إن الأزواج الملتزمين يعيشون عمراً أطول من العازبين، مع زيادة الفوائد الصحية الناجمة عن العيش المشترك مع شركاء حياتهم. في الوقت نفسه، فإن اتخاذ شركاء جنسيين عديدين يقصر من العمر، ويمكن للطلاق أن يكون له آثار مدمرة حسبما زعمت الدراسة.

مع ذلك، فإن الأزواج يستفيدون بطرائق مختلفة من الزواج. فالرجال المتزوجون يحافظون على بنية سليمة، لأن زوجاتهم يسعين إلى تأمين أسلوب حياة صحي، في حين تستفيد النساء عاطفياً من الزواج، لأنهن يقيمن عالياً العلاقة الزوجية. وكتب ديفيد غالاكر المتدرب في مستشفى ويلز الجامعي بمدينة كاردف وجون غالاكر الباحث في كلية الطب بجامعة كاردف أن "الحب هو رحلة اكتشاف تشارك فيها الأحماض والهورمونات المساعدة على تحقيق الانشداد بين المحبين، مثل الدوبامين والأوكستوسين، لكن في الوقت نفسه فإنها رحلة محفوفة بالمخاطر، وتؤدي إلى جعل كثير من الأشخاص يتساءلون عن مدى أهمية العلاقة العاطفية والالتزام".

وحسبما ذكرت صحيفة الديلي تلغراف، فإن الباحثين جمعا أدلة تشير إلى أن العلاقات العاطفية بين المراهقين هي ذات صلة بـ"أعراض الكآبة المتزايدة" لديهم، في حين أن العلاقات العاطفية لدى الشباب لا تحسن الصحة الجسدية. لذلك فإنه "من الضروري أن تكون هنالك درجة من النضج قبل الوقوع في الحب، وآنذاك سيجلب كيوبيد معه المنافع الصحية".

وجاء في الدراسة أن "الصحة الجسدية التي يتمتع بها الرجال المتزوجون هي بفضل تأثير شريكات حياتهم على أسلوب حياتهم. أما الصحة العقلية للنساء فتتحسن خلال العلاقة، وهذا

يعود إلى أهميتها الكبرى بالنسبة لهن". لكن الباحثين يسلمان بأنه "ليست كل العلاقات ذات فائدة، وأنه من الأفضل أن يكون المرء عازباً على أن يعيش في علاقة متشنجة".

أفضل طريقة لحفظ المعلومات قبل النوم فورا

أظهر باحثون في ألمانيا أن الدماغ يعمل بشكل أفضل خلال ساعات النوم في حفظ المعلومات منه خلال ساعات الصحو. ونشرت دراستهم في مجلة "نيتشر نوروساينس" (علم أعصاب الطبيعة) العلمية، وهي تقدم رؤية جديدة للعملية المعقدة التي من خلالها نحفظ ونسترجع معلومات سبق أن حصلنا عليها. وهذا يعني كيفية التعلم.

وكان بحث سابق قد أظهر أن الذكريات الجديدة تخزن موقتاً في منطقة بالدماغ اسمها "قرين آمون"، وهي

لا تلتصق مباشرة. ومن المعلوم أن تفعيل هذه الذكريات بعد التعلم بفترة قصيرة يلعب دوراً حاسماً في تحويلها إلى خزانة أكثر دائمية في الدماغ، والتي هي أشبه بالقرص الصلب وتسمى بـ"اللحاء الجديد".

ونقلاً عن صحيفة الديلي تلغراف اللندنية، فإنه خلال فترة الصحو تكون عملية تفعيل الذكريات أكثر هشاشة. فتعلم معلومات جديدة في ذلك الوقت يكون أصعب على الدماغ أن يدفع بها إلى منطقة أعمق في الدماغ ليخزنها هناك. ولاختبار هذه الفرضية قام الباحث بيورن راش من جامعة لوبيك مع ثلاثة من زملائه بإشراك 24 متطوعاً، سائلين إياهم أن يحفظوا كل يوم صور 15 زوجاً من الحيوانات مرسومة على بطاقات. خلال فترة تنفيذهم للمهمة عُرِّضوا لرائحة خبيثة قليلاً. وبعد 40 دقيقة طلب منهم أن يحفظوا صور مجموعة ثانية من البطاقات المختلفة قليلاً عن سابقتها.

وقبل البدء بالتجربة الثانية، تعرضوا للرائحة السابقة ذاتها، لغرض تحفيز ذاكرتهم. في الوقت نفسه، نفذ 12 متطوعاً آخر التجربة الثانية بعد نومهم فترة قليلة، وخلال ذلك تعرضوا للرائحة ذاتها. ثم جرى اختبار الفريقين. ولدهشة الجميع وجد أن المجموعة التي تمتعت بقيلولة قصيرة كانت قدرتها على حفظ المعلومات التي سبقت النوم أعلى، حيث حفظ كل منها ما معدله 85٪ من المعلومات، مقارنة بـ 60٪ للأفراد الذين بقوا صاحين.

وقالت سوزان ديكلمان من جامعة لوبيك التي قادت فريق البحث أن "لحالتي الصحو والنوم تأثيراً كبيراً على تفعيل الذكريات. فحسب البيانات المحصل عليها من تصوير الدماغ،

نقترح أن السبب وراء الاختلاف في اختزان المعلومات واسترجاعها هو النوم لدقائق قليلة، إذ بفضلها تم نقل المعلومات من قرين آمون إلى "اللحاء الجديد".

التلوث الضوضائي يزيد من خطر الإصابة بالجلطة

توصلت دراسة جديدة إلى أن التعرض إلى ضوضاء حركة السير على الطرق العامة يمكن أن يزيد من خطر الإصابة بالجلطة لدى الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 65 عاماً.

وشارك في الدراسة أشخاص يتراوح مستوى الضوضاء في حياتهم بين 40 ديسبل، وهي صوت الحديث الخافت، و82 ديسبل، وهي ضوضاء شارع مزدحم. واكتشفت الدراسة أن زيادة مستوى الضوضاء 10 ديسبل تزيد خطر الإصابة بجلطة بنسبة 27 في المئة.

وقال الباحثون الدنماركيون الذين أجروا الدراسة إنهم أخذوا في الحسبان تلوث الهواء، وعوامل أخرى، مثل الاختلافات في نمط الحياة، لتأكيد قناعتهم بوجود علاقة حقيقية بين الضوضاء وخطر الجلطة.

وقال رئيس فريق الباحثين ميتي سورنسون إن الدراسة تبين أن التعرض إلى ضوضاء الشارع يزيد خطر الإصابة بجلطة على ما يبدو. وأضاف أن دراسات سابقة ربطت ضوضاء حركة المرور بارتفاع ضغط الدم والنوبات القلبية، وأن الدراسة الجديدة تضيف دليلاً إلى الأدلة المتراكمة على أن ضوضاء الشارع قد تسبب جملة من أمراض القلب والأوعية الدموية.

أُجريت الدراسة على 57 ألف شخص في كوبنهاغن ومدينة آروس تتراوح أعمارهم بين 50 و64 سنة خلال الفترة الواقعة بين 1993 و1997، ثم تابعت أوضاعهم الصحية فترة متوسطها عشر سنوات. وأُصيب منهم 1881 شخصاً بجلطة خلال مدة البحث.

إنا لله وإنا اليه راجعون

توفي الخميس، العاشر من محرم، السادس عشر من ديسمبر، أستاذ فاضل وعالم جليل من أساتذة علم النفس في العالم العربي

الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود السيد

أستاذ علم النفس بآداب القاهرة

فقده مجتمع علم النفس، تغمده الله بالرحمة، وإني لمطمئن عليه، فهو من القلائل الذين أخلصوا للعلم، من تعامل معه أغرقه بفضله، كان يقرأ ولا يمل القراءة، يقرأ مرات عديدة، يقرأ كشاب في العشرينات، لم يبخل بماله في خدمة البحث العلمي. فصول رسائلنا العلمية

عليها لمساته كلمة كلمة، لم يرضَ إلا بكل إضافة علمية، وكل جديد، كل رسالة أشرف عليها تمثل كنزاً علمياً، كانت حقيبته تحمل دائماً ثقلاً من الكتب والقواميس للطلاب على نفقته الخاصة، وكانت في أغلب الأحوال ثقلاً على طاقته الجسمية، ولكنه كان

لا يبالي بذلك، كنت أراه أسبوعياً، كنا نقرأ ونترجم معاً، كنت أشعر بالأمان معه، وكان العمل والعلم سلاحنا ضد أي صعاب، لا أهواء، لا مصالح، لا ضغائن، وكان تقييمه لنا بعملنا فقط، نزاهة دائمة لا تشوبها شائبة. كان يحب الطالب أكثر من أي أحد آخر، ويغرس قيمة أن تترك علماً ينتفع به.

سلام الله عليك ورحمته يا أستاذي، مع السلامة يا أستاذي، ستظل ذكراك في مخيلتي ما حييت، مع السلامة يا أستاذي في لقاء ربك، فلديه لك كثير ليكافئك عليه، مع السلامة يا حبيبي، لا تبخلو عليه بالعزاء في مسجد عبد الرحمن الكواكبي بميدان أسوان العجوزة بعد صلاة المغرب يوم الجمعة 17 /2010/12.

أشرف محمد نجيب

قسم علم النفس. آداب سوهاج.

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

وللأسرة الصبر والسلوان

كان الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود السيد، رحمه الله، رمز التفاني في خدمة العلم والعلماء، وستظل ذكراه عالقة في قلوبنا جميعاً، فقد كان نعم الأب والأستاذ والمربي الفاضل. تعلمنا منه الخلق الرفيع والاتقان في العمل والقيم. أسكنه الله فسيح جناته، وأكرم مثواه، وبارك له في أبنائه وذريته وطلابه وتلاميذته، فكانا الأستاذ عبد الحليم محمود هذا الرمز الذي سيبقى شامخاً مهما مرت السنون.

أ.د. اماني عبد المقصود

رئيس قسم العلوم التربوية والنفسية

جامعة المنوفية

رحمك الله يا أستاذنا العظيم، وغفر لك بقدر مساعدتك لكل الطلاب والتلاميذ، فقد كنت نِعْمَ الأستاذ والأب

برجاء قراءة الفاتحة ترحماً عليه.

هناء شويخ

مقابلة العدد

عالم الاجتماع فولفغانغ سوفسكي

حول عنف الحضارة:

"الحضارة تقود نفسها للدمار"

أجرت اللقاء أولا أوسمان

ترجمة: د. سامر رضوان

هذه المقابلة تطرق موضوع العنف وتظاهراته المتراوحة بين التوحش والإرهاب، وهي مراوحة تطرح إشكاليات عميقة الغور في عالم ما بعد الآحادية الأميركية، العالم الذي ولد من رحم التوحش الأميركي في افغانستان والعراق، وهو توحش حمل عنوان الحرب على الإرهاب.

هذه الثنائية تفتقد إلى العدالة، فالتوحش يتجمل بإمكانيات إعلامية وحضارية وعسكرية تبرره لتعود فتحصر سلبياته بأشخاص هم بوش الابن وفريقه، مع تبرئة الأمم المتحالفة في التوحش. في المقابل، يفتقد الإرهاب لكل هذه الإمكانيات، ما يجعله يسوق على أنه سمة عامة للشعوب، وعلى أنه كامن في التعاليم الدينية والشخصية الثقافية لتلك الشعوب، رغم واقعة اقتصار الإرهاب على جماعات معينة ومحدودة.

هكذا تنتصر الميديا المتحصنة بالقوة وبقدرة التهديد بالضربة القاضية، وتترجم انتصارها وتثبته بمصطلح "الإسلاموفوبيا"، الذي يحمل معه مشاعر الاضطهاد لدى المجتمع الغربي، ليفضح "بارانويا الغرب"، وهو جنون العظمة الذي أتاح لشخصيات متطرفة ومضطربة السير بعكس اتجاه الحضارة الإنسانية باتجاه العودة إلى استعمار الدول واحتلالها، وهي مرحلة كانت الحضارة الإنسانية قد تجاوزتها وصنفتها عاراً على الإنسانية. وهكذا شكل النكوص إلى المرحلة الاستعمارية عاراً أكثر عيباً دون أن يجد من يحلله ويفسره، شارحاً

مستوى الوحشية الممارسة من قبل الدول الكبرى ضد أبرياء بسبب ظنون باطلة بوجود علاقة بين نظامهم وبين شخص فرد يدعى أسامة بن لادن.

أمام هذه اللاعدالة، رأينا أنه من المفيد أن نعرض لآراء صاحب مقولة "الحضارة تقود نفسها للدمار"، وفيها منطلقات فكرية وعلمية لقراءة المعاناة من التوحش.

صاحب المقولة هو العالم الألماني فولفغانغ سوفسكي Wolfgang Sofsky: من مواليد 1952، أستاذ علم الاجتماع في جامعة غوتنغن. درس علم الاجتماع والفلسفة والعلوم السياسية. نال الدكتوراه في عام 1982. أنجز بعد ذلك مشاريع بحث عديدة. منشوراته: تنظيم المواقف الاجتماعية 1932، السلطة والعمل والإنسانية 1986، تشكيل السلطة الاجتماعية 1991 (بالمشاركة مع راينر باريس). حضر درجة الهابيل (أعلى درجة أكاديمية في ألمانيا) في موضوع "تنظيم الإرهاب: معسكر الاعتقال"، وقد صدر في كتاب عام 1993. كما صدر له كتاب "نبذة حول العنف" في دار نشر فيشر 1996.

أوسمان: سيد سوفسكي، إن ما نسميه عموماً الحضارة يبدو فاسداً من وجهة نظرك. ففي كتابك "نبذة حول العنف" تتحدث عن أننا نعيش "في حضارة الجانين".

سوفسكي: نعم، فوعينا التاريخي هو وعي الأفعال والفاعلين. إننا نفكر في فئات أفعال أكثر من فئات معاناة، وأحاديثنا تدور حول المنتصرين، وليس حول الخاسرين والضحايا. وأرى بأن العلوم الاجتماعية والحضارية تضيق بشدة من منظورها عندما تعمل مع مفهوم أساسي للفعل، فلما يقع على السلبية والمعاناة والألم. ومن وجهة نظري فإنه من المهم إدخال مفهوم "الحدوث" happen to، الذي صاغه فيلهيلم كاملاه Wilhelm Kamlah، إلى النظرية بمقدار أهمية مفهوم الفعل والسلوك.

أوسمان: هل التوجه نحو الفعل جديد تاريخياً؟

سوفسكي: بالتأكيد. فقبل بدء العصر الحديث، فُكِّر بالسلبي بالشدة نفسها التي فُكِّر فيها بالحياة الناشطة Vita activa، أما التفكير في فئات فاعلة فهو شيء حديث نوعياً.

أوسمان: يتمثل تحديدك المركزي للحضارة في ارتباطها الداخلي بالعنف، فأنت تكتب أن الحضارة "تتسم أولاً وآخراً بالعنف والموت". والسؤال غير الخالي من العنف كلية هو: ما الذي تهدف إليه الطلقات اللفظية الشديدة؟

سوفسكي: حقيقة، إني لا أصف كل ما يقع ضمن المفهوم المبسط للحضارة، أي لا أصف تمثيلية مسرحية، أو قطعة أدبية. لقد حاولت فهم المجالات الجوهرية للحضارة بمعنى عرقي

(إثنولوجي) كلي. ويقوم مفهومي للحضارة على المجالات الأربعة التقليدية: بنية الشخصية، والمنظمة الاجتماعية، والعتاد المادي، والقيم والرموز. وهذا ليس أصيلاً بصفة خاصة، ولكن كان همي إدراك بأن كل ما يحققه الناس، من العتاد المادي، حتى توليد المعنى، ينتج تنظيمات حضارية تقيد الحياة، وهذه هي البرهة القاسية والقمعية في التنظيمات الحضارية بحد ذاتها.

أوسمان: تجد في كتابك مقولات مثل: الحضارة تقود نفسها للدمار، تتزايد الرغبة في النكوص بمقدار ما يستعبد النظام الحضاري الحياة. ألا تصف الاستبدادي بهذا المانع كمظهر واحد من الحضارة فقط؟ ألا يمكننا أيضاً القول بأن الحضارة لا تقدم الإكراه فقط، وإنما كذلك اختيارات، وليس آخراً الحماية أيضاً؟

سوفسكي: طبعاً، التنظيمات الحضارية هي دائماً حماية، وبشكل خاص حماية الناس من بعضها. ومن يمتلكها يعرف تقريباً كيف سيتصرف الآخرين. إنها تمنح نوعاً من توجهات المعنى.. إلخ. وكل ذلك عبارة عن إنجازات طبعاً، فبدون تنظيمات لن يكون ممكناً، ولكنها تقيد.

أوسمان: غير أنك لا تتحدث إلا عن هذه التقييدات...

سوفسكي: أجل إنها الأهم في سياق العنف. وبالطبع، فإن تقييد الاستعداد للعنف من خلال الضغط الحضاري يعتبر مكسباً. ولكنْ كلما اشتد الضغط كان الضغط المعاكس أشد. وأنا أحاول في "النبذة" استخدام تعريف ضيق جداً للعنف. إن العنف ليس الإكراه، وإنما الانتهاك.

وعندما يبطل مفهوم العنف، وعندما يضاف إلى ذلك كل (الحواجز الثابتة) على الطرقات، فلن يعود للمصطلح أي معنى تحليلي. وطبعاً لابد من دراسة علاقات القوة وتنظيماتها أيضاً، بلا جدل. ولكنها ليست موضوع الكتاب.

أوسمان: ألا تتعلق نوعية ما تسمية بالضغط المعاكس أيضاً بالمشكلة التي عبر عنها فرويد، فيما إذا كانت الحضارة تستطيع تقديم تعويضات للضحايا التي تقتضيها والكيفية التي تفعل بها ذلك؟ وهي موجودة إلا أنه ليس بالضرورة أن تتوزع بالعدل.

سوفسكي: الزوايا، أو الصمامات، التي تتيحها الحضارة، سواء كان كرة القدم لتنفيس العدوان، أو رفع مستوى المعيشة الذي يعيق التمرد، كنت سأكون حذراً جداً من مثل هذه النماذج. على المرء أن يقول بالضبط أي مجتمع يقصده. إن السنوات الأربعين السلمية إلى حد ما لجمهورية ألمانيا الاتحادية حتى عام **1989**، أو **1990**، تمثل من الناحية التاريخية طرفة عين.

فعندما يتأمل المرء فترة أطول من التاريخ من مسافة معينة فسوف يظهر أنه سلسلة من المذابح والحروب. والمراحل الفاصلة من التعب، والتي توجد فيها حياة حضارية، هذه العصور الذهبية، تستمر في أفضل الأحوال لعقود عدة، وبعد ذلك يبدأ من جديد.

أوسمان: ألا تؤمن أن تنظيمات حضارية جديدة تتيح تعاملاً آخر مع العدوان؟

سوفسكي: هنالك برنامجان كبيران للاستقرار. ففي البرنامج السياسي لحكومة العالم تمتلك الأمم المتحدة احتكار العنف. فهي تستطيع إرسال وحداتها من الشرطة عندما يتعرض السلام للخطر في مكان ما. غير أنها بهذا لا تفلت من تناقض النظام، الذي يولد نفسه الضغط المضاد. والبرنامج الثاني هو التربية: والفكرة هي أنه يمكن تشكيل الناس بحيث أنهم يقيّمون ويتصرفون أخلاقياً، الأمر الذي ليس هو نفسه، وفق أعلى مستوى. وينبغي على الناس بناء تماهيات ثابتة نسبياً، وإن كان في هذه الأيام مسموح القيام بين الحين والآخر بحفلة تنكرية. إلا أن الهوية المثبتة عبارة عن شكل، عن قسر. إن ما يسمى بسيرورة التنشئة الاجتماعية الموفقة هي دائماً سيرورة ضبط (أو تدريب).

أوسمان: ولكنْ، ألن يأتي يوم يفرغ فيه مثل هذا النوع من تشاؤم الحضارة، الذي يريد عملياً إدراك كل شق من الحضارة؟

سوفسكي: من المؤكد أن رؤيا "النبذة" متشائمة. ولكنْ، في ما يتعلق بمسائل الساعة، فإني أستطيع التصرف بشكل ذرائعي إلى حد ما. ففي حالة الصراع الملموسة فإن المبدأ الأهم: يتمثل في تجنب الأسوأ. وهذا عبارة عن استراتيجية دفاعية. إلا أنك لا تتجنبين بذلك المأزق. فالصراع بين حزبين متعاديين يمكن أن يهدأ، من خلال تدخل حزب ثالث بشكل شديد، وربما من خلال العنف.

أوسمان: كما هو الحال في يوغوسلافيا السابقة؟

سوفسكي: نعم، فالمتقاتلون قد أغلقوا أفواههم، وعانوا من لاعنفهم المريح Pacifism. ولكن من أجل تجنب الأسوأ وتليين الأحزاب المتناحرة فلعله لابد من تصعيد طاقة التهديد من الخارج بشدة. وهذه عبارة عن استراتيجيات السلطة، وبهذا فإنك تقعين في المأزق ثانية.

أوسمان: كتبت: "العنف هو قدر النوع"، أو "حتى اليوم تخدم العصابة عنف السلطة التنفيذية". ويمكن للمرء أن يسأل هنا بخبث بأنه ربما يبتكر هنا مصطلحاً جديداً من الواقع التشاؤمي. ألا يلوح هنا أرنولد ـ غيلين ـ ساوند؟

سوفسكي: لا أرضى بأن أوضع في هذه الزاوية. فغيلين يدافع عن المؤسسات؛ إنه يدافع عن الدولة القوية. غير أن التاريخ قد أظهر في هذا القرن بأن الدولة القوية انتحارية. وفي ما يتعلق

بالعصابة، فلذلك خلفية تاريخية محددة. العصابة مجموعة من الناس التي يسلطها الإنسان على الآخرين. وهذا النوع بالتحديد كان عندنا في العهد النازي. وقوات الدفاع الألمانية في الشرق تصرفت كالعصابة في أشياء كثيرة، في خدمة الدولة. تلك هي خلفية هذه الملاحظة.

أوسمان: في ردود الفعل على كتابك يتم الحديث عن نبراته الرؤيوية apocalyptic، وعن اتجاهه الذي يميل نحو الأنثروبولوجيا anthropologize، فهل يمسّك ذلك؟

سوفسكي: لقد فوجئت إلى حد ما، لقراءة النص على هذا النحو. فالأبوكالبسية Apocalypse (أو الرؤيا النبوئية) ليس شيئاً آخر غير غائية التاريخ السلبية. أما قصدي المتواضع فقد كان، في البدء ملاحظة ما الذي يجري في أعمال العنف، وأي التنظيمات الاجتماعية هي التي يظهر فيها العنف. وقد تركز اهتمامي على أعمال العنف بمعنى (القسوة violentia)، وليس على potestas (الاحتجاج)، Protestas بمعنى السلطة، ولا كذلك على المؤسسات. إن الكتاب محاولة للقول بدون توهم كيف يتصرف الناس. وفي ما يتعلق بالأنثروبولوجيا فإني أرى بأنه في النقاشات المتعلقة بعلم الحضارة فإن الجانب الأنثروبولوجي غالباً ما يكون معتماً. وأنا لا أشارك في التصور القائل بأن كل شيء تاريخي ويتغير باستمرار، وربما نحو الأفضل. حتى أنه قد تم التحدث سابقاً عن العمومية الأنثروبولوجية.

أوسمان: وما هو العمومي لديك؟

سوفسكي: برهاني الأنثروبولوجي ليس البرهان الفرويدي لدافع العدوان، الذي يريد الخروج دائماً بشكل من الأشكال. وقد يمكن توقع مثل هذا الدافع. ولكن في الحقيقة فإن ذلك أسوأ بكثير. العمومية الأنثروبولوجية هي الحرية النوعية التي يملكها الناس. وهي لا يمكن توقعها. الحرية، باعتبارها قيمة عالية، إذا لم تكن الأعلى بين القيم، لا تضمن الخير الأخلاقي، وإنما يمكن أن تقود للعكس تماماً. وهنا المشكلة. فقد حدثت في قرننا الحالي أحداث غيرت تصوراتنا عن العنف بشكل جذري. ولهذا لابد من تحديد مفهوم العنف ومفهوم الحضارة أيضاً بشكل آخر. فبعد الحروب العالمية، ووفق خبرات المعسكرات، ربما بدا العنف غير ما كان عليه في عام 1910.

أوسمان: كما وأن قوة هذا الموضوع قد تجلت في نقاش غولدهاغن في السنة الأخيرة. ويمكن مقارنة كتابك "تنظيم الإرهاب: معسكر الاعتقال"، مع كتاب دانييل غولدهاغن "المنفّذون المطيعون لهتلر" من ناحيتين: فمن الناحية الأولى في القياس (أو المقدمة premise) بأن الحدث الرهيب يمكن فهمه من حيث المبدأ أيضاً، ومن جهة أخرى فأنتما كلاكما تصفان العالم الداخلي لمعسكر الاعتقال. غير أن دوافع المجرمين تحتل لديك وزناً آخر. إنك تتحدث

عن "الهوة" بين بنية المجرمين ونوعية الأفعال. أتعتقد بأن تصور غولدهاغن حول اللاسامية المتجاهلة قد ردم هذه الهوة؟

سوفسكي: لا أعتقد ذلك. لقد كان التشكيل العالي للتنظيم؛ والتنظيم يعني أن المستخدَمين، أو الموظفين قابلون للتبديل نسبياً، وليس بالضرورة أن يمتلكوا جميعهم الدوافع نفسها، يشكل سمة فاصلة لمعسكر الاعتقال. وهذا لم يدركه غولدهاغن على الإطلاق. إنه لمن الصحيح كلية أن غولدهاغن ينزل إلى مستوى الفاعلين، ولكن العلاقة بين المستخدمين والمنظمة غير واضحة لديه على الإطلاق. وبهذا يفقد رؤية البعد التاريخي أيضاً، البعد النوعي الحديث لهذا الإجرام الحكومي الجماعي.

أوسمان: قمت في "تنظيم الإرهاب" بتطوير تصور "السلطة المطلقة" تصف فيه تعطيل كل حس اجتماعي. إنه التدمير المحض ذلك الذي ساد، إن جاز القول. إن إيجازية Laconism لغتك توحي باحترام للضحايا أكثر مما استطاعه أي مصطلح من مصطلحات الصدمة shock. ولكن بالنظر "للنبذة" يبدو أن هذه الصَّفائية Purism بالذات هي التي أثارت الانتقاد.

سوفسكي: أجد أن وصف مواقف عنف متفرقة، كالتعذيب والإعدام، أو المذابح، دقيق جداً. ومن وجهة نظري، فإن المجريات قد وصفت بشكل أكثر دقة مما هو الأمر عليه في كتاب معسكرات الاعتقال، وبشكل خاص المظهر الانفعالي. ولكن إذا كانت الصَّفائية تعني تحليل المشكلة حتى النهاية، حتى النقطة الأخيرة بدون لف أو دوران، فإني أتقبل هذه التهمة بسرور.

مصر كانون الثاني/ يناير 2041

د. قدري حفني
kadrymh@yahoo.com

تُرى، كيف ستكون صورة مصر في عيون المصريين في 25 يناير 2041، أي بعد ثلاثين عاماً، حين يقترب شباب 25 يناير 2011 من سن الكهولة، أو التقاعد. لقد اختفى جيل ثورة 1919، وأصبحت وقائع تلك الثورة سطوراً في كتب التاريخ تختلف فيها وجهات النظر بعد أن رحل بحكم الزمن شهود العيان، وتوشك بقايا جيل يوليو 1952 على الرحيل، بعد أن شاهدوا القاهرة تحترق، ثم استمعوا للبيان الأول، وشاهدوا صور الملك فاروق يرحل، وتحولت وقائع يوم 23 يوليو بدورها إلى وثائق تاريخية يرويها من صنعوا ذلك اليوم من الضباط الأحرار، ويرويها أيضاً من عارضوا ما جرى. كذلك، فإن من شهدوا كارثة 1967، ثم حرب 1973، يتناقصون بحكم الزمن، وتذوي معهم ذكريات الهزيمة والانتصار.

إننا نشهد هذه الأيام ثورة من نوع جديد لم تشهده أجيال 1952، ولا 1967، ولا 1973. هذه المرة لم يكتف الشباب المصري بالتصفيق والتأييد والمساندة والتطوع، ولم يقفوا عند حدود الاعتراض والتذمر والنقد والإدانة، بل مارسوا الثورة بأنفسهم. ولابد لنا من الاعتراف بأن أحداً من الأجيال السابقة، ومنهم الجيل الذي أنتمي إليه، قد توقع شيئاً مما حدث بهذا الحجم. صحيح أن منا من قال، ولكن أحداً منا لم يفعلها، ولذلك فليس لأحد منا أن يتبرع بالنصيحة باعتباره الأكثر خبرة، فخبراتنا تنتمي لزمن قديم اكتسحه هؤلاء الثوار الجدد، وأسقطوا أوهاماً عديدة تنتمي لذلك الزمن القديم.

ولذلك، حين كان يسألني بعض الناس عن رأيي في ما يجري، وتوقعي لمساراته، كنت أردد بمنتهي الصدق "إنني لم أستطع أن أتنبأ بسلوك شباب أسرتي شخصياً، فكيف لي أن أجرؤ على تقديم النصيحة لجيل الشباب الذي يصنع ثورته. إن نصائحي بحكم السن تستند

إلى خبرتي القديمة التي عفا عليها الزمن. إن أحداً من أبناء جيلي القديم لا يستطيع أن يقترح عليكم موقفاً، وغاية ما يمكن تقديمه هو بعض الآليات العامة التي قد تصلح للتعامل مع الموقف الذي يختاره الشباب، مع الحذر من الانزلاق إلى إدانتهم مهما بدت لنا مواقفهم خاطئة، أو مغامرة، أو حتى مشوشة".

لقد أسقطت ثورة هؤلاء الشباب عدداً من الأوهام التي سيطرت على عقولنا، وإسقاطهم لتلك الأوهام، وبصرف النظر عما سوف تسفر عنه ثورتهم، هو ما سيظل راسخاً في الوعي المصري، محدداً ملامح صورة مصر في عيون المصريين طيلة الأجيال الثلاثة القادمة.

الوهم الأول:

لقد تسرب إلى عقول عدد منا أننا متشددون، بل متعصبون دينياً، وأن الشرطة هي التي تقي كنائسنا من ترصد وعنف الأغلبية المسلمة المتشددة، ومع ثورة 25 يناير اختفت الشرطة بشكل مريب وتام من شوارع مدن المحروسة كافة، ومن ثم سقطت الحماية عن الكنائس، فماذا حدث؟ لم يقذف حجر واحد على كنيسة، بل شاهدنا المعتصمين في ميدان التحرير وميادين مصر لا فرق بين مسيحي ومسلم، بل أصبح من المستحيل الحديث عن موقف مسيحي مقابل موقف إسلامي.

الوهم الثاني:

تباكينا طويلاً على ضعف انتماء الشباب المصري، وانصرافه عن الاهتمام بالشأن العام إلى الاهتمام بتوافه الأمور، وتطوعنا بتقديم تفسيرات عديدة للظاهرة، كما لو أنها حقيقة لا شك فيها، أرجعها بعضنا إلى أنه لا انتماء مع الفقر، وأرجعها بعضهم إلى القهر السلطوي، وأرجعها آخرون إلى ضعف مؤسسات التنشئة السياسية، أو إلى غير ذلك، وتطوع الخبراء لاستعراض الأرقام والنظريات التي تدعم وجهة نظرهم، كما بادر بعض آخر إلى تصميم برامج تدرب الشباب على الانتماء. وجاءت ثورة 25 يناير لتكتسح ذلك الوهم، ولنستطيع بنظرة عابرة إلى شباب تلك الثورة أن نكتشف أن الانتماء للوطن وللشأن العام أمر عابر للطبقات الاجتماعي، يستوي فيه الشرفاء من الأغنياء والفقراء.

الوهم الثالث:

طالما حذرونا وحذرنا أنفسنا من عدوانية شرسة وحقد مدمر يكنه الفقراء وسكان العشوائيات للمستورين، فضلاً عن الأغنياء، وأن الشرطة هي التي تحول بين هؤلاء وبين

التهامنا وإحراق الوطن. ومع تدافع أحداث ثورة يناير، وغياب الشرطة، حدثت وقائع ترويع وبلطجة عديدة لم يتم تبين أبعادها بعد، وحدثت أيضاً بعض وقائع النهب والسرقة، ولكن من بعض أبناء تلك العشوائيات الذين قاموا بجمع كثير من المسروقات وإعادتها، وسقطت في خضم ثورة 25 يناير محاولات دق الأسافين بين أبناء الوطن، ومحاولة صياغة النظريات العلمية التي تؤكد ذلك.

الوهم الرابع:

لقد اهتزت على أيدي ثوار 25 يناير محاولات شيطنة صورة "الإخوان المسلمون"، وتصوير الأمر كما لو كانت جماعة الإخوان المسلمين منتشرة بين رجال الجيش والشرطة، وأنه ما إنْ تعم الفوضى إلا ونشهد دبابة تتجه إلى مبني الإذاعة والتلفزيون، ونسمع البيان الأول من مرشد الجماعة. وقد شهدت البلاد فوضى لم نشهدها من قبل، بل وتم تحطيم بوابات السجون، وانطلق منها في من انطلقوا سجناء عديدون من معتقلي الإخوان، ولم يحدث شيء من ذلك المتوقع رغم حقيقة أن أية جماعة تجد في نفسها القدرة على الاستيلاء على السلطة لن تتردد لحظة واحدة. ولعل شباب ثورة 25 يناير قد اكتشفوا خلال تفاعلهم المباشر مع شباب الإخوان المسلمين أنهم يتعاملون مع بشر مثلهم، ليسوا ملائكة ولا شياطين. لقد أتاح لنا ثوار 25 يناير الفرصة لإعادة اكتشاف حقيقة أنه لا توجد قوة منفردة تستطيع أن تستأثر بحكم مصر، وأنه ليس اكتشافاً أن يلتقي أطراف لكل منهم أجندته، وأن الأجندة المختلفة ليست تهمة، أو وصمة.

الوهم الخامس:

لقد تكرر حديث مثقفينا عن عجز المصريين عن العمل الجماعي، وعجزهم عن الاعتماد على أنفسهم في إدارة شؤونهم؛ وجاءت ثورة 25 يناير لتكشف لنا ليس قدرة شباب الثورة على العمل الجماعي فحسب، بل قدرة المصريين جميعاً على ذلك. لقد قام المصريون في غياب الشرطة بالتعاون من أجل حماية أنفسهم، بتشكيل وحدات مدنية لحماية بيوتهم وأسرهم وممتلكاتهم، فضلاً عن تنظيم المرور. صحيح أن خبراتهم "الفنية" في هذه الأمور محدودة، ولكنهم مارسوا عملهم التطوعي بطهارة قابلها الجميع باحترام، ودون تذمر، ودون أن يحتاج أحد لرفع شعار "ألا تعرف من أنا؟"، ودون أن يخطر في بال أحد أن يقدم رشوة لاستثنائه. لقد قدم هؤلاء الشباب نواة لبديل نظيف للإدارة المحلية.

سادساً:

لقد ترتب على انتشار وتغلغل تلك الأوهام أن سادنا تصور أن أبرز خصائصنا تتمثل في العجز وقلة الحيلة والخوف واليأس من التغيير، وأننا حتى حين نطالب بالتغيير نجبن عن دفع ثمنه، وأخيراً جاءت ثورة شباب 25 يناير لتكون بداية لسقوط ذلك الوهم. لقد أسقطت تلك الثورة حاجز الخوف، ورأت عيون المصريين شبابهم يمارسون في الشوارع استعدادهم لدفع ثمن التغيير مهما كان باهظاً.

إن الفارق بين الوهم الجماعي والحقيقة الاجتماعية أن الوهم الجماعي وهم مصنوع لا يمثل الجوهر ولا يعبر عنه، بل تتم صناعته قصداً بالحديد والنار أحياناً، وعبر أجهزة تزييف الوعي، بشكل مستمر. ولكنْ، كما أنه لا توجد جريمة مكتملة تماماً، فقد تمكنت طليعة الجيل الجديد من الإفلات من تلك الحلقة الجهنمية المحكمة، ولعلهم يروون في يوم ما كيف نجحوا في الإفلات، وفي تشكيل وعي جديد.

خلاصة القول:

لقد كانت تلك الأوهام تشكل جوهر تصور المصريين لأنفسهم، وبسقوطها سوف تتشكل ملامح وعي مصري جديد مهما كانت طبيعة ما تسفر عنه الأحداث الجارية.

أساليب الارتقاء بالإعلام الأمني

أ.د. محمد أحمد النابلسي

ملخص

يرتبط مفهوم الأمن بكافة وجوه النشاط الإنساني، وهذا الارتباط يجعله على علاقة وثيقة بالسيكولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية. لذلك نرى أن ترسيخ العلاقة بين الإعلام الأمني وبين هذه العلوم ومعارفها هو الشرط الرئيسي للارتقاء بالإعلام الأمني.

فقد شجعت ثورة الاتصالات التبادلية بين هذه المعارف وتطبيقاتها، وسهلت دخولها إلى المجتمعات كافة. هذا الدخول الجدير بالتحول إلى فوضى أمنية، في غياب اعتماد الأمن على مرجعيات النظم الرمزية للمجتمع (أنثروبولوجيا ثقافية)، وإقامته لعلاقات وثيقة مع هذه المرجعيات، فالأمن لا يمكنه أن يعم إلا عبر حمايته للمعتقدات الضمنية للأفراد، حيث تشير التجربة إلى أن تجاهل الأمن لهذه المعتقدات يؤدي إلى اختلاله.

في هذه الورقة، سنعمد إلى مناقشة دور الإعلام الأمني في تقنين ظاهرة المجتمع المدني، وما يتفرع عنه من قوانين وحقوق، حيث يطرح هذا التقنين كضرورة ملحة لملامسة الموضوع لجوانب فائقة الحساسية في نظمنا الرمزية، وسيتركز مثالنا على مسألة حقوق الإنسان، التي لا يستطيع مجتمعنا قبولها بوجهها الوضعي، كونها مهمة جديدة وشرطاً للارتقاء يواجهان الإعلام الأمني، ويتعلقان بضرورة تقنين هذه المفاهيم الوضعية على ضوء الشريعة الإسلامية، وقبول ما يتناسب منها ومبادئ الشريعة فقط. ومن هنا كانت الفعالية الإجرائية لكتاب حقوق الإنسان في الإسلام. الذي سيكون نموذجنا عن دور الأمن في حماية المعتقدات الضمنية للأفراد. ذلك أن الفرد المسلم متعفف عن قبول أي اغراء بالحقوق متعارض وتعاليم الدين الحنيف، بل إن هذا الإغراء يمكنه أن يتحول إلى تهديد لانتماء الفرد وأمنه وحريته، خاصة عندما تستخدم قوانين الحقوق بشكل تأديبي ذي طابع إغوائي يشكل تحدياً للأمن وللثوابت التي يقوم عليها.

لقد كان المجتمع المدني ومتفرعاته إفرازاً طبيعياً لهيكلية المجتمعات التي نشأ فيها، مما يسمح بالاستنتاج والاعتقاد بانعدام فعاليته في المجتمعات القائمة على هيكليات وبنى مختلفة، وعدم مراعاة هذا الاختلاف الناجم عن الخصوصية، الذي هو في حد ذاته اعتداء على حقوق الإنسان، وحريته في معتقداته، وفي اختياره لأساليب معايشته للحياة، وتصوره للموت، وهذه أولى الحقوق الإنسانية وأهمها.

المقدمة

تعتبر ثقافة مجتمع ما تجسيداً "دينامياً" لهويته، فإذا كان التعريف الأنثروبولوجي للثقافة هو أنها أسلوب الحياة الذي يميز مجتمعاً ما عن المجتمعات الأخرى، فإن ذلك لا يعني بحال عجز الثقافة عن تطوير نفسها. فها هو المجتمع الغربي صاحب الثقافة البيضاء يطور ثقافته كي تتسع للمساواة بين البيض والملونين، وذلك خلال أقل من قرن.

إلا أن حفاظ الثقافة على دورها الحاضن والمجسد للهوية يشترط أن ترتبط عملية التطوير بمرجعيات الهوية، بما يستتبع ضرورة أن تتم حضانة التطور في رحم الثقافة نفسها، وألا تستورد تطورات تمت حضانتها في رحم ثقافة أخرى، إذ إن أي تجاوز لهذه المرجعيات يتحول مساساً "بالهوية"، وتالياً بأمن المجتمع، لأن تجاوز الثوابت الثقافية يمس المجتمع وأفراده بتهديد مثالياتهم ومقدساتهم ومستقبلهم. ومع اعتراف الأنثروبولوجيا بتفرد الشخصية الفردية، فهي تقرر وجود عناصر رئيسية مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد (الصيغة الكلية للشخصية الجماعية)، بحيث يؤدي خلل هذه الصيغة إلى فوضى تهدد لحمة المجتمع ومستقبله، وبالتالي فإنها تهدد أمنه واستمراريته.

من هنا، كان الحفاظ على الثوابت الثقافية أهم عناصر الأمن الاجتماعي، وأول أهداف الإعلام الأمني الذي أصبح مطالباً بجملة مسؤوليات جديدة تفرضها عليه ثورة الاتصالات التي تحمل معها عروضاً مغرية لاستبدال هذه الثوابت بأخرى تستجيب لغرائز الحياة وتستبعد التساميات، بل إن هذه العروض تترافق مع الدعوة لإسقاط كل أنواع الفكر الإنساني المنطوي على تساميات وتضحيات يقدمها الفرد لخدمة الجماعة، بما يشكل حرباً إعلامية معلنة ضد ما يسمى بالمجتمعات التقليدية.

ونظراً لتشعب الموضوع وتداخلاته المعقدة، فإننا سنتخذ في هذه الورقة مؤشراً نرى قدرته على تلخيص الصراع على الهوية ودور الإعلام الأمني وضرورات تطويره وإعداده لمواجهة هذا

الصراع، ومؤشرنا هو موضوع حقوق الإنسان بين الإسلام والقوانين الوضعية، وهذا ما يدفعنا لإجراء المقارنة بين الفكر البراغماتي المولد لقوانين الحقوق، وبين الفكر التقليدي.

القناعات الخاطئة

يرى الطب النفسي أن كل العوارض المرضية تنطلق من القناعات الخاطئة، وهذا يؤكد على أن إصلاح هذه القناعات، واستبدالها بقناعات سليمة، من شأنه القضاء على الظواهر المرضية، وهذا يمتد من الصعيد الفردي إلى الصعيد الجماعي.

ولو نحن حاولنا تقصي القناعات والأفكار الخاطئة المترسخة في أذهان الآخر عن الإسلام، لوجدنا أنفسنا أمام سيل عارم من هذه القناعات. ففي إحصاء أجرته إحدى المؤسسات الأميركية تبين أن 80٪ من الأميركيين يعتقدون أن إيران وباكستان هي دول عربية، وأن النسبة نفسها تعتقد أن المسلمين كلهم عرب، وأن العرب كلهم مسلمون... إلخ من القناعات التي يعامل الإسلام على أساسها انطلاقاً من مسلمات خاطئة ترتكز إلى مجموعة من الأفكار المسبقة التي يمكننا تصنيفها كالتالي:

1. إمكانية تطبيق الرؤى والمنطلقات العلمانية على الإسلام، وهي فكرة تتضمن إلغاءً تاماً للآخر (المسلم في هذه الحالة)، الذي تعلن العلمانية احترامها له، فالإسلام هو دين ينظم الحياة اليومية للمؤمن، ويضع لها الضوابط والشروط.
2. [illegible]
الكلية للشخصية الإسلامية، حيث تشكل محاولة فرض هذه المبادئ الوضعية على مجتمعات مسلمة (أو ذات أكثرية مسلمة) اعتداءً على هذه الصيغة الكلية، وبالتالي على الأفراد كافة المنضوين تحتها.
3. [illegible]
تعارض قابل للحوار ضمن الثوابت واحترامها، ومتحول إلى الصراع، مع تجاهل هذه الثوابت لارتباطها المباشر بالهوية.
4. [illegible] في الدول العربية والإسلامية.
5. [illegible]

ولعلنا نجد في طرح صموئيل هنتنغتون لفرضية صراع الحضارات، بما تضمنته من استعداء للإسلام، أفضل تجسيدات هذه الأفكار المسبقة والقناعات الخاطئة، والتي تتأكد من خلال القبول والانتشار الوبائي لهذه الفرضية، إلى أن تم إسقاطها بتصريحات رسمية!

وعبر استعراضنا لهذه القناعات الخاطئة، نجد أن للإعلام الأمني دوره في توضيح المفارقات المؤدية إلى نشوء مثل هذه القناعات المدعومة بإيحاءات مغرضة من مصادر متعددة، مما يقتضي تركيز الإعلام الأمني العربي على شرح وجهة نظره بالنسبة للموضوعات المطروحة والمسوقة كمؤشرات للتقدم الإنساني، كمثل الديموقراطية، وحقوق الإنسان، والتعددية، وغيرها من قوائم الحقوق التي لم يمض على ولادتها أكثر من نصف قرن، في حين تصدى لها الإسلام وحدد مواقفه منها منذ ظهوره.

حقوق الإنسان

تأتي حقوق الإنسان في رأس قائمة الحقوق، لتليها حقوق المرأة، والطفل، والأقليات، وغيرها من الحقوق، التي يؤكد الباحثون الاجتماعيون والسياسيون على كونها حصان طروادة الخشبي الذي يسهل تسلل الفكر الغربي إلى المجتمعات الأخرى من أجل تغريبها ودفعها قسراً للتخلي عن قيمها ومعتقداتها، وسائر مكونات هويتها، حتى تحولت تهمة انتهاك هذه الحقوق إلى تهمة جاهزة للتوظيف في خدمة المصالح الغربية.

ولقد أعفانا الدكتور عبد اللطيف بن سعيد الغامدي من مهمة شرح الموقف الإسلامي من حقوق الإنسان عبر كتابه القيم المعتبر من أحدث الدراسات حول هذه الحقوق وأكثرها علمية وموضوعية، إلا أننا وقبل أن نعرض لهذه المنطلقات، نود أن نعطي بعض النماذج والأمثلة عن عراقة هذه الحقوق وتاريخها في الغرب العلماني، فقد وضع الدستور الأميركي على يد الآباء الأوائل (ليعتبر بمنزلة الإنجيل الجديد وفق التعبير الأميركي) على يد البيض مالكي العبيد، وكانت المحكمة العليا الأميركية ترفض تمتع الملونين بالمساواة لغاية قيام الثورة الأميركية، التي لم تضع حدوداً نهائية للتمييز، وإنْ أعطت للسود بعض الحقوق الأساسية، حتى جاء مؤتمر الجمعية الأميركية لعلم النفس العام 1997 ليتضمن بحوثاً تؤكد عجز البيض عن تخطي تمييز اللون، مع تأكيد عدم ممانعتهم لحصول الملونين على كافة حقوقهم القانونية، ولكن بعيداً عن أوساط وتجمعات البيض. ولعلنا نذكر حملة التوقيفات التي رافقت انفجار أوكلاهوما الشهير، لتتركز على العرب المسلمين المقيمين في الولايات المتحدة، بصفتهم المتهمين الجاهزين، بل شديدي الجهوزية، لتهمة الإرهاب. وكانت النتيجة أن الميليشيات الآرية هي وراء الانفجار. وننهي هذه الأمثلة بسؤال عن عدد الرؤساء الأميركيين من غير الطائفة البروتستانتية، لنقدر مسألة حقوق الأقليات في المجتمع العلماني المثالي.

هذه الأمثلة هي غيض من فيض، ونحن نسوقها لتحري عراقة هذه التقاليد الإنسانية وصدقيتها، وهو تحرٍ يهدف للتذكير بحقنا في اعتماد تقاليد أكثر عراقة والتصاقاً بهويتنا وشخصيتنا الجماعية، وهو لا يهدف إلى التدخل في قيم الآخرين وقناعاتهم المشكّلة لأمنهم، والمؤسِّسة لأسلوبهم في معايشة حياتهم، فهل يكون من حقنا المطالبة بالحيادية عينها؟

والواقع أن حداثة تجربة حقوق الإنسان في الغرب تجعل هذه التجربة مفتوحة على جملة ثغرات خطيرة تتعلق بإهمال حقوق أساسية تتصدر الأولويات المطروحة في قائمة الحقوق الغربية. ولعل أهمها حق الإنسان في أن يموت وفق قناعاته الضميرية والدينية، ومن واجب الإعلام الأمني تكريس هذه المقارنات، وتحديد الحقوق الأساسية وتقديمها في لائحة أولويات جديدة تعيد جدولة الحقوق. وأول حقوق المرأة هو ممارسة غريزة الأمومة، وليس الحق في الانتخاب، وليست ظاهرة الأمهات العازبات في الغرب سوى تأكيد على ذلك، وإيذانٍ بضرورة مراجعة أولويات الحقوق.

حقوق الموت والحياة

تشير بحوث الطب النفسي إلى أن قلق الموت هو القلق الطاغي على الإنسان، كما تشير هذه البحوث لاستعداد الفرد للتنازل عن ممتلكاته لمواجهة هذا القلق، ولطلب الصحة، واستمرارية الحياة. وفي دراستنا المقدمة إلى المؤتمر العالمي التاسع للطب النفسي تحت عنوان: "رسم الزمن في أوضاع الكارثة" قدمنا عرضاً لحالة الاستسلام للموت لدى مرضى السرطان الميؤوس من شفائهم، حيث بينت الدراسة أن المدنف على الموت يمر بمراحل ثلاث هي:

1 ـ مرحلة عدم التصديق. 2 ـ ردود الفعل الهيستيرية. 3. الاستسلام للواقع والتهيؤ للموت.

وهذه المرحلة الثالثة تمثل مرحلة في حياة الإنسان يكون فيها بأمس الحاجة للتمتع بحقوقه قبل مفارقته للحياة. ومن هذه الحقوق حق المحكومين بالإعدام في مقابلة رجل الدين قبل إعدامهم في محاولة لاستجلاب الأمان في رحلة الموت، فهل تغفر الإنسانية حرمان الأفراد من حقهم في مفارقة الحياة مطمئنين؟ وماذا يبقى من حقوق الإنسان إذا تم تحريم هذا الحق، أو تجاهله؟ وهل يمكن التمييز بين الاغتيال وبين الحرمان من هذا الحق؟

إن ثورة الاتصالات تبقى عاجزة عن اجتياز جدار الموت، وعن الاتصال بالميت لحظة واحدة بعد وفاته. وعليه، فإنها عاجزة عن تقديم أية تصورات بخصوص حالة الموت، ومع هذا العجز عليها التسليم بحرية كل إنسان ليموت على طريقته الخاصة، ووفق معتقداته الخاصة، بما

يقودنا إلى عرض موجز لمفهوم الموت في الفكر الإسلامي، حيث تقبل التوبة لغاية لحظة طلوع الروح، وحيث البشر بنو آدم وسواسية، وبالتالي فهم مقبولون في الإسلام، إنْ هم أرادوا دخوله دون أي تمييز بين كائن وآخر. فإذا ما توفي الشخص فإنه يصبح بين يدي خالقه، وتسقط محاكماته الدنيوية، يستوي في ذلك المسلم وغير المسلم، لأن الإسلام يعتبر الجميع عباداً لله عز وجل. وهنا تبرز مسؤولية الإعلام في التعريف بهذا النوع من المساواة الذي لم تصل إليه منظمات الحقوق الوضعية التي تسعى إلى تغريب المجتمعات، فتدفعها باتجاه نمط حياة معاكس لقيمها ولثوابتها، بما يلغي حق الإنسان في الموت وفق هذه القيم والثوابت. ولعل التعبير الأكثر دلالة على هذه المحاولات هو ذلك القائل: "إن مشكلة الموت لا يمكن حلها باقتراح تركيب مكيفات الهواء في الجحيم!".

المرجعيات الفكرية لقوانين الحقوق

إذا كان من المعروف استناد قوانين الحقوق الإسلامية إلى الشريعة السمحاء، يصبح من الواجب تحري المصادر والينابيع الفكرية لقوانين الحقوق المسوقة حديثاً تحت شعار "الليبيرالية"، وترجمتها الحرفية "التحرر". إلا أننا يجب ألا نقع مجدداً في فخ المصطلح الظاهرة، وذلك إدراكاً لواقعة أن قبول مناقشة المصطلح يعني قبوله بغموضه، وقبول الفكر الكامن خلفه، والمنتج له، حتى لو كانت المناقشة معارضة كلية للمصطلح.

لقد وقعنا في فخ هذه المصطلحات بصورة تكرارية مملة، ولم يعد هذا التكرار مسموحاً، فقد عقدنا مؤتمرات لمناقشة هنتنغتون حول "صدام الحضارات"، وسقط المصطلح بأوامر البيت الأبيض. وقس عليه بالنسبة لمصطلحات الحقوق على أنواعها، وصولاً إلى مصطلح العولمة. وهنا نسأل هل تستمر الولايات المتحدة في تبنيها للعولمة إنْ هي أضرت بمصالحها؟ ويأتينا الجواب عبر المؤشرات التالية:

1. إحياء كلينتون لحلف الناتو بتغيير أهدافه الاستراتيجية، وتوسيعها خارج بلدانه، وخارج القارة الأوروبية، بما يعادل عودة معلنة إلى سياسة الأحلاف، وتخلياً عن النظام العالمي الجديد، كمقدمة لتجاهل العولمة.
2. دعم الولايات المتحدة لصادراتها بمبلغ 4 مليارات دولار سنوياً، في مخالفة صريحة وسابقة لقوانين منظمة التجارة العالمية (الغات).
3. رفض الكونغرس في تصويتين متتاليين طلب كلينتون في تسريع سيرورة العولمة.

4. امتناع بوش عن توقيع سبعة اتفاقات عولمية.

وبهذا نصل إلى السؤال: هل نحن نعادي العولمة لأنها أميركية فنعتبرها مهددة لهويتنا، ونستنفر للدفاع عن خصوصيتنا تجاهها؟ فماذا لو تخلت أميركا عن العولمة، وأعلنت رفضها لها؟ هل نتمسك عندها بالعولمة، ونقع في غرامها!؟

وهذه الأسئلة تتستبع السؤال عن الجهود الإعلامية المهدورة في مواجهة هذه المصطلحات التي تشبه الفقاعات، أو الشائعات التي تتنفخ ثم تختفي، فتذهب جهودنا هدراً. إننا بحاجة فعلية لفهم المنطلقات النظرية لليبيرالية كي نتمكن من اتخاذ المواقف الموضوعية حيال طروحاتها وتوجهاتها وخططها المستقبلية والآنية العابرة. وهذا يعيدنا إلى الفكر البراغماتي الذي وصف بأنه نظرية في المعرفة، وليس فكراً، ثم أعيد له بعض الاعتبار بعد تعديلات الفيلسوف شيللر على مبادئ واضع البراغماتية ويليام جايمس، وهي تعديلات انطوت تحت شعار "البراغماتية الإنسانية"، وهو الأب الفكري والروحي لليبيرالية الراهنة، بما يحملنا على استعراض مبادئ نظرية شيللر.

1- براغماتية فرديناند سكوت شيللر

حافظ شيللر على مبدأ جايمس الأساسي الرابط بين قيمة المعرفة وبين منفعتها، فأعطى للإنسان مكانة الصدارة في التفلسف، بحيث يشارك فيه بعقله وحسه وإدراكاته جميعها، بل وأيضاً بوجدانه. مكرساً الإنسان كمركز للعالم الفكري بأكمله، جامعاً بذلك ما بين أكسيولوجية بروتاغوراس القائلة "بأن الإنسان هو المرجع في كل الأمور"، وبين تشاؤمية نيتشه القائلة "بأن الإنسان هو حيوان لن نصل يوماً إلى فهمه"، لذلك تجب متابعة دراسته. واعتبر شيللر أن هذه القيمة التي أعطاها للإنسان تحول البراغماتية إلى الإنسانية. ومن هنا تسمية "البراغماتية الإنسانية" فهو ينصب الإنسان حكماً على منفعة المعرفة، وبالتالي على قيمتها. من هنا استبداله أحكام "الوجود" بأحكام "القيمة"، بحيث تتحول الحقيقة إلى مجرد أداة للعمل، بعد أن فقدت إطلاقيتها وتجريديتها، فلا تصبح واقعة إلا بفعل الإنسان فيها.

ويعتقد شيللر أن نظرته النسبية للحقيقة تحرر الإنسان من التناقض الأزلي القائم بين طموحاته، وبين بطش رأي الجماعة◆ الذي يشكل القوة والسلطان اللذان ينزعان عن الإنسان استقلاله الروحي، وهو يستبق الانتقادات التي يمكنها أن توجه إلى آرائه بالقول إن الفكر كان دائماً فكراً "فردياً". ومن هنا معارضة هذا المذهب لكل إطلاقية، وكذلك للواقعية (القريبة من المثالية المطلقة). والتصاقاً بصفة الإنسانية، يحتج شيللر على تجريد المنطق من

المعاني الإنسانية، مما نزع الطابع الإنساني عن الفكر، وهذا الانتزاع يبرر لشيللر السخرية من المذاهب التي تدعي بلوغ الحقيقة، وهو يطرح بديلاً عملياً (براغماتياً) لهذا البلوغ، فيرى أن اختلاف مذهبين، عبر التاريخ، على حقيقة واحدة مدعاة للتشكيك بوجود هذه الحقيقة. ويدعم رأيه بفردية الفكر، فما المذاهب الفلسفية إلا انعكاسات لعقليات أصحابها ولحالاتهم المزاجية، وهي بالتالي "بدع فردية". وهنا يستشهد بقول فيخته: "إن مزاجي يفسر فلسفتي"، بل إن شيللر يذهب إلى أبعد من ذلك، فيرى أن الفيلسوف هو إنسان يرتاح إلى ما يلائم مزاجه الشخصي، ويتصور أو يفتش عن عالم يلائم هذا المزاج. ويدعم رأيه هذا برسالة كتبها نيتشه في العام 1870 يقول فيها "... من الأرجح أننا نختار من بين الفلسفات جميعها تلك القادرة على تفسير طبيعتنا، فنؤثرها على غيرها...". ويتوج شيللر رؤيته بالفكرة التالية: **"إن كل نظرية أو فكرة غير قابلة للتطبيق في الحياة، وفي البحوث العلمية، هي غير صحيحة مهما بلغت درجة منطقيتها"**.

وهذا المحك هو معيار النجاح وموجهه. فالحقيقة التي شغلت الفلسفة والأديان يجب أن تكون مسألة عملية قبل كل شيء، والإنسان الباحث عن التكيف مع بطش قوة الرأي كي يصل إلى النجاح، عليه أن يتعلم، وأن يعرف دوماً كيف يكتشف الحقيقة (حقيقة نفسه والآخرين).

عند هذا الحد نجد أن المذهب الإنساني يطرح نفسه وسيطاً مفصلياً بين الفلسفة وعلم النفس، وهي وساطة تكرست بقيام شراكة نفعية متبادلة بينهما، بل وبقيام تيارات تدعو لمزجهما مزجاً تكاملياً، إلا أن وساطة المذهب لا تغطي الفلسفة وعلم النفس بمعانيهما التقليدية، فهي تقتصر على الربط بين النشاط الواعي للذات، وبين الومضة العقلية المؤدية للمعرفة و/ أو لنموها وتطورها. وعلى هذا الأساس، يتحول المذهب الإنساني إلى نظرية نفسانية تلقى اليوم التأييد المتنامي. وتتلخص هذه النظرية بالقول إن الإنسان هو الذي يصنع الحقيقة، وعبرها فإنه يصنع الواقع، وبذلك يصبح عدم رضانا عن واقعنا نتيجة لخطئنا في صنعه وصنع الحقيقة المؤدية إليه، فإذا ما أردنا تغيير واقعنا علينا أن نعيد النظر في رؤيتنا للحقيقة، وفي تصنيعنا لها.

وعندما يفلسف شيللر هذه المعادلة، فإنه يقول: بأن الحقيقة والواقع ليست بالأشياء الحتمية المبتوت في أمرها مسبقاً وبصورة نهائية، إذ لا توجد هنالك حقيقة ثابتة كل الثبات، ولا واقع جامد فاقد للمرونة (فالواقع متحرك سيال، ونحن نسيل معه، ونسمي حقيقة كل تأكيد نصادفه خلال هذا التحرك، وتمكننا السيطرة عليه، والتحكم به، لتحسين شروط العمل (برغسون).

ويتابع شيلر بأنه إذا كانت الحقيقة صناعة بشرية، فإنه من الطبيعي أن تختلف باختلاف الأشخاص ومعتقداتهم ودرجات وعيهم وحالاتهم المزاجية، وإنْ نحن أردنا صناعة حقيقة ملائمة لنا، فإن علينا أن نأخذ كل هذه العوامل بعين الاعتبار.

وهنا يردنا شيلر إلى صميم علم النفس مرة أخرى، فكيف لنا أن نتحكم بهذه العوامل، أو حتى أن نتعامل معها قبل أن نستوعبها؟ ويقدم لنا شيلر المساعدة في هذا المجال، باقتراحه تصنيفاً للمعتقدات (ومتغيراتها)، فيقول بأن الاعتقاد ضروري للإنسان حتى يستمر في الحياة وفي التفكير، وبين قطبي "اللااعتقاد" و"الاعتقاد" يصنف شيلر الاعتقادات على النحو التالي:

1 ـ الاعتقادات الضمنية ـ التي لا نجاهر بها ولا نناقشها.

2 ـ الاعتقادات الجدالية ـ وهي غير مستقرة، لكننا نسلم بها عن بينة.

3 ـ أنصاف الاعتقادات ـ وهي غير ثابتة (غالباً دينية برأي شيلر).

4 ـ الاعتقادات الخائنة ـ نتيجة خطأ في نشاط الذات الواعية (غالباً سياسية).

5 ـ الاعتقادات الموهمة ـ وهي إيحائية الطابع.

وعبر هذا التصنيف، يبين لنا المذهب الإنساني لا إطلاقية المعتقدات، وعدم اضطرارنا للاستسلام لها كأداة بطش اجتماعية، أو سلطوية. وتالياً، فإننا لسنا عبيداً لمعتقداتنا، فنحن أحرار في اختيارها وتعديلها بما يتناسب مع طموحاتنا الفردية ورغبتنا في تعديل البيئة (الواقع) وفق غاياتنا.

ولكنْ، هل يعني ذلك حرية العيش الإنساني؟ فلو نحن سلّمنا أن الإنسان يصنع واقعه بنفسه، فإننا نقع في إشكاليتين ميتافيزيقيتين، وهما : 1 ـ عدم كمال الواقع. 2 ـ حرية الفعل الإنساني.. هل هي مطلقة؟

من جهته، يتجاهل شيلر في إجابته هاتين الإشكاليتين، فيرى أن حرية الإنسان هي أمر واقع، لأنها غير محدودة بواقع ثابت (لأن العالم غير تام، لذلك فهو يتغير ويتطور باستمرار مغيراً معه الواقع).

في المقابل، نجد أن شيلر لا ينكر "الحتمية"، ولكنه يجد البينة على محدوديتها في نتائج أبحاث الفيزياء الكوانتية، التي أثرت الفلسفة، وقدمت لها أداة ثمينة لاستيعاب منهج العلم وطبيعة المعرفة.

مما تقدم، نجد إغراقاً في النظري يحجب عن بعضهم علاقة هذا المذهب بفلسفة نهاية القرن (وعولمة أنماط السلوك واحدة من تجلياتها)، لكن الخلاصة التالية توضح لنا بجلاء هذه العلاقة، وهي اختصاراً:

إن عدم تمام العالم، وحاجته للتطور، تحولان الواقع إلى عدم الثبات، وإلى إمكانية التحكم وتشكيله، بحيث يمكننا أن نصنع منه ما نشاء، بل إننا نبدل فيه، ونبتدع منه، على الدوام، وبدون توقف. وبما أن عالمنا مستمر في نموه وتطوره، فإن عملية ابتداعنا للواقع غير قابلة للتوقف، أو للانتهاء. وبذلك، فإن المستقبل هو عبارة عن مجموعة ممكنات (أو احتمالات) يمكننا أن نحول بعضها إلى واقع، وبعضها الآخر إلى مستحيل (المستقبليات من تجليات هذا المذهب أيضاً)، أما عن اتجاه هذا التحويل فهو يتعلق بعوالمنا الفردية (ومنها الاعتقادات المشار لها أعلاه).

فإذا ما راجعنا تعددية الاعتقادات، واختلافاتها، وضرورة قبولها والتعامل معها (وهو ما سبق ذكره أعلاه) أدركنا نصيحة شيللر، أو جملة نصائحه، وهي:

أ - يجب احترام جميع المعتقدات حتى ما يبدو منها باطلاً، شرط أن يكون أصحابها صادقين مخلصين لها.

ب - يجب الابتعاد عن مواقف التشيع.

ج - يجب الابتعاد عن المواقف الحزبية.

د - يجب الابتعاد عن مواقف العنصرية والتمييز وتجنبها.

هـ - يجب اعتماد قيم التسامح والشمولية الإنسانية.

فإذا ما التزم الفرد بهذه التعاليم، فإنه يفقد أية خصوصية، ويتحول إلى مواطن عالمي، وهذه هي "العولمة" (بوجوهها الاقتصادية ونظيرة الأيديولوجية) التي أرسى شيللر مبادئها مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، وتوفي عام 1937 قبل أن يشهد فصولاً من تطبيقاتها.

مناقشة المرجعيات الفكرية لقوانين الحقوق

بعد هذا العرض المختصر قدر الإمكان للمذهب الإنساني البراغماتي، نجد إمكانية الارتقاء في مستوى الخطاب بعيداً عن التيه في المتفرعات الدقيقة (الشعرية) للتفاصيل إلى مناقشة فكرية للعولمة قابلة لتحديد أطرها ومراميها. ونبدأ هذه المناقشة منطلقين من المبادئ الملخصة للمذهب، فنرى:

1- احترام معتقدات الغير شرط أن يكون صادقاً في اعتناقه لها

وهنا يطرح السؤال: من يحدد هذا الصدق ومقداره؟ ومن يتولى مهمة توزيع هذه المعتقدات وتصنيفها إلى ضمنية وجدالية وخائنة وموهمة وإنصاف اعتقادات؟ وهذا الغموض يكاد يساوي

احتقار معتقدات الغير، وإلغائها إنْ هي لم تتوافق مع معايير التصنيف وفق رؤية الأقوى لها[1].

بل إن سؤالاً أكثر جذرية يطرح نفسه، وهو: هل تعني الحرية الإنسانية وجوب الحصول على الاعتراف بالمعتقدات؟ وإذا كان ذلك واجباً فمن هي الجهة المانحة لهذا الاعتراف، وما هي الإثباتات والقرائن الواجب على صاحب المعتقد تقديمها لنيل هذا الاعتراف؟

وإذا كان هذا المذهب شريكاً للسيكولوجيا، فإننا نطرح السؤال عن سبب إهماله للغرائز الإنسانية، وهي محرك أقوى فعالية من الاعتقادات، فماذا عن غرائز البقاء والاعتراف واستمرارية النوع لدى شعوب يأكلها المرض والمجاعات، مع تعرضها لمساومات تهدف لإقناعها بتبديل اعتقاداتها حتى يسمح لها بالاستمرار في الحياة[2].

2 . الابتعاد عن مواقف التشيع.

ألا يتعارض هذا المبدأ مع أبسط المسلمات الإنسانية والسيكولوجية؟ ماذا فعلت البشرية عبر حربين عالميتين، ومئات الحروب الصغيرة عبر هذا القرن؟ وماذا عن مبدأ الأحلاف (الاقتصادية والعسكرية والعرقية... إلخ)؟ ألا تندرج هذه جميعها في خانة التشيع؟

3 . الابتعاد عن الحزبية

وهنا نذكر بأن الحزبية هي المصطلح السياسي لما تطلق عليه السيكولوجيا تسمية "الانتماء". والانتماء مرادف للحياة. هذا دون أن نتجاهل إشارة شيللر المحقة حول أعباء الانتماء وتبعاته وثقلها على طموحات الفرد، لكننا نرى في المقابل أن التخلي عن الانتماء، أو فقدانه، يعني فقدان الاعتراف، وهو أزمة وجدانية تهون أمامها إعاقة الطموحات.

4 . الابتعاد عن العنصرية والتمييز

وهو ما يكتسب راهناً تسمية "الحقوق المدنية"، وهو شعار رائع إذا توصلت البشرية لوضع

---

[1] - وهنا نكرر سؤالاً طرحناه في مناسبات عديدة، وهو هل تقبل الولايات المتحدة (أو أية دولة قوية) بالعولمة لو كانت معارضة لمصالحها؟

[2] - وهنا نجد كاختصاصيين أن من واجبنا التذكير بأن الغرائز أكثر أصالة من المعتقدات، فالأخيرة تستوجب عملية تسامي (Sublimation) لا تتوافر شروطها دائماً. من هنا، فإن الغلبة تكون للغرائز في حال تعارض المعتقدات معها. وهذه الحقيقة يمكنها توفير صراعات ونزاعات عديدة لو أخذتها السياسة بعين الاعتبار. ويمكننا التأكيد بأن تجاهل الخصوصيات الذي تمارسه العولمة الراهنة هو المسؤول عن من الصراعات العديدة القائمة والمستقبلية، والتي تتم على شكل حروب صغيرة، ولكنها دموية أكثر من المألوف.

معايير عالمية (عابرة للمصالح والجماعات) له، لكن الواقع يشير إلى أن أغنياء المعلومات هم الذين يفرضون معاييره، في حين يدفع فقراء المعلومات فواتير هذا الخلل المعياري. وفي مجالنا الحالي، يهمنا من فقر المعلومات فقر الإعلام، وفقدان، أو ضآلة، قدرة التأثير على الرأي العام العالمي.

5 - اعتماد قيم التسامح الإنساني.

وهنا نتساءل عما إذا كان السباق على امتلاك أسلحة الدمار الشامل والجهود المبذولة لاحتكارها وتطويرها هي من مظاهر هذا التسامح؟! أم تراها تلك الحروب الرمزية (استخدام قوة عسكرية بدون إعلان حرب، وبدون تدخل بري، وبدون احتمالات خسارة من أي نوع!) هي الرمز لقيم التسامح الإنساني الجديدة، بما يستتبع السؤال عن إيحاء افتقاد الأيديولوجيات، والأديان خاصة، لقيم التسامح، وذلك بوصفها آراء جماعية ضاغطة على الفرد؟!

6 . من ماركس إلى شيللر.

مع احترامنا للمسافة النظرية - الفلسفية الفاصلة بين المذهبين، فإننا نرى اشتراكهما في هدف التعولم، وكذلك في خطيئة مشتركة هي خطيئة تجاهل الغرائز الإنسانية، وكل نظرية تتجاهل هذه الغرائز،أو تجمدها، أو تحاول إلغاءها، هي نظرية آيلة للسقوط. وهذا يقودنا إلى سؤال تكرر كثيراً في العقد الأخير، وهو لماذا سقطت الماركسية، واستمرت البراغماتية (الرأسمالية)؟ وجوابنا الشخصي أن تفوق البراغماتية يأتي من احترامها لغريزة الربح (تحقيق المكاسب)، لكن هذه الغريزة لوحدها لا تشكل إكسير الحياة الذي يضمن للنظرية الخلود والانتصار، فالبراغماتية تتجاهل وتقمع غرائز على مستوى عالٍ من الخطورة، ومنها غريزة الموت والاعتراف، واستمرار النوع والحفاظ على الخصوصية الذاتية... إلخ من الغرائز المكبوتة التي تؤكد على بداية نهاية البراغماتية، ولكن هل يعني فشل النموذج السوفياتي للماركسية، أو الأميركي للبراغماتية، نهاية هذه النظريات؟

لحسن الحظ، فإن نظريات الاستقراء التاريخي مجتمعة تؤكد أن فشل التطبيق لا يعني بحال فشل النظرية، بل إن الاستقرائيين يحددون مدة جيلين كفترة تحتاجها النظرية (التي فشل تطبيقها) من أجل إعادة تنظيم ذاتها (Reorganisation)، إلا أن ما يجب التنبه له ليس فقط قرب الانهيار المدوي للرأسمالية، بل قرب اكتمال فترة جيلين على سقوط الفاشية، وبداية علائم انبعاثها بقوة حتى داخل معقل الرأسمالية العالمية (الولايات المتحدة)، وعندها

فقط قد يعتقد بعضهم أن كؤوس العولمة، وصدام الحضارات، ونهاية التاريخ، هي أقل مرارة من كأس الفاشية القادم إلينا بسرعة خلال عقد، أو عقدين، من الزمن الآتي، مع الالتفات إلى ملامح النقلة الفاشية عند البراغماتيين المعاصرين، وفي طليعتهم إسرائيل، التي تكاد تعلن فاشيتها، لكنها تنتظر التحولات التي تجعل الرأي العام أكثر تقبلاً لهذا الإعلان.

الإسلام وحقوق الإنسان

أسخف الحيل وأكثرها افتضاحاً هي حيلة "ادعاء الحكمة بمفعول رجعي"، إذ تطالعنا فجأة صرعة "قانون الحقوق الأميركي"، وهي صرعة إيجابية على أية حال، فنحن لا نتمنى استمرار قوانين الرق والعبودية للسود الأميركيين مثلاً، كما نقر بأهمية وجود قانون يردع استخدام الأسلحة المحرمة دولياً. وباختصار، فإننا نؤيد وجود مرجعيات أخلاقية ـ قانونية ضابطة للغرائز السلبية والعدوانية في مجتمعات عديمة التراث والضوابط الأخلاقية.

أما أن يبلغ ادعاء الحكمة جرأة الدعوة إلى تخلي مجتمعات ذات تراث أخلاقي متكامل وعريق عن هذا التراث لصالح هذه القوانين الوضعية فمسألة تتجاوز الوقاحة، إذ تنطوي على محاولة إلغاء تقارب "الإبادة المعنوية". وتتجسد هذه الوقاحة بدعوة المجتمعات الإسلامية، المجتمع السعودي مثلاً، لتطبيق هذه القوانين الوضعية على حساب القوانين المحددة في الشرع الإسلامي. وهذه النقطة استثارت أقلاماً كثيرة انتقينا منها الدراسة المميزة للدكتور عبد اللطيف بن سعيد الغامدي، والمعنونة "حقوق الإنسان في الإسلام"، والمنشورة في كتاب صادر عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

في هذه الدراسة يطرح الباحث أصل الحقوق والحريات، فيعود إلى المنظور الإسلامي للحقوق، كي يقرر أن الإسلام ينظر لكافة البشر على أنهم أبناء آدم، ومن هنا شيوع مصطلح الأخوة البشرية في الإسلام. ويورد الكاتب هنا مخاطبة الباري عز وجل للبشر بلفظة بني آدم، بتكريس مطلق لهذه الأخوة، حيث التمايز لا يتم على أسس دنيوية، وإنما على أساس التقوى ومخافة الله، وبذلك فإن أبسط الحقوق البشرية هو حق الإنسان في أن يتخيل الحياة الأخرى، ويؤمن بها وفق معتقده، وأن يموت ويدفن وفق تعاليم دينه، وهذه التعاليم مستحيلة الفصل عن النظم الرمزية المحددة لأطر العلاقة داخل الجماعة وخارجها والناظمة للعلاقة مع الآخر. ويتنامى أثر هذه النظم الرمزية في الديانة الإسلامية التي تنظم الشؤون الحياتية للمؤمن، وهذه الحقوق هي الأساس، أما الحقوق الوضعية فهي الفرع. وهذه الأخيرة تتحول إلى منتهكة لحقوق الإنسان إن هي تجاوزت الحقوق التي تحددها النظم الرمزية

للجماعة، فمثل هذا التجاوز إنما يعني إلغاء تراث الجماعة وتاريخها، ومنعها من معايشة الحياة وفق قناعاتها، فهل يمكن لقانون وضعي، مهما بلغ مستوى تسويقه، أن يدعي الحق بإلغاء تراث جماعة ما، وسحب الاعتراف بها؟ وإذا ما حدث وأن سحب الاعتراف من جماعة ما، وانتزع منها، فماذا يبقى من الحقوق بعدها؟ وعن أية حقوق إنسان نتكلم؟

لاشك بأن المجتمع المعاصر يضم جماعات قامت بهجر نظمها الرمزية، أو بعضها، تحت مسميات عديدة. وهذه الفئة تحديداً تحتاج آلة قوانين حقوق وضعية لسد ثغرات الانتماء وهجران الهوية، وحاجة هذه الجماعات للقوانين التعويضية لا تبرر بحال محاولتها فرض قوانينها على الجماعات المنتمية والملتزمة بجهاز قيمها وأنظمته الرمزية، إذ إن عولمة قوانين الحقوق مستحيلة بسبب اختلاف الثقافات، وهذا ما تبينه مختلف التجارب التاريخية. وتكفي الإشارة هنا إلى أن أياً من النظم الرمزية لن يتمكن من إلغاء أي نظام رمزي آخر. ولو نحن أخذنا اللغة مثالاً على النظم الرمزية لوجدنا أن أياً من اللغات لم يتمكن من إلغاء اللغات الأخرى، بدليل تعددية اللغات المعاصرة، وإذا كانت الإنكليزية قد تكرست كلغة عولمة، فإن ذلك يعود للاضطرار إلى التعامل معها، وليس إلى إسقاط اللغات الأخرى.

في هذا السياق، يؤكد المؤلف على عدم صلاحية المنهج التبريري في التوفيق بين النظم الرمزية، والقوانين الوضعية، والاكتشافات العلمية، ويرى أن بعض المؤلفين في موضوع حقوق الإنسان في الإسلام قد تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه حقوقاً لم تُعرف إلا في هذا العصر الذي ننتمي إليه. ويضيف الغامدي:... إن بعض التبريريين يقيمون تبريراتهم انطلاقاً من فكرتي الأسبقية والاستيعاب اللتان تعتمدان الإسقاط المرتكن إلى التأويل المتعسف من خلال جعل الحاضر ماثلاً في النص القرآني، بحجة أنه احتوى كل شيء...".

والواقع أن هذه التأويلات التعسفية للنص القرآني تستحق دراسة، بل دراسات، متعمقة، كونها ترتكب خطيئة ربط النص بمرجعيات جامدة وظرفية، وما مسألة حقوق الإنسان في الإسلام إلا واحدة من هذه التأويلات. وهنا يؤكد الغامدي على أن عدم احتواء النص على التفاصيل الجزئية لا يعني عدم اكتماله، أو هو يعد نقيصة فيه، فالقرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، أو قانون، حتى يؤخذ عليه سكوته عن بعض التفاصيل، فهو قد احتوى على الأفكار الرئيسية الأساسية والمهمة تاركاً حيثياتها وتفاصيل تطبيقها للأمة، وذلك وفق الأصول والضوابط الشرعية، وهنا يذكر المؤلف قولاً لإسحق الشاطبي، إذ يقول: "... إن كثيراً من الناس قد تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد. فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين، من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وأشباهها...".

ويخلص المؤلف إلى التقرير بأن الإسلام قد أصّل لحقوق الإنسان انطلاقاً من احترام الذات البشرية وتكريمها. برهان ذلك في قوله تعالى: ولقد كرمنا بني آدم. وهو بذلك حائز قصب السبق على الأديان الأخرى، وحتى على القوانين الوضعية، حيث التكريم القرآني للإنسان هو تكريم لا يشوبه تمييز، أو تحديد لزمان، أو لنوع. وهذا التأسيس المبني على وحدة النشأة والطبيعة والعقيدة والمصير استبعاداً لكل تمييز بين البشر. وهكذا، فإن تأسيس حقوق الإنسان على الدين فيه تأمين لها وصيانة من كل تفرقة أو تمييز.

والواقع أن توقفنا عند هذا الكتاب وموضوعه كان بهدف إعطاء مثال عملي على محركات تطوير إعلامنا الأمني والارتقاء به، إذ يستحيل الفصل بين أمن الجماعة، وبين اطمئنانها لصيانة نظمها الرمزية، واحترام قيمها، فالحقائق التي يعرضها الكتاب واجبة التعميم في ثقافتنا لدعم أصالة قوانين الحقوق في جهاز قيمنا، ودحض الافتراءات المعنونة بقوانين الحقوق منجهة، وهو واجب التعميم والنشر في الثقافات الأخرى لتبيان المسعى الإسلامي المتأصل منذ 15 قرناً، لتحقيق العدل في العلاقات الإنسانية، فقانون الحقوق الإسلامية

لا يقتصر على المؤمنين، بل يمتد إلى المخالفين، والأمثلة على تسامح الإسلام، ورعايته لحقوق غير المسلمين كثيرة ومعترف بها. لذا، لابد من تعميم خلاصة الغامدي حول موضوع الحقوق، والقائلة بأن الإسلام ينظر لجميع الناس على امتداد الزمان والمكان على أنهم أخوة، لكونهم جميعاً أبناء آدم، وهذه المساواة لا تحتمل النسبية، وتعدد الدلالات، الذي تنطوي عليه تطبيقات منظمات الحقوق المسيسة، التي ترمي الآخرين بدائها، ثم تنسل!؟

مسؤوليات إضافية

إن المواضيع المشار لها أعلاه تبين لنا أن التهديد الذي يحيق بجهاز قيمنا لا يقتصر على ميدان بعينه، فلو عدنا إلى المرحلة التاريخية المفصلية، المتمثلة بسقوط جدار برلين، لوجدنا أن الآحادية القطبية لم تكتف بالسيطرة العسكرية - الاقتصادية، بل هي تجاوزتها إلى طموح السيطرة الفكرية، وهي الأخطر، فكان الإعلان عن سقوط الأيديولوجيات، حيث العودة إلى مبادئ شيللر البراغماتية تشير إلى كون هذا الإعلان يتضمن في طياته الاعتقاد بسقوط الفكر التقليدي، وليس فقط الفكر السياسي الأيديولوجي، وبمراجعة السلوك الغربي تجاه الفكر التقليدي، نجد أنه ينحو باتجاه الإعلان عن سقوط هذا الفكر، وما طرحه هنتنغتون لصدام الحضارات، وتصدير الإسلام كمصادم رئيسي فيه، سوى مقدمة للإعلان عن هذا

التوجه. وبالرغم من سحب هذه الفرضية من التداول، فإننا نجد أن الإصرار على عولمة نمط الحياة الأميركي هو خطوة مبطنة باتجاه تفعيل هذا الصراع، وصولاً إلى تحويله إلى صدام بارد، وغير معلن.

الأستاذ فرويد
والتلميذ كارل غوستاف يونغ

بدأت مغامرة تطوري الفكري عندما صرت طبيب أمراض عقلية، ورحت بكل سذاجة أراقب المرضى سريرياً من الخارج، فوقعت على سياقات Processes ذات طبيعة تستوجب التوقف عندها، فوضعت هذه السياقات تحت الملاحظة، وشرعت في تصنيفها بدون أن أفهم من محتوياتها شيئاً، وكنا نعتبر هذه المحتويات قد تم تقويمها تماماً عندما نصفها بـ"محتويات مرضية" Pathological contents. لكن، مع مرور الزمن، أخذ اهتمامي يزداد بالحالات التي كنت أختبر فيها شيئاً أفهمه، كالبارانويا، والكآبة الحادة، والاضطرابات ذات المنشأ النفسي. وكنت، مذ بدأت أعمل في الطب العقلي، أستمد من دراسات بروير وفرويد، فضلاً عن عمل بيير جانيه، ثروة من الإلهامات والمحرضات، لكني وجدت في "تقانية" فرويد في تحليل الأحلام وتفسيرها ما يلقي ضوءاً كاشفاً على المظاهر التي يتخذها "الفصام".

ترجع قراءتي لكتاب فرويد في "تفسير الأحلام" إلى عام **1900**، وكنت يومئذ في الخامسة والعشرين. لم أفهم الكتاب فطرحته جانباً، إذ كانت تعوزني الخبرة، التي لم تأت إلا بعد حين، لكي أتفهم نظريات فرويد. ولما عدت إليه في عام **1902**، تبين لي مبلغ صلته بأفكاري. كان الذي يهمني، بصفة رئيسة، تطبيق مفهوم آلية الكبت على الأحلام، وهي الآلية المستفادة من سيكولوجية العصاب.

فقد كان هذا الأمر ذا أهمية بالغة عندي، إذ كنت كثيراً ما ألاقي مكبوتات في اختبارات التداعي التي كانت أجريها على المرضى: ألقي على المريض كلمات تحريضية معينة، فكان إما لا يجيب بشيء، لأنه لم يكن عنده ما يرتبط بهذه الكلمة أو تلك، وأما يجيء رجعه بطيئاً على خلاف الأصل. وقد تبين لي، في ما بعد، أن هذا الاضطراب يحصل

كلما مست الكلمة المحرضة موضعاً من نفس المريض فيه آفة أو نزاع، ويكون المريض، في أغلب الأحيان، غير شاعر بذلك. ولما كنت أساله عن سبب اضطرابه، كان يجيب إجابة مصطنعة في الغالب.

أظهرتني قراءتي لكتاب فرويد في تفسير الأحلام على أن آلية الكبت تفعل فعلها هنا أيضاً (أي في اختبارات التداعي)، وعلى أن الوقائع التي راقبتها تتفق مع نظريته، مما جعلني أتحقق من صحة الحجج التي أوردها في كتابه.

لكن الوضع كان يختلف عندما نأتي إلى المحتوى المكبوت؛ هنا لم أستطع أن أتفق مع فرويد، فهو يعتبر الكبت يرتد إلى ارتضاض جنسي Sexual Trauma، أما أنا فقد علمتني الخبرة أن ثمة حالات كثيرة من العصاب لا يلعب فيها الجنس سوى دور ثانوي، بل كانت فيها عوامل أخرى تحتل مركز الصدارة، كمشكلة التكيف الاجتماعي، والوقوع تحت وطأة ظروف الحياة القاسية، واعتبارات النفوذ، وغير ذلك. ولما عرضت مثل هذه الحالات على فرويد بعد أن تعارفنا، وجدته لا يسلم إلا بعامل الجنس سبباً لها، وما كان هذا ليحملني على التسليم بوجهة نظره.

في البداية، لم يكن يسيراً علي أن أنزل فرويد عن المكانة الرفيعة التي أحللته فيها من نفسي، أو أن أتخذ منه الموقف الصحيح. ولما أصبحت عارفاً بكتابه، كنت أسعى للدخول في الحياة الأكاديمية، وكنت أوشك على الانتهاء من دراسة كنت أعتزم تقديمها إلى الجامعة. لكن فرويد كان يومئذ شخصاً غير مرغوب فيه في الأوساط الأكاديمية، وكان اتصالي به حقيقاً بأن يلحق بي ضرراً بالغاً. فقد كان "أصحاب الشأن"، إذا ذكروه، ذكروه، على الأغلب، تلميحا، وكان إذا جرى بحث بشأنه، ففي الممرات لا في القاعات. لذلك ما كان اتفاق اختباراتي في التداعي مع نظريته ليجلب السرور إلى نفسي.

وفي مرة كنت في مختبري أفكر في هذه الشؤون، فوسوس لي الشيطان بأن لدي من المبررات ما يبيح لي نشر النتائج التي توصلت إليها من اختباراتي بدون الإتيان على ذكر لفرويد، لاسيما وأني كنت قمت باختباراتي قبل أن أتفهم كتابه بزمن طويل. ولكني ما لبثت أن سمعت صوتاً آخر من شخصيتي الثانية: "لو فعلت شيئاً من هذا القبيل، كما لو كنت غير عارف بفرويد، إذن لكنت مخادعاً. وإنك لن تستطيع أن تبني حياتك على كذبة". بهذه النتيجة انحسم الأمر. ومنذئذ أصبحت مناصراً لفرويد في العلن، ورحت أدافع عنه بلا هوادة.

أول مرة تناولت فيها الحجارة أنافح عنه كانت في مؤتمر انعقد في مدينة ميونيخ، حين ألقى باحث محاضرة في "العصاب المتمكن" تعمد فيها إغفال ذكر فرويد. كتبت، بهذه

المناسبة، في إحدى المجلات الطبية.. وكان ذلك في عام 1906، مقالاً عن نظرية فرويد في العصاب أسهم في فهم "العصاب المتمكن" إلى حد بعيد. فكتب إلى اثنان من الأساتذة الألمان، تعقيباً على هذا المقال، يحذران من الوقوف في صف فرويد والدفاع عنه، لكيلا أعرض حياتي الأكاديمية للخطر، فقلت: "إن كان ما يقوله فرويد حقاً فأنا معه، ولا أعير أدنى اهتمام لحياة أكاديمية تقوم على خنق البحث وإخفاء الحقيقة". ومضيت أدافع عن فرويد وأفكاره، غير عابئ بالنتائج، وظللت مع ذلك أشعر، على أساس ما كنت اكتشفته بنفسي، أنه لا يمكن رد جميع حالات العصاب إلى الكبت الجنسي، أو الارتضاض الجنسي. في حالات معينة، كان الأمر على ما ذكره فرويد، في حالات أخرى لم يكن كذلك. ومع ذلك فتح لي فرويد طريقاً جديداً للبحث، ووجدت صيحات الاستنكار التي انهالت عليه من كل صوب؛ وجدتها من سقط المتاع.

عندما نشرت كتابي في سيكولوجية الفصام، لم أصادف عطفاً كبيراً على الأفكار التي أوردتها فيه، بل راح نفر من زملائي يهزؤون بي، ويتندرون علي. لكن معرفتي بفرويد قد جاءت عن طريق هذا الكتاب. دعاني إلى زيارته، وكان لنا أول لقاء في مدينة فيينا، وكان ذلك في شهر شباط من عام 1907. التقينا في الساعة الواحدة من بعد الظهر، وظللنا نتحادث بدون توقف مدة ثلاث عشرة ساعة. كان فرويد أول رجل ذي أهمية حقيقية أقابله، وكان، في حدود خبرتي يومئذ، إنساناً منقطع النظير. لم يكن فيه أدنى شيء من تفاهة، لقد وجدت فيه إنساناً ذكياً إلى أقصى حد، داهية إلى أقصى حد، إنساناً متميزاً بكل ما فيه الكلمة من معنى، لكن مع ذلك ظلت انطباعاتي الأولى عنه مشوبة بشيء من غموض لم أستطع فهمه.

ما قاله عن نظريته في الجنس كان كبير الأثر في نفسي.

لكن كلماته ظلت مع ذلك لا تزيل عني ترددا، ولا تبدد مني شكاً. حاولت مرات عديدة أن أدلي بما عندي من تحفظات، فكان يردها في كل مرة إلى نقص في خبرتي. كان فرويد على حق، لأن خبرتي يومئذ لم تكن كافية لتعزيز ما اعترضت به عليه. كان الذي استطعت أن أتبينه أنه كان ينزل الجنس منزلة كبيرة من نفسه على الصعيدين الشخصي والفلسفي. وكان لهذا أثر كبير في نفسي، غير أني لم أستطع أن أعين مدى صلة هذا الإلحاح الشديد على الجنس بسوابق حكمه الشخصية، ومدى اعتماده في هذا الإلحاح على اختبارات ثبتت صحتها.

فوق كل شيء، كان موقف فرويد من الروح أمراً قابلاً للتساؤل إلى درجة كبيرة. كان كلما جاء ذكر الروح (بالمعنى العقلي، لا بالمعنى الذي يعلو على الطبيعي)، في كل ما له

علاقة بشخص، أو بعمل فني، كان يثير شبهة فيه، ويعرض بأنه جنس مكبوت، وكان يرجع كل ما لا يمكن تفسيره بالجنس مباشرة إلى "الجنس النفسي" Psychosexulity، فاعترضت قائلاً إن هذه الفرضية لو حملناها إلى نتيجتها المنطقية لأفضت بنا أن نحكم على الثقافة بالإعدام. أجاب: "نعم، وإنها لكذلك، وتلك هي لعنة القدر التي لا نستطيع لها رداً". لم أكن مستعداً للموافقة، أو لا أدع الأمور تسير على هذا النحو، ولكنني ما شعرت يومئذ أني كنت مؤهلاً لأن أناقش الأمر معه.

في ذلك اللقاء، بدا لي شيء آخر على جانب كبير من الأهمية، كان يتعلق بأشياء ما كنت لأستطيع توضيحها أو تفهمها إلا بعد اقتضاء صداقتنا. كانت ثمة حقيقة لا يخطئها أحد، كان فرويد متورطاً عاطفياً في نظريته الجنسية إلى درجة تتجاوز المعتاد. كان إذا تحدث عنها، تهدج صوته، واضطربت لهجته، وبدا عليه نوع من التلهف، وتلاشى عنه كل ما يتسم به طبعه، في حالته السوية، من شك ونقد، حتى ليبدو على وجه تعبير غريب وانفعال عميق لم أكن يومئذ بقادر على فهم أسبابه. وكان لدي حدس شديد أن الجنس عنده نوع من "القدسي" Numinosum، وقد عزز هذا الحدس عندي محادثة جرت بيننا بعد نحو ثلاث سنوات (في 1910) أيضاً في فيينا.

مازلتُ أذكر كم كان وجه فرويد مشرقاً وممتلئاً حيوية عندما قال لي: "عزيزي يونغ، عدني بألا تتخلى عن نظرية الجنس أبداً، فهي أساسية أكثر من كل شيء، وأنت ترى أننا يجب أن نجعل منها دغماطيقاً، وحصناً لا يتزعزع". قال هذا بعاطفة بالغة "وبلهجة أب يقول لابنه: عدني بشيء واحد، يا بني، إنك سوف تذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد". سألته بشيء من الدهشة: "حصنا... ضد ماذا؟ أجاب:

"ضد مد الوحل الأسود"، وهنا تردد لحظة، ثم أضاف: "... من الأشياء الخفية" Ocultism قبل كل شيء، أجفلت من كلمتي "حصن" و"دغماطيقا"، لأن هذه الأخيرة تعني إعلان إيمان لا مراء فيه، وإنما تعتمد الدغماطيقا لقطع دابر الشك نهائياً. والدغماطيقا لا علاقة لها بحكم علمي، بل بحض سيطرة شخصي.

لقد كان هذا الشيء هو الذي أصاب صداقتنا في الصميم، إذ كنت أعلم أنه لن يكون بوسعي أن أقبل بمثل هذا الموقف. وما بدا لي هو أن فرويد كان يعني بـ"الأشياء الخفية" كل ما تعلمته الفلسفة والدين عن النفس، بما في ذلك العلم المعاصر الناشئ، الباراسيكولوجيا.

وكنت أرى نظرية الجنس، كالفلسفة والدين، خفاء، أي فرضية لم يقم عليها دليل، مثلها كمثل غيرها من فرضيات النظر العقلي. وكنت أرى أن الحقيقة العلمية قد تكون

مكافئة في الوقت الحاضر، لكن لا يصح أن نأخذ بها كما نأخذ بركن إيمان يصلح في كل زمان.

كنت لاحظت في فرويد عوامل دينية متفجرة، رغم أنني، يومئذ، لم أفهم ذلك فهماً صحيحاً.

وكان من الواضح أنه كان يستعينني على إقامة حاجز يصد عنه هذه المحتويات الخافية التي كانت تهدده.

وقد زاد من حيرتي ما خلفته هذه المحادثة من أثر في نفسي، إذ ما كنت، حتى يومئذ، لأعتبر الجنس مفهوماً غالياً، وعرضة للخطر يجب على المرء أن يظل مخلصاً له.

لكنه كان يعني لفرويد أكثر مما كان يعني لغيره من الناس.

كان الجنس عنده شيئاً تجب مراعاته دينياً. وتصف صاحب مثل هذه الاعتقادات العميقة بالحذر والتحفظ يطفوان على سطحها، بعامة. وبعد بضع محاولات مترددة من جانبي ما لبثت المحادثة حتى انتهت.

كنت في حيرة وارتباك. وكان لدي شعور بأنني قبست لمحة عن بلاد جديدة مجهولة أخذت تتدفق منها حشود من أفكار جديدة كانت تتجه إلي. كان شيء واحد واضحاً عندي: فرويد، الذي كان دائماً يبالغ في عدم تدينه وإلحاده، يشيد الآن دغماطيقا لنفسه، أو بالأحرى، في مكان إله حسود أضاعه يحل الآن بدلاً منه صورة أخرى أشد طغياناً، هي صورة الجنس، صورة لا تقل قسوة وخطراً وتناقضاً أخلاقية عن الصورة الأصلية. وكما يعطي المؤثر النفسي الأقوى صفات "إلهية" و"شيطانية"، كذلك اتخذت "ليبيدو الجنس" عنده دور إله خبيء، أو خفي. ولعل الميزة التي اكتسبها فرويد من هذا التحويل أنه أصبح الآن قادراً على النظر إلى المبدأ الإلهي واعتباره شيئاً غير قابل للنقد العلمي، مبرأ من كل لوثة دينية. غير أن الألوهة، في العمق، أعني الصفات النفسية للنقيضين غير المتساوين عقلانياً، يهوه والجنس، هذه الصفات بقيت هي هي.

كل ما في الأمر أن الاسم وحده قد تغير، وتغيرت معه طبعاً وجهة النظر: لقد بات علينا الآن أن نبحث عن الإله المفقود لا في الأعلى، بل في الأسفل. لكن، في نهاية المطاف، ما الفرق بين أن يسمى المؤثر النفسي الأقوى مرة باسم، ومرة باسم آخر؟ لو كانت النفس غير موجودة، ولم يكن ثمة إلا أشياء ملموسة، لقضى أحدهما على الآخر، واحتل مكانه. لكن، في واقع الخبرة السيكولوجية، لا ينقص مثقال ذرة من التلهف والقلق والقسر، وتظل المشكلة قائمة: كيف نتخلص من القلق والمقت، من الشعور بالإثم والإكراه، من قلة الوعي والخضوع للغرائز.

أما وأن فرويد يستطيع ذلك من الجانب المثالي المضيء، فلماذا لا يتصدى للمشكلة من جانبها البيولوجي المظلم؟

تصاعدت هذه الأفكار إلى رأسي كما يتصاعد اللهب فجأة. ثم اتضح لي معناها في ما بعد، عندما رحت أتأمل في شخصية فرويد، لأن ثمة صفة ملازمة له استرعت اهتمامي أكثر من سواها: مرارته. ولقد استوقفتني هذه المرارة منذ أول لقاء كان بيننا، لكنها ظلت بلا تفسير إلى أن استطعت رؤيتها في ضوء صلتها بموقفه من الجنس. كان الجنس عند فرويد بمثابة "القدسي"، لكن ظلت اصطلاحاته ونظرياته، بالرغم من ذلك، تحدده وظيفة بيولوجية حصراً. وما كان لشيء أن يكشف لي عن العناصر التي كانت تعتمل في داخله كالانفعال الذي كان ينتابه كلما تحدث عن الجنس.

في الأساس، كان يريد أن يعلم، أو على الأقل هكذا بدا لي، أن الجنس، منظوراً إليه من داخل، يتضمن الروح، وينطوي على معنى جوهري. لكن اصطلاحاته الحسية كانت أضيق من أن تعبر عن فكرته. لقد أعطاني انطباعاً أنه كان يعمل ضد نفسه، وضد ما كان يسعى إليه.

وهنالك ثمة مرارة أشد إيلاماً على المرء من أن يكون هو نفسه أعدى أعداء نفسه؟ في كلماته هو كان يشعر أنه مهدد بـ"مد الوحل الأسود"، ذلك الإنسان الذي حاول أن يدلي بدلائه في تلك الأعماق السوداء أكثر من أي إنسان آخر.

لم يسأل فرويد نفسه أبداً لماذا كان مضطراً إلى التحدث في الجنس باستمرار، ولا لماذا كانت هذه الفكرة متمكنة منه، فظل غير عارف بأن هذه "الرتابة في التفسير" تعبر عن هرب من نفسه، أو من ذلك الجانب من نفسه الذي قد نسميه مستطيقياً (صوفياً). فما دام يرفض الاعتراف بذلك الجانب، لسوف يظل عاجزاً دائماً عن الاصطلاح مع نفسه. لقد فاته أن يرى التضارب والغموض في محتويات الخافية (اللاشعور)، ولم يعد يرى أن لكل شيء ينهض من أعماقها أوجاً وحضيضاً، ظاهراً وباطناً.

عندما نتكلم عن الظاهر فقط، وهذا ما فعله فرويد، فإننا لا نأخذ في اعتبارنا إلا النصف من الكل، مما ينجم عنه نشوء أثر مضاد من الخافية (اللاشعور).

لم يكن ثمة ما يمكن عمله حيال هذه الأحادية عند فرويد. ولعل خبرة داخلية كان يختبرها بنفسه كانت كفيلة بأنه تفتح عينيه، لكنه كان خليقاً به عندئذ أن يردها إلى "مجرد الجنس"، أو إلى "الجنس النفسي". لقد ظل ضحية الجانب الواحد الذي كان يستطيع الاعتراف به.

ولهذا السبب كنت أراه شخصاً واقعاً في مأساة، لأنه كان إنساناً عظيماً، وما هو أكثر، كان واقعاً في بيضة شيطان.

بعد المقابلة الثانية في فيينا، قمت أيضاً بدراسة فرضية "أدلر" المتعلقة بالسيرة، وكنت، حتى يومئذ، لا أعيرها من الانتباه إلى أقله. إن مثل أدلر كمثل كثير من الأبناء، لم يتعلم من أبيه ما قاله، بل ما فعله، رأساً، نزلت على مشكلة الحب (إيروس)، والسيطرة ثقيلة كالرصاص. كان أعلمني فرويد نفسه أنه لم يقرأ لنيتشه أبداً، وأني لأرى الآن سيكولوجية فرويد، إن صح التعبير، كانت حركة بارعة من جانب تاريخ الفكر، ترمي إلى التعويض عن تأليه نيتشه لمبدأ القوة. وكان يجب إعادة صوغ المشكلة لا على أساس "فرويد في مقابلة أدلر"، بل على أساس "فرويد في مقابلة نيتشه". ولذلك كانت المشكلة، في ما أرى، أكثر من قتال أهلي في ميدان علم الأمراض النفسية. والفكرة التي لمعت ببالي أن "الايروس"، أي "الحب"، و"حض السيطرة" ربما كانا، بمعنى ما، مثل ولدين متخاصمين لأب واحد، أو ناتجين عن قوة محركة نفسية واحدة تبدت تجريبياً في شكلين متعارضين، كالإيجابي والسلبي في الكهرباء، "إيروس" منفعلاً، وحض السيطرة فاعلاً، والعكس بالعكس. الإيروس يفرض على حض السيطرة نفس المطالب التي يفرضها هذا الأخير على الأول. هل يوجد أحد الحضين، أو السائقين، بدون الآخر؟ يخضع الإنسان للسائق من ناحية، ويحاول الإنسان إخضاعه من ناحية ثانية. لقد أظهر فرويد كيف يخضع الموضوع للسائق، وأظهر أدلر كيف يسخر الإنسان السائق لكي يفرض إرادته على الموضوع. أما نيتشه، القانط في قبضة قدره، فكان عليه أن يخلق "إنسانا أعلى" لنفسه. والنتيجة التي توصلت إليها هي أن فرويد لابد وأن قدره خضع خضوعاً شديداً لسيطرة "الإيروس"، حتى لقد أراد أن يرفعه مستوى الدغماطيقا، كما ترفع الأديان آلهتها. ولا يخفى أن "زرادشت" كان داعية إنجيل، وأن فرويد كان يحاول أن يتخطى الكنيسة، ويجعل من نظريته قانوناً كنيساً. والحق أنه لم يفعل ذلك بصوت عال جداً، بل، بدلاً من ذلك، خامرة ظن بأني أريد أن أكون نبياً. تقدم بادعائه المأساوي، وتراجع عنه في الوقت نفسه. وهذا ما يفعله الناس عادة أمام القوي، وما يفعلونه صحيحاً، لأنهم على حق من جهة، وعلى غير الحق من جهة أخرى. التجربة الإلهية ترفع وتحط في الوقت نفسه. لو أن فرويد أعطى أهمية أكبر نوعاً ما إلى حقيقة الجنس السيكولوجية، بما هي شأن إلهي، إله وشيطان في آن، لما ظل محصوراً في نطاق المفهوم البيولوجي.

ولو أن نيتشه تثبت ثابتاً بأسس الوجود الإنساني، لربما لم يتجاوز جافة العالم في إسرافاته العقلية.

عندما تزج النفس في وضع تتأرجح فيه تأرجحاً عنيفاً بواسطة الخبرة الإلهية ينشأ ثمة خطر أن يؤدي بنا ذلك إلى انقطاع الخيط الذي نتعلق به. وإذا حدث هذا، وقع إنسان في إثبات مطلق، ووقع آخر في نفي مطلق. إزاء هذه الحالة، لا مخرج لنا إلا بتناول العلاج الشرقي: نرد بندبا Nirdvandra (الخروج من التناقض). وهذا ما لم آنسه. نواس العقل لا يضطرب بين الخطأ والصواب، بل بين المعنى واللغو. والقدسي خطر لأنه يغرينا بالذهاب إلى الحدود القصوى، بحيث تصبح حقيقة وضيعة هي "الحقيقة"، وغلطة تافهة خطأ، قائلاً: "كل شيء زائل" Tout Passe حقيقة الأمس تصبح باطلاً اليوم، واستنتاج خاطئ توصلنا إليه اليوم يصبح وحي الغد.

وتصدق هذه الحالة خصوصاً على الأمور السيكولوجية التي، إن شئنا الحق، لم نزل لا نعلم عنها إلا قليلاً. نحن لم نزل بعيدين عن فهم ماذا يعنيه أن الشيء لا وجود له إلا أن يدركه شيء صغير من الواعية (وللأسف، كم هو زائل هذا الشيء الصغير!).

لقد تبين لي من حديثي مع فرويد أنه كان يخاف أن ينطفئ ذلك الضوء القدسي الذي كان يومض من فهمه للجنس بفعل "مد الوحل الأسود". وبذلك ينهض أمامنا وضع ميثولوجي: الصراع بين النور والظلام. وهذا يفسر لنا لماذا اتصف الصراع بالقدسية، ولماذا انكفأ فرويد رأساً إلى الخلف، وانكب على "دغماطيقيته" يتخذ منها وسيلة دينية للدفاع. في كتابي "سيكولوجية الخافية"، الذي تناولت فيه صراع البطل من أجل التحرر، رأيت في رجع فرويد الغريب ما شجعني على التعمق في بحث الموضوع البدئي وخلفيته الميثولوجية.

لقد حملني التفسير الجنسي من جهة، وسائق السيطرة المتمثل بالدغماطيقا من جهة ثانية، على النظر، طوال سنوات عدة، في مشكلة النماذج Typology. وكان ضرورياً أن أدرس الاستقطاب والحركة في النفس. كذلك ابتدأت بحثاً امتد عقوداً في "مد الوحل الأسود من الأشياء الخفية"، أي أنني حاولت فهم الأسس التاريخية الشعورية وغير الشعورية التي تقوم عليها سيكولوجيتنا المعاصرة.

كان يهمني أن أعرف رأي فرويد في موضوع الاستشراف Precognition، وفي الباراسيكولوجيا عموماً. ولما زرته في فيينا عام 1909 سألته رأيه في هذه الموضوعات، فوجدته، بسبب من انحيازه إلى المادية، يرفض هذه المسائل جملة وتفصيلاً، ويعتبرها لغواً لا معنى له. وكان يفعل ذلك بطريقة تتبدى فيها الوضعية Positivism على أضحل ما يكون، حتى لقد وجدت صعوبة كبيرة في إيقاف الرد الحاد الذي كان على رأس لساني. وكان لابد

من انقضاء بضع سنين حتى يعترف بأهمية الباراسيكولوجيا، ويقر بحقيقة الظاهرات "الخفية".

وبينما كان فرويد ماضياً في نبذه لهذه الظاهرات، انتابني إحساس غريب، فقد أحسست كأن حجابي الحاجز قُدَّ من حديد، واحمرَّ من شدة الحرارة، وأصبح قنطرة متقدة. في تلك اللحظة صدرت عن خزانة الكتب، وكانت مما يلينا تماماً، طلقة عالية، حتى انتاب كلينا هلع شديد، وخفنا أن تقع الخزانة علينا. قلت لفرويد: "هوذا مثال على ظاهرة الاستظهار الكاتالتيكي: Catalytic Exteriorization، لكنه قال: "هذا هراء محض!". قلت: "ليس كذلك، أنت مخطئ سيدي البروفيسور، ولكي أثبت لك صحة رأيي، أستطيع ن أتنبأ الآن أن طلقة عالية أخرى ستصدر بعد لحظة!". وبالفعل، لم أكد انطق بهذه الكلمات حتى صدرت عن خزانة الكتب طلقة ثانية. حتى هذا اليوم، لم أدرِ ما الذي جعلني أستيقن من ذلك. كذلك لم أدر ماذا كان يجول في ذهن فرويد وقتئذ، ولا ماذا كانت تعني نظرته إلي، لكن هذه الحادثة استثارت ريبته في، على كل حال". وبعد ذلك لم أبحث معه في هذه الحادثة أبداً.

كان عام 1909 عاماً حاسماً في علاقتنا. فيه دعيت لإلقاء محاضرة في "اختبار التداعي" في جامعة كلارك بمدينة "ورسستر" (مساتشوستش بالولايات المتحدة). وكان فرويد تلقى دعوة مماثلة بمعزل عن دعوتي، فقررنا أن نسافر معاً، التقينا في بريمن، حيث انضم إلينا "فرنتزي". وفي بريمن وقع فرويد مغشياً عليه، وكان معروفاً عنه أنه يغمى عليه كثيراً، وكان إغماؤه مثار بحث كثير. وقد استثاره، بصورة غير مباشرة، اهتمامي بـ"جثث مستنقع الخث"، وكنت علمت أن هذه الجثث توجد في بعض مناطق الشمال من ألمانيا، وهو تعود إلى إنسان ما قبل التاريخ، غرق أصحابها في المستنقعات، أو دفنوا فيها. يحتوي ماء المستنقع، حيث توجد الجثث، على مادة كيماوية هي حامض الدبال، الذي يتلف العظم، ويدبغ البشرة، فتظل هي والشعر على حالتهما الأصلية، وهذا، في الأساس، سياق تحنيط طبيعي، إذ تكبس الجثث وتستوي من شدة وطأة الخث. ويعثر على هذه البقايات من ينقبون عن الدبال في هولشتاين والدانمارك والسويد.

بعد أن قرأت عن هذه الجثث، عدت فذكرتها عندما كنا في بريمن، ولما كنت مضطرباً قليلاً، خلطت بينها وبين المومياءات الموجودة في أقبية الرصاص في المدينة. وكان ضرب هذا الاهتمام من جانبي على أعصاب فرويد. ولقد سألني مرات عدة: "لماذا هذه المناقشات، بينما كنا نتناول طعام العشاء معاً، إذا به يغمى عليه فجأة. كان مفتاطاً إلى أقصى حد من الموضوع كله. بعد ذلك، قال لي إنه مقتنع بأن معنى هذا الحديث كله أن

عندي "رغبة تمويت" death wish ضده. كانت دهشتي عظيمة من هذا التفسير، وشعرت بخوف شديد من شدة تخيلاته التي بلغت به مبلغاً يسبب له الإغماء.

وفي مناسبة أخرى مماثلة، أغمي على فرويد في حضوري. حدث هذا في أثناء انعقاد مؤتمر التحليل النفسي في مدينة ميونيخ في عام 1912. تطرق أحدهم إلى أمينوفيس الرابع (إختاتون). وكانت النقطة التي دار حولها البحث أن إختاتون قام بإزالة الكتابات المنقوشة على نصب أبيه بسبب من سلبية موقفه منه، وأن وراء إبداعه العظيم لديانة توحيدية عقدة أبوية. أغضبني هذا النوع من التفسير، فحاولت الرد بالقول إن أمنيوفس كان مبدعاً أصيلاً ومتديناً عميقاً، لا يمكن تفسير أعماله من منطلق مقاومة شخصية لأبيه. قلت، على العكس، لقد جعل ذكر أبيه في محل تكريم، وإنما اقتصرت حماسته التخريبية على اسم الإله "أمون"، فأزاله من كل عام، ومحاه من النقوش جميعاً، وفي جملتها النقوش التي اشتملت على اسم أبيه "آمون حوتب"، ثم إن الفراعنة غيره كانوا يستبدلون أسماءهم بأسماء آبائهم، أو الإلهية التي تنقش على النصب والتماثيل، شعوراً منهم بأن لهم الحق في ذلك بما أنهم تجسيد للإله نفسه. ومع ذلك، لم يبتدعوا أسلوباً جديداً، ولم يخترعوا ديانة جديدة.

في تلك اللحظة، سقط فرويد مغشياً عليه. تجمعنا كلنا حوله لا نبدي ولا نعيد، ثم حملته إلى الغرفة المجاورة، ومددته على أريكة كانت هناك. وأنا أحمله استفاق قليلاً، وطفق ينظر إلي نظرات لن أنساها ما حييت. كان ينظر إلي وهو في ضعفه، كما لو كنت أنا أباه.

علم النفس الإنساني

تطور علم النفس الإنساني في فترة الخمسينيات من القرن العشرين، كرد فعل لظهور المدرسة السلوكية والتحليل النفسي. وباستخدام علم نفس الظواهرتية، والذاتية المتبادلة، وصيغ المتكلم التي تعبر عن الأنا والذاتية، حاول أسلوب علم النفس الإنساني إلقاء نظرة خاطفة على الإنسان ككل، وليس على مجرد جوانب من شخصيته، أو الوظائف المعرفية. وركز علماء علم النفس الإنساني على القضايا الإنسانية غير العادية، والقضايا الأساسية للحياة، مثل الهوية الشخصية، والموت، والشعور بالوحدة، والحرية، ومعنى الحياة. وهنالك عوامل عديدة تميز بين أسلوب علم النفس الإنساني، وغيره من الأساليب الموجودة في علم النفس. وتشتمل هذه العوامل على التأكيد على معنى الذات، ورفض الجبرية، والاهتمام بالنمو الإيجابي للذات بدلاً من علم الباثولوجي (علم الأمراض). ويعد عالم النفس الأميركي "أبراهام ماسلو" واحداً من مؤسسي النظريات التي قامت عليها هذه المدرسة الفكرية، والذي رتب حاجات الإنسان في صورة تسلسل هرمي. وهنالك "كارل روجرز" الذي قام بإنشاء وتطوير أسلوب العلاج النفسي المتمركز حول المريض والطبيب النفسي الألماني - الأميركي "فريتز بيرلز"، الذي ساعد في إيجاد وتطوير طريقة العلاج الجشطالي (Gestalt Therapy). لقد أصبحت طريقة العلاج هذه غاية في الأهمية والتأثير، لدرجة أنه أطلق عليها اسم "القوة الثالثة" في علم النفس، بعد المدرسة السلوكية، والتحليل النفسي.

وحين أعلن ديلتي معارضته للنظريات التي انطلقت من تحليل الوعي وتجزئته إلى عناصره الأولية، فإنه كان يمهد السبيل أمام ظهور اتجاه سيكولوجي جديد يتجاوز المدخل الذري والترابطي في دراسة النفس. وفي السنوات الأولى من القرن العشرين خطا شتيرن خطوة جديدة على طريق تناول الحياة النفسية في كليتها وشمولها والنظر إلى الإنسان من خلال وحدته الواقعية.

درس وليم شتيرن (W.STERN 1871-1938م) في جامعة برلين. وتتلمذ على يد ابنغهاوس. وبعد تخرجه عمل كأستاذ في جامعة برسلاو منذ عام 1897 حتى عام 1916. وخلف إ. ميمان في الإشراف على مخبر علم النفس، ورئاسة تحرير مجلة "علم النفس التربوي". وفي عام 1933 هاجر إلى هولندا، ومنها إلى الولايات المتحدة الأميركية، وهناك قام بتدريس علم النفس في جامعة ديوك حتى وفاته.

عرف شتيرن بتوزع اهتماماته على عدد من ميادين علم النفس، ففي بداية حياته العلمية اهتم بقضايا الفروق الفردية بين الناس، ونشر في هذا الميدان كتاباً عام 1900 تحت عنوان "علم النفس الفارقي". وفي وقت لاحق، لفتت انتباهه مشكلات علم النفس القانوني، التي خص معالجتها بكتاب "سيكولوجية إفادات الشهود"، ونشره عام 1902. واهتم في هذه الفترة بمسائل علم النفس التطبيقي، فنشر في هذا الميدان كتاباً عام 1903 تحت عنوان "علم النفس التطبيقي". وقد عرض فيه آراءه حول أوجه ومجالات الإفادة من الدراسات السيكولوجية. وفي عام 1906، أسس معهد علم النفس التطبيقي في برلين، وأصدر مجلة "علم النفس التطبيقي"، ولكنه سرعان ما انصرف نحو دراسة مشكلات الطفولة والمراهقة. وأصدر في عام 1907 كتابه الأول في هذا الميدان بعنوان "لغة الأطفال". وفي العام التالي أصدر كتاباً آخر بعنوان "التذكر وإفادات الشهود والكذب في الطفولة المبكرة".

وعلى الرغم من تباعد الموضوعات، واختلاف المشكلات التي عالجها شتيرن، فإنه تمكن من أن يربط بينها، وأن يعمم استنتاجاته حولها على أساس الفلسفة الشخصانية النقدية التي شرع بوضع مبادئها منذ عام 1900، وعرضها في ما بعد في ثلاثيته "الشخصية والشيء".

ويتمثل المبدأ العام لهذه الفلسفة في الحياد السيكوفيزيائي للشخصية. وقد ألح شتيرن في دراساته على الأهمية الاستثنائية لهذا المبدأ، معتبراً إياه أداة الخلاص من عقم الجدل الذي لم يهدأ بين الماديين والمثاليين، ووسيلة لتجاوز خطأ التعصب لأي من الفريقين. فالشخصية بما تحتويه من سمات جسمية ونفسية، وما تؤديه من وظائف حسب هذا المبدأ، تعتبر واقعاً محايداً سيكوفيزيائياً. فمن غير الممكن تجزئة الشخصية إلى صفات فيزيائية، وأخرى نفسية يناقض بعضها بعضاً. يقول شتيرن: "وهكذا فالشخصية ذاتها محايدة "سيكوفيزيائياً". ويصح هذا الكلام أيضاً على صفاتها ووظائفها الأساسية (تاريخ علم النفس "نصوص"، 1986، 187).

وبما أن الشخصية، في نظر شتيرن، لا تعيش في منأى عن التأثيرات الخارجية، فإن وجودها يتخذ مظهرين اثنين، فهي، من الناحية الأولى، توجد لذاتها، أو في ذاتها NACH INNEN، ومن الناحية الثانية توجد من أجل العالم الخارجي، أي من ذاتها إلى الخارج NACH

AUBEN. وهنا يتجلى الفرق بين النفسي والجسمي. إلا أن شتيرن يسارع إلى القول بأن هذين المظهرين ليسا منفصلين أو متوازيين، بقدر ما هما أسلوبان مرتبطان ومتلازمان تعبر بهما الشخصية عن جوهرها. وزيادة على ذلك، فإن هذا الارتباط والتلازم لا يعنيان، في اعتقاده، أن كل عنصر منهما يقابله عنصر في الطرف الثاني. فكل عنصر من هذا الطرف، أو ذاك، ينتمي إلى الكل الذي يرسم أهداف الشخصية ويحدد مقاصدها.

وإذا كانت الحركات التي يقوم بها المرء، والتغيرات التي تطرأ على ملامح وجهه ذات طبيعة فيزيائية، فإن ذلك لا يعد سبباً كافياً لكي ننظر إليها كخصائص منفصلة عن العمليات والحالات النفسية التي يترافق وجودها داخل الشخصية مع ظهور تلك الخصائص.

ومن خلال المدخل الشخصاني، رأى شتيرن أن النفس تتألف من الوعي واللاوعي. فاللاوعي يلعب دوراً كبيراً في حياة الشخصية التي بلغت شأواً كبيراً من التطور. والوعي يقوم بدور مماثل باعتباره نتاج المشاعر التي تؤلف جزءاً من الواقع السيكوفيزيائي المحايد. ويتآلف الطرفين واجتماعهما معاً تتحدد النفس التي تعني الشخصية بجميع صفاتها الداخلية.

ويوسع المرء أن يدرك في هذا الجانب الهام من نظرية شتيرن مدى تأثرها بالتحليل النفسي. وعلى الأرجح أن يكون شتيرن نفسه قد وقف على هذه الحقيقة. ولكي يحصن موقفه ويرد على الاتهامات والانتقادات الموجهة إليه، واصل تطبيقه الصارم لمنهجه، فانتقد طريقة المحللين النفسيين في تفسير الإشارات والرموز الشعورية. كما انتقد الطرائق التي اتبعها ويتبعها بعض علماء النفس في تفسير الخطوط ونتائج تطبيق الاختبارات. واعتبر أن من الخطأ إرجاع كل ما يطفو على سطح الشعور إلى الرغبات الجنسية الدفينة. ولتجاوز هذه الأخطاء والثغرات اقترح بناء أساس نظري لدراسة ظواهر الوعي، ووضع منهج علمي لتفسير المعطيات التي تمدنا بها أدوات القياس النفسي.

لاقت فكرة شتيرن حول وحدة الشخصية وتكاملها قبول عدد من العلماء. فعمل كل منهم على تطويرها في ضوء منطلقاته الفكرية ومعطيات ممارسته الميدانية. ومما ساعد في ذلك اهتمامهم بالجانب الدافعي للسلوك الإنساني وبأصوله وطبيعته ومضمونه. وعلى الرغم من تباين وجهات نظرهم، إلا أنهم أجمعوا على رفض دعاوى التحليل النفسي، وأكدوا على الطابع الإنساني للقوى المحركة لسلوك الإنسان التي تتمثل، حسب آرائهم، في حاجاته الأولية وعلاقاته الشخصية. ومن أشهر من مثل هذا الموقف غوردون أولبورت (GORDON ALLPORT 1897-1969م)، وهنري موري HENRY MURRAY، وأبراهام ماسلو ABRAHAM . MASLOW(1908-1970م)، وكارل روجرز CARL ROGERS(1902-1987م).

ويعد أولبورت رائد نظرية السمات. فقد رأى أن الشخصية تتكون من عدد من السمات الأساسية والمركزية والثانوية. وهذه السمات تؤلف نظاماً عصبياً ونفسياً محدداً يميز الفرد عن غيره من خلال ما يتضمنه هذا النظام من استعداد للاستجابة وقدرة على تنظيم أنماط السلوك المختلفة وتوجيهها على نحو يتضمن توافقه مع البيئة الخارجية.

ومن هذا المنطلق، أقام أولبورت نظرته إلى الشخصية بوصفها وحدة كاملة تسعى إلى تحقيق ذاتها باستمرار. وبما أنها تعمل كمنظومة واحدة، فإنه من غير الممكن، في نظره، أن ننسب أي فعل تقوم به إلى سمة بعينها دون السمات الباقية. فجميع السمات تشترك في إنتاج هذا الفعل أو ذاك. وهذا يعني أن السمات تؤلف بناء خاصاً متسقاً دعاه أولبورت "الذات الممتدة والمتميزة". ويتضمن هذا المفهوم كافة السمات العقلية والدافعية والوجدانية التي يأتي في مقدمتها نزوع الفرد إلى النمو الدائم والكمال.

وتوصل موري، من جانبه، إلى وضع قائمة بالدوافع والنزاعات الإنسانية تحتوي على ثلاثين عنصراً، هي: التحقير والإذعان واللعب والإنجاز والاتكالية والتقدير والتملك والسيطرة والنبذ والانتماء والاستعراض والاحتفاظ والعدوان والعرض والانعزالية والاستقلال الذاتي وتجنب الأذى والإحساسية وتجنب اللوم وتجنب الهوان والجنس والمعرفة والمنفعة وتقبل الحماية والبناء أو التركيب والرعاية والاستعلاء والمضادة، أو المواجهة والنظام والفهم (روتر، 1980، 106).

ولقد أراد من وراء عمله هذا أن يقدم وصفاً للشخصية وخصائصها يفيد منه المهتمون بمسائل علم النفس عبر تحديد قوة كل دافع من الدوافع المذكورة وشدته وحجمه.

ولعل مفردات قائمة موري تحمل إشارة واضحة إلى دور العامل البيئي في تكون الشخصية الإنسانية وتطورها. كما تحمل رفض مواقف العلماء الذين يرجعون هذا الدور إلى دافع واحد فقط، كالدافع الجنسي، أو الشعور بالنقص مثلاً. وهذا ما تكشف عنه بصورة جلية نظرته إلى الشخصية بارتباطها الوثيق مع الوسط المحيط. فالشخصية بما تملكه من قدرات جسمية ونفسية، ظاهرية وكامنة، تنشط في البيئة الخارجية لتزيل العقبات والضغوط التي تصادفها أثناء بحثها عن إرواء حاجاتها.

أما الحاجة فهي، بالنسبة لموري، إنشاء ذو قوة فيزيائية وكيميائية مجهولة تنظم الإحساس والإدراك والتفكير والإرادة والفعل، من أجل تغيير الحالة، أو الموقف المزعج، على نحو ما. وعلى هذا، فإذا كانت الشخصية نظاماً متكاملاً، فإن الحاجة هي العنصر الأساسي الذي يشد العناصر الأخرى ويجمع بينها داخل هذا النظام.

وإذا نحن عرضنا المسألة بصيغتها العامة، وجدنا أن ماسلو يسير في الاتجاه الذي سار فيه

موري، فقد دعا ماسلو إلى إعادة النظر في مفهوم الغريزة، وتجاوز الأخطاء التي ارتكبتها النظريات الغريزية. وفي هذا الإطار أعلن تخليه عن ذلك المفهوم، واقترح عوضاً عنه مفهوم الحاجات الأساسية، أو القاعدية BASIC NEEDS. ومع أنه أشار إلى الصبغة الإنسانية لهذه الحاجات، إلا أنه أكد طبيعتها الغريزية، الأمر الذي يحد من إمكانية تطورها بسبب ضعف المركب الغريزي فيها، أو لأنها قد تنتهي إلى عوامل أخرى ذات صلة بالتأثيرات الثقافية.

ولقد وجد ماسلو أن ثمة خمسة أنواع من الحاجات الأساسية، هي:

1 ـ الحاجات الفيزيولوجية. كالحاجة إلى الطعام والشراب والنوم والرغبة الجنسية.

2 ـ الحاجة إلى الأمن. وتتمثل في الثقة والطمأنينة والدفاع.

3 ـ الحاجة إلى التعامل مع الآخرين وإقامة روابط معهم.

4 ـ الحاجة إلى الاعتراف والقيمة والاحترام، بما في ذلك احترام الذات.

5 ـ الحاجة إلى تحقيق الذات SELF ACTUALIZATION.

وتمثل هذه الحاجات هرماً تحتل الحاجات الدنيا (الفيزيولوجية) قاعدته. وتليها الحاجة إلى الأمن، ثم الحاجة إلى الاتصال بالآخرين، فالحاجة إلى احترام الذات، وأخيراً الحاجة إلى تحقيق الذات التي تقع في قمة الهرم.

اعتمد ماسلو في تصنيفه هذا على مبدأ الأولوية النسبية لظهور الدوافع وفعاليتها. وتبعاً لهذا المبدأ، فإن الحاجات الأرقى لا تستطيع أن تصبح محركاً للسلوك ما لم تشبع الحاجات التي تقع دونها مباشرة. فإذا لم تشبع الحاجات الفيزيولوجية لدى الشخص، بقيت الفعالية بأكملها رهن إشباعها، وفي تلك الحالة تكون الحاجات الأخرى (الأعلى) غائبة. وحالما يتم إشباعها تتوقف عن تحديد السلوك وتوجيهه، وتبدأ حاجات المستوى الأعلى (الحاجة إلى الأمن) بلعب دور المحدد والمحرك والموجه للسلوك. وهكذا، فالحاجة إلى تحقيق الذات لا تتمكن من القيام بالدور الريادي في تحريك السلوك إلا بعد أن تشبع جميع الحاجات الأدنى. وفي حال نشوب صراع بين مستويات الحاجة، فإن الحاجات الأدنى هي التي تحسم هذا الصراع لصالحها دوماً.

ورأى ماسلو أن الحاجات تظهر لدى الإنسان الواحدة تلو الأخرى بالنظام الهرمي المذكور نفسه. وتمتد على مراحل نموه الفردي. فالحاجات الفيزيولوجية تحتل مكان الصدارة في سلوك الوليد. وما إن يكبر قليلاً حتى يصبح الأمن بالنسبة له أكثر أهمية وحيوية. وبعد مرور بعض الوقت يتجه بنشاطه نحو إقامة صلات متعددة مع الآخرين، ثم إلى تقويم ذاته وتقديرها. وعندما يصير مراهقاً تبدو على مظاهر سلوكه تأثيرات الحاجة إلى تحقيق الذات. ويزداد شأن

هـذه التـأثيرات شـيئاً فـشيئاً إلى مـا بعـد سـن الرشـد (انظـر الـشكل، تطـور الشخـصية) (هيكهاوزن، 1986، 113).

ومن بين الحاجات القاعدية، أبرز ماسلو الحاجة إلى تحقيق الذات، وأكد أهميتها في حياة الشخصية. كتب يقول: "حتى عندما تشبع هذه الحاجات جميعاً، فإن بوسعنا، مع ذلك، أن نتنبأ في الغالب (إن لم يكن على الدوام) إذا لم يقم الفرد بعمل ما أعد له بأنه سرعان ما ينشأ عدم رضا وقلق جديدان. ولكي يكون الموسيقار منسجماً مع نفسه يتعين عليه أن يبدع الموسيقا، وعلى الفنان أن يرسم، وعلى الشاعر أن ينظم الشعر. إن على الإنسان أن يكون من يمكنه أن يكون. ولعل بالإمكان أن ندعو هذه الحاجة إلى تحقيق الذات... فهي تعني رغبة الإنسان في أن يحقق ذاته، بل وسعيه لكي يصبح من بوسعه أن يكون (هيكهاوزن، 1986، 113).

لقد صاغ ماسلو نظريته في الدوافع تحت تأثير الفلسفة الوجودية، وسعى من خلالها إلى إقامة علم النفس الإنساني. وهذا ما نلمسه في كتابه "سيكولوجية الوجود"(1964)، حيث عرض من خلاله سيكولوجية الوجود الإنساني التي تهتم بالغايات لا بالوسائل، أي بالانفعالات - الأهداف، القيم - الأهداف، والوعي - الهدف، والعلاقة بالآخرين - الهدف. وعلى أساس من النظرة التقويمية لنظريات علم النفس واتجاهاته، وجد ماسلو أن اهتمام علم النفس كان منصباً بوجه عام نحو البحث في ما يفتقد إليه الإنسان أكثر مما يمتلكه، وما يطمح إليه أكثر مما ينجزه، ودراسة الإحباط أكثر من الرضا، والسعي إلى الإنجاز أكثر من السعي إلى الوجود. وفي هذا السياق، يعرف تحقيق الذات على أنه تطور الشخصية المقترن بالانتقال من المشكلات العصابية الحياتية المتوهمة إلى المشكلات الوجودية الحقيقية والجوهرية الملحة. وما عناه ماسلو من كلماته هذه ليس سوى التشديد على الأهمية القصوى التي تحتلها الحاجة إلى تحقيق الذات في النشاط الحيوي للإنسان على مستوى الوجود، وارتباطه بالتغيرات التي تطرأ على الشخصية.

والإنسان الذي يحيا على مستوى الوجود تعتمل في داخله النزعة إلى الفكر والعمل. إنه إنسان يحمل قيماً سامية تتمثل في الكشف عن الحقيقة والانتصار للعدالة والمساواة والتطلع إلى الكمال. وقد أطلق ماسلو على هذه القيم مفهوم "ما وراء الدوافع". واعتقد بوجود أربع عشرة منها، وهي: الحق، والخير، والجمال، والكمال، ووحدة المتناقضات، والحيوية (الدينامية)، والتفرد، والفضيلة، والضرورة، والإنجاز، والعدالة، والتنظيم، والبساطة، والثراء، والسهولة، واللعب، والاكتفاء الذاتي.

ولئن كان ماسلو مؤسس علم النفس الإنساني، فإن روجرز يعتبر أحد رواده البارزين. فبعد أن حصل روجرز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام 1931، عين برتبة أستاذ مساعد في معهد إعداد المعلمين التابع لجامعة كولومبيا. ومن ثم أصبح معاوناً لمدير عيادة الأطفال في نيويورك. وفي عام 1940 انتقل إلى جامعة أوهايو ليدرس علم النفس العيادي فيها. وبقي هناك حتى عام 1945، حيث شغل منصب أستاذ علم النفس وسكرتير المركز الاستشاري التابع لجامعة شيكاغو. وظل في هذا المنصب حتى عام 1967. وهو العام الذي عين فيه مديراً لمركز دراسة الشخصية في لاجولا (ولاية كاليفورنيا). وقد بقي يزاول مهماته في هذا المنصب حتى وفاته.

وعلى صعيد آخر، انتخب روجرز رئيساً للرابطة الأميركية لعلم النفس التطبيقي لفترة عامين (1945 ـ 1946)، ورئيساً للرابطة الأميركية لعلم النفس خلال عامي 1946 و1947. وأصبح رئيساً لأكاديمية العلاج النفسي خلال العامين 1956 ـ 1957.

حازت أفكار روجرز وأعماله الميدانية على إعجاب كثير من الجامعات داخل الولايات المتحدة الأميركية وخارجها، فمنحته هذه الجامعات الدكتوراه الفخرية. كما حصل على لقب فخري من قبل رابطة علم النفس الأميركية عام 1957، والرابطة الأميركية لعلم النفس الإنساني عام 1972، وعلى لقب "إنساني" عام 1964.

بنى روجرز نظريته في الشخصية على مبادئ الفلسفة الفينومينولوجية. ولم يكن ليخفي تأثره بها، وانحيازه إليها. فقد أعلن في مناسبات عديدة أن لكل اتجاه سيكولوجي أساساً فلسفياً يعتمد عليه في تحديد موقفه من الإنسان. وهو يشاطر ماسلو الرأي في تقسيمه لعلم النفس الأميركي إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية: السلوكية والفرويدية والفينومينولوجية.

فالسلوكية تنظر إلى الإنسان كآلة معقدة تستمد مهاراتها من الخارج عن طريق التعلم. والفرويدية تعتبره كائناً غير واع تحدد الغريزة (الجنسية)، وبنية شخصيته وتقرر مصيره. أما الفينومينولوجية فتتجاوز النظريتين حين ترى أن الإنسان يتمتع بطاقة كبيرة تمكنه من أن يخلق نفسه على الدوام، ويدرك مغزى وجوده، ويرسم حدود حريته الذاتية. فبمقدوره أن يحس بوحدته في ذلك الوسط المعقد الذي يحيط به، وبأنه جزء من هذا الوسط، وعليه مسؤولية التحرك فيه، ومن خلاله من أجل تغييره وتحسينه، وإعادة تشكيله ليسبغ على وجوده وحياته مغزى وقيمة.

ولعلنا نجد في ما كتبه روجرز عن العلم واللاواقع محاولة للتدليل على أهمية الأخذ بالفكر الفينومينولوجي والوجودي، ورداً واضحاً على السلوكيين. وقد اعتمد في ذلك على

الإنشاءات العلمية الرياضية والفيزيائية. فهو يرى أن الاختلاف في التصورات التي قدمها الرياضيون عن المكان لم يحد من إمكانياتهم على حل المسائل المطروحة، ولم يحل، بالتالي، دون تطور علمهم. إن اعتقاد بعضهم بالنهاية، ومعارضة آخرين النهاية باللانهاية هو مجرد افتراض. ومع أن أياً منهم لم يتحقق من صحة تصوره، أو فرضيته بالقياس، فقد تمكنوا جميعاً من وضع أنماط محددة للمكان دون أن يروها. وبكلمات أخرى، فإن جميع نظريات المكان الفيزيائي، وإن كانت بناء ذاتياً خالصاً، لم تنف الوجود الموضوعي للعالم الفيزيائي. ومن هنا يأتي تأكيد روجرز على ضرورة الاعتراف بفضل هذه البناءات الذاتية على ظهور النسبية واكتشاف الطاقة النووية والمكان الفضائي، وغيرها من المنجزات التي قطعت البشرية بفضلها أشواطاً بعيدة على طريق التقدم العلمي.

وما قيل عن الرياضيات والفيزياء ينطبق، في رأي روجرز، على علم النفس. فليس ثمة ما يدعو إلى قصر مهمة هذا العلم على السلوك القابل للملاحظة والقياس.

وفي ضوء هذه المقابلة، رشح روجرز التعاليم الفينومينولوجية والوجودية للقيام بمهمات الكشف عن العلاقات الوظيفية التي تنشأ في مجرى حياة الفرد، مثلما تتصدى لها النظريات المبنية على الملاحظة الموضوعية للسلوك. فالنظرية التي تسلم بالعلاقة الداخلية الذاتية التي لا تذعن للقياس المباشر، مثلما هو حال النظريات اللاإقليدية، تعتبر، من وجهة نظره، أكثر قيمة على صعيد تطور تصوراتنا مقارنة بالنظريات التي لا يتعدى اهتمامها حدود السلوك المحسوس.

وانطلاقاً من هذه المقدمات، قال روجرز بأولوية الحكمة الإنسانية، وقدرة الإنسان على الإبداع، وإيمانه بالطبيعة الاجتماعية للوسائل والأساليب التي تحرض الطاقة الإبداعية لدى الشخصية أثناء علاقاتها مع الشخصيات الأخرى. ولقد دأب على جمع الوقائع والأدلة الحسية من خلال ممارسته العيادية للبرهان على صحة مسلماته وتطور نظريته. وتقوم هذه النظرية على الاعتقاد بوجود منظومتين لتوجيه السلوك وتنظيمه، وهما: العضوية والذات. أما المنظومة الأولى فتتسم بالنزعة إلى الفعالية، وحفظ الذات وتقويتها. وعندما تمارس نشاطها، فإنها تتبع أساليب تنسجم مع "الذات"، أو الشخصية التي تتشكل في مجرى التفاعل الدائم بين العضوية والبيئة ومعاشرة الآخرين. وبذا فإنها تعد مجالاً خاصاً لتجارب الفرد وخبراته. ويتكون هذا المجال من النظام الإدراكي وتقييم الإنسان لخصاله وعلاقاته بالعالم. ويتخذ التقييم الذاتي مظهرين، فهو إما أن يصدر عن الفرد مباشرة، أو أنه يعكس مواقف الآخرين وآراءهم.

إن نظام الذات يتطلع دوماً إلى التناغم والانسجام الداخليين. وحينما تبلغ بنية الذات درجة

عالية من الصلابة والصرامة، فإنها تحول الخبرة التي لا تنسجم معها إلى عبء يثقل كاهلها. غير أن وجود الذات على الصعيد السيكولوجي هو وجود للشخصية، ومن أجلها. فالشخصية، إذ تحاول التشبث بالتصور المشوه عن الذات مهما كانت النتائج، تكون مرغمة على التمسك بهذا التصور. ويؤدي هذا الوضع إلى تشوه جزء كبير من خبرتها الواقعية واستلابه.

وهكذا، فإن اغتراب الشخصية يكون سبباً في فقدان توافقها مع الواقع، بل وحتى التماس معه، وفي بعض الحالات إلى اضطرابات نفسية عنيفة، يضحي علاجها أمراً ضرورياً.

وعلى هذا النحو، رأى روجرز أن مهمة العلاج النفسي تكمن في إعادة بنية الذات، وإكسابها المرونة اللازمة كي تصبح قادرة على الانفتاح على التجربة الحياتية الواقعية، وامتلاك نفسها من جديد.

ولكي يتم العلاج بالصورة المرجوة، فإن على المعالج أن يقيم علاقة متينة وطيبة مع العميل. وهذا لن يتأتى إلا من خلال النظر إليه كشخصية تحمل قيمة غير مشروطة، ومعرفته بأن العميل قادر على الإحساس، ولو جزئياً، بهذه العلاقة الإيجابية، واستعداده لتقبل العميل وفهمه جيداً.

والجدير بالملاحظة أن الإجراء السيكوترابي الذي يلجأ إليه روجرز يهدف أساساً إلى تكوين صورة جديدة لدى العميل عن ذاته تكون أكثر مواءمة مع الواقع، وجعل "أناه المثالي" أكثر تناسباً مع قدراته وإمكانياته. إلا أن روجرز لا يستبعد تطور "الأنا المثالي" في المستقبل، بل إنه تحدث عن إمكانية تطويره والارتقاء به بعد أن يدرك المرء نفسه، ويعرف مزاياه وعيوبه، ويبدي استعداداً للعمل مع ذاته.

ومما تقدم، يبرز حرص ممثلي الاتجاه الشخصاني على معرفة البنية الدافعية عند الإنسان. وهم، وإن اختلفوا حول نوعية هذه الدوافع وعددها وعلاقاتها بعضها ببعض ودورها في حياة الشخصية، فإنهم يتفقون في النظرة إلى نزوع الفرد إلى التطور المستمر، والتشديد على مكانته المتميزة بين الدوافع. وضمن هذا الإطار، جاءت تأكيداتهم على إنسانية حاجات الفرد ومحاولاتهم للتدليل على قدرة الشخصية على المضي قدماً على طريق التطور. وهذا ما جعل نظرياتهم تختلف عن نظريات التحليل النفسي.

بيد أن ما يؤخذ عليهم هو أنهم لم ينظروا إلى الشخصية، وما تحمله من حاجات ودوافع داخل المجتمع. وفاتهم أنها، أي الشخصية، نتاج العلاقات الاجتماعية. فبدلاً من أن يتتبعوا تطورها ضمن الإطار التاريخي الاجتماعي، راحوا ينظرون إليها بمعزل عن علاقاتها وارتباطاتها الوثيقة والدينامية بالمجتمع، وإلى تشكلها وصيرورتها وتطورها بالتوازي معه.

وربما كانت هذه النظرة نتيجة اعتقادهم الخاطئ بأن حاجات الإنسان ودوافعه، بل وجميع سماته تعود إلى جذور بيولوجية خاصة بالنوع الإنساني. فقد أرجع أولبورت وماسلو العلاقة الإيجابية التي يقيمها الناس الأصحاء نفسياً، والقدرة على الإبداع التي يتمتعون بها إلى الحيوية الذاتية، وتحقيق الذات باعتبارهما نزعة متأصلة في الذات الإنسانية منذ البدء. وفي وقفتهما المطولة عند دافع تحقيق الذات، وحديثهما عن أهميته على صعيد سلوك الشخص لم يتعرضا، صراحة أو تلميحاً، إلى دور المجتمع في تهيئة الظروف المادية والمعنوية المناسبة لتكونه وتطوره.

كما أن هنالك حاجات عديدة تضمنتها قائمة موري تحمل طابعاً اجتماعياً. فالحاجة إلى التقدير والاعتماد على الغير والإذعان والعدوان، وغيرها من الحاجات الاجتماعية، تؤلف، في رأي موري، جانباً هاماً من بنية الشخصية الإنسانية. ومع ذلك، فإن موري لم يتطرق لدى حديثه عنها إلى الشروط التي تؤدي إلى ظهورها وتطورها وكيفية تشكلها. واكتفى بالتأكيد على أهميتها في تحديد اتجاه الشخصية، لأنها توجد فيها بالأصل. وكأنّ للشخصية، أو الذات، وجوداً مستقلاً عن الشروط الاجتماعية المحيطة بالفرد.

وفضلاً عن ذلك، فإن تمسك ماسلو وروجرز بمبادئ الفلسفة الفينومينولوجية، واعتمادهما عليها في صياغة نظرية تقف في مواجهة النظريات السيكولوجية الأخرى، أو تكون بديلاً منها، قادهما إلى الأخذ بمنهج الاستبطان، والتخلي عن المناهج الأخرى. فمع التسليم بقيمة التقارير الشفهية التي يقدمها العملاء عن خبراتهم وحالاتهم وعلاقاتهم أثناء جلسات العلاج، فإننا نعتقد بضعف كفايتها لتشخيص الحالة جيداً. فكيف تكون كافية إذا عرفنا أن الغاية لا تتوقف عند حدود العلاج النفسي، بل تتعداها إلى إنشاء نظرية سيكولوجية جامعة.

علم النفس الوجودي

نتيجة التأثر الشديد بما توصل إليه الفيلسوف الألماني "مارتن هيدجر"، والفيلسوف الدنماركي "سورين كيركجارد"، ظهر على يد عالم النفس الأميركي "رولو ماي"، الذي تدرب على استخدام التحليل النفسي، في فترتي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين فرعاً جديداً من علم النفس يعتمد على التحليل الوجودي. حاول علماء النفس الوجوديون إثبات أن البشر لابد أن يسلموا بفكرة أنهم فانون، وأن تسليمهم بهذه الفكرة سيجعلهم يتقبلون فكرة أنهم أحرار. ومن ثم، سيملكون إرادة حرة، وحرية الدفاع عن آمالهم ومعتقداتهم بالحياة، ليشكل بها كل واحد منهم شخصيته، وطريقه الهادف في الحياة. لقد اعتقد "ماي" أنه من أهم عناصر عملية صنع هدف، أو معنى بالحياة، هو البحث عن النماذج الأسطورية، أو المثالية، التي يمكن للمرء الاقتضاء بها. ووفقاً للفكر الوجودي، لا يأتي البحث عن الهدف من مجرد قبول فكرة الفناء، ولكن من الممكن أن يلقي العمل على تحقيقه بظلاله أيضاً على فكرة الموت، وتوقع حدوثه في أي وقت. وهذا ما أشار إليه الطبيب النفسي الوجودي النمساوي الجنسية "فيكتور فرانكل"، أحد الناجين من المحرقة النازية (الهولوكوست): "إننا، نحن الذين عشنا في معسكرات الاعتقال، نستطيع تذكر الرجال الذين كانوا يسيرون بين الأكواخ ليبثوا بين ساكنيها مشاعر المواساة، ويقدموا لهم آخر ما يتملكونه من طعام. وعلى الرغم من قلة عدد هؤلاء الرجال، فإنهم قدموا دليلاً قاطعاً على أن الإنسان قد يسلب منه كل شيء إلا شيء واحد، ألا وهو اختياره للموقف الذي سيتخذه في ظل أية مجموعة من الظروف، واختياره لطريقه بالحياة". لقد كان "ماي" من أوائل الذين ساعدوا في تطوير العلاج الوجودي، كما قام "فرانكل" بابتكار شكل جديد لهذا الأسلوب العلاج أسماه logotherapy، والذي يعني أيضاً العلاج الوجودي. وإلى جانب كل من "ماي" و"فرانكل"، هنالك المحلل النفسي السويسري "لودفيج بينسوانجر"، والعالم النفسي الأميركي "جورج كيلي"، اللذان يمكن القول إنهما ينتميان للمدرسة الوجودية. وقد سعى علماء النفس الذين ينتمون إلى كل من المدرسة الوجودية والمدرسة الإنسانية إلى إثبات أنه لابد للناس من الكفاح للوصول إلى كامل الإمكانات الموجودة بداخلهم. وفي حين اعتقد علماء النفس من المدرسة

الإنسانية أن هذا النوع من الكفاح يعد أمراً فطرياً، فإن علماء النفس الذين ينتمون إلى المدرسة الوجودية رأوا أن هذا الكفاح يأتي بعد شعور القلق، أو الحصر النفسي الناتج عن التفكر في موضوعات، مثل الفناء والحرية والمسؤولية.

جائزة البروفيسور محمد أحمد النابلسي
لشبكة العلوم النفسية العربية 2011

تخصص الجائزة لهذا العام لأعمال في الطب النفسي، بعد أن خُصصت جائزة عام 2010 لأعمال في علم النفس، وذلك عملاً بنظام الإسناد بالتناوب سنوياً بين علمي النفس والطب النفسي.

شروط التقدم للجائزة:

النص الكامل على الرابط التالي:

www.arabpsynet.com/Documents/APNprize2011.pdf

- تمنح الجائزة "لعمل في الطب النفسي" (فردي، أو جماعي/ فريق بحث) قدم خدمات مميزة في ميدان الاختصاص ساهم في تطور الطب النفسي في العشرية الأخيرة.
- تسند الجائزة سنوياً وبالتناوب بين أعمال علوم النفس (السنوات الزوجية)، وأعمال الطب النفسي (السنوات الفردية).
- تسلم الجائزة لصاحب العمل الفائز على هامش أحد مؤتمرات علم النفس، أو الطب النفسي، حسب الاختصاص الذي ينتمي اليه صاحب العمل الفائز (لا تتحمل الشبكة مصاريف نقل وإقامة الفائز لحضور المؤتمر الذي تمنح فيه الجائزة).
- تقبل الأعمال الطبنفسية المرشحة للجائزة من 1 جانفي/ يناير، كانون الثاني إلى 30 سبتمبر، أيلول 2011.
- تتألف الجائزة من "رمز الشبكة" مع "مكافأة مالية قدرها 1000 دولار".
- تقديم الترشح شخصي: لا يقبل تقديم الترشحات من طرف أفراد أو هيئات أو

مؤسسات بالنيابة عن شخصيات طبنفسية، أو دون علمهم.

- يعلن عن الفائز بالجائزة آخر يوم من نهاية كل سنة (31 ديسمبر/ كانون الأول).
- ترسل ملفات الترشح بالتزامن على البريد الإلكتروني للشبكة ولرئيسها (لا تقبل إلا الوثائق الإلكترونية).
- تحجب الجائزة إذا قدرت الهيئة العلمية للشبكة إن ما قدم من أعمال لا يرقى إلى مستواها.

لجنة الجائزة

تتكون "لجنة تحكيم جائزة الطب النفسي لشبكة العلوم النفسية العربية من رئيس اللجنة، وهو الأستاذ الذي تشرفت الجائزة حمل اسمه الكريم، مع السادة الأطباء أعضاء الهيئة العلمية الإستشارية للشبكة، إضافة إلى الرؤساء الأربع للشبكة (الرئيس الفخري، الرئيس الشرفي، الرئيس، نائب الرئيس).

تفضلوا تقبل أصدق مشاعر المودة والتقدير والاحترام

دمتم سنداً للعلم والمعرفة

الدكتور جمال التركي

arabpsynet@gmail.com - turky.jamel@gnet.tn
www.arabpsynet.com/Documents/APNprize2011.pdf
http://www.arabpsynet.com/mailinglist/ConsMailingList.asp

جائزة البروفيسور عبد الستار إبراهيم

لشبكة العلوم النفسية العربية 2010

فاز بها الأستاذ الدكتور عمر خليفة الهارون

أستاذ علم النفس. السودان

okhaleefa@hotmail.com

عن عمله ومشروعه حول

"توطين علم النفس في العالم العربي"

تكريم الدكتور جمال التركي
بمنحه جائزة الدكتور شاذلي تبان
كلمة الدكتور جمال التركي في حفل تسلم الجائزة:

سيدتي رئيسة المؤتمر ورئيسة المعهد القومي لرعاية الطفولة

سيدي المدير العام للنهوض الاجتماعي بوزارة الشؤون الاجتماعية

سيدتي رئيسة جامعة الآداب والعلوم الإنسانية بمنوبة

سيدي مساعد عميد كلية الطب بتونس

السادة والسيدات أعضاء المعهد القومي لرعاية الطفولة.. الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

بمزيد الغبطة والانشراح تلقيت نبأ تكريمي بجائزة معهدكم الموقر: "المعهد القومي لرعاية الطفولة"، وذلك على هامش التظاهرة العلمية "اليوم الدراسي الثاني فرانسواز دولتو" التي تقيمونها.

يشرفني أن أتقدم بالشكر الجزيل لرئيسة المعهد، ولجميع أعضاء معهد الطفولة، لهذه اللفتة الكريمة التي أعدها تقديراً واعترافاً بما أنجزته "بوابة شبكة العلوم النفسية العربية" من خدمات علمية جليلة ساهمت في تأسيس حركية جديدة للتواصل بين أهل الاختصاص في جميع ميادين العلوم النفسية بالوطن العربي.

سادتي الكرام: إن هذا التكريم الذي حظيتُ به من لدن معهدكم الموقر يتجاوز شخصي كرئيس للشبكة إلى جميع أعضاء هيئتها العلمية الاستشارية، والتي تضم نخبة من أبرز الأطباء النفسانيين وأساتذة عمل النفس العرب، وإلى جميع أسرتها العاملين فيها.

إن تبوؤ "شبكة العلوم النفسية العربية" مركز الصدارة كأول بوابة عربية على الويب في حقل العلوم النفسية العربية لشرفٌ يطال كل العرب، وهذا الشرف مضاعفٌ للتونسيين، كون مؤسسها ورئيسها تونسياً.

الحضور الكريم، سبق أن حظيت في ما مضى بشرف التكريم، ونيل عديد الجوائز من جهات عربية ودولية، إلا أن هذا التكريم يعد أول تكريم تشرفني به جهة علمية تونسية له وقع خاص ومكانة خاصة تعز عن الوصف. إن تكريم الوطن لأبنائه قد لا يضاهيه أي تكريم إذا استثنينا تكريم الوالدين، إن فضل كل من كرَّمني علي كبير، لقد كان خير حافز لمواصلتي العمل في هذا الدرب العلمي الأكاديمي المستقل الذي لا تدعمه أي جهة علمية،

تونسية كانت، أو عربية، أو دولية.

سيداتي، سادتي، زملائي الأفاضل، إن تزامن تظاهرتكم العلمية مع تحولي للسودان للمشاركة في فعاليات "المؤتمر الحادي عشر لاتحاد الأطباء النفسيين العرب" حال دون استكمال سعادتي بالتواجد بينكم وحضوري حفل الافتتاح والتكريم، لكن يبقى عزائي كبيراً في أن يتسلمها من حضراتكم أحد أعز أصدقائي السيد الأزهر التليلي.

سيداتي، سادتي، الحضور الكرام، تفضلوا بتقبل خالص آيات الشكر والعرفان لما حبيتموني به من شرف تكريم يطال جميع الزملاء العرب العاملين في الصحة النفسية، الساعين لرفع مستوى علومها وخدماتها في أوطاننا.

إنا بكم نرقى، ومعكم نسير الدرب رفعة بالعلوم في أوطاننا.... دمتم سنداً للعلم والمعرفة، ودام عزكم وعطاؤكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. جمال التركي

رئيس شبكة العلوم النفسية العربية

مؤتمر دور المرأة القيادي

تحت شعار "معاً نشارك لقيادة وطن ديموقراطي"

وحدة بحوث المرأة/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

بالتعاون والتنسيق مع لجنة بحوث المرأة/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

بعنوان

"دور المرأة في قيادة المجتمع"

2011/4/16.14

برعاية وزير التعليم العالي والبحث العلمي

الأستاذ علي الأديب

رئيس جامعة بغداد

أ.د. موسى جواد الموسوي

محاور المؤتمر:

- المرأة والمشاركة السياسية.
- المرأة والمؤسسات التعليمية.
- المرأة والمجتمع (الأسرة، التربية).
- المرأة والتمكين الاقتصادي.
- المرأة ومنظمات المجتمع المدني.
- المرأة والإبداع.

أهداف المؤتمر:

- دراسة أوضاع المرأة، وتسليط الضوء على أدوارها الإبداعية والتربوية باعتبارها شريكاً للرجل في عملية صنع القرار، وتوحيد الجهود العلمية والعملية لتحديد العراقيل والصعوبات التي تواجهها من أجل تحقيق التنمية السياسية.

- تطوير القدرات العلمية الأكاديمية للكوادر النسوية للارتقاء بأدوارها القيادية عبر تفعيل الحراك الثقافي والسياسي في ضوء وسائل البحث الحديثة.

رئيس المؤتمر

أ.د.عامر محمد علي

عميد كلية التربية للبنات

نائب رئيس المؤتمر

أ.د. إسماعيل طه الدليمي

المساعد الإداري لعميد كلية التربية للبنات

اللجنة التحضيرية للمؤتمر:

د.أثمار شاكر مجيد: رئيس وحدة بحوث المرأة/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد.

رئيس لجنة بحوث المرأة/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ رئيساً.

د.مها مازن كامل/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ مقرراً.

أ.د.روناك توفيق علي/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ عضواً.

أ.د.ياسين محمد حمد/ كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد/ عضواً.

أ. شذى كاظم مفتن/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ عضواً.

د.بشرى حسين علي/ كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية/ عضواً.

د.لمياء ياسين زغير/ كلية التربية/ جامعة بغداد/ عضواً.

د.انتصار كمال قاسم/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ عضواً.

د.زينب عبد الحسين بلال/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ عضواً.

د.عباس محمد رشيد/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ عضواً.

م. مريم مال الله غزال/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ عضواً.

م.م. أشواق سعيد رديني/ كلية والتربية للبنات، جامعة بغداد/ عضواً.

م.م. سعاد راضي فيروز/ كلية التربية للبنات/ عضواً.

خالد حامد نايف/ مدير الخدمات والمتابعة/ كلية التربية للبنات/ عضواً.

سعد عبد الكريم/ مدير التخطيط والمتابعة/ كلية التربية للبنات/ عضواً.

هناء علي/ مكتب المستشار/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ عضواً.

نضال عيفان مهدي/ كلية التربية للبنات/ عضواً.

هناء حمزة محيي/ كلية التربية للبنات/ عضواً.

سالمة محمد ناجي/ وحدة بحوث المرأة/ كلية التربية للبنات/ عضواً.

لمى عدنان حامد/ مبرمج/ كلية التربية للبنات/ عضواً.

شروط البحوث المشاركة في المؤتمر:

- أن لا يكون قد سبق نشره، أو المشاركة به في مؤتمر آخر، أو قُبل للنشر في مجلات علمية.
- أن تُراعى في كتابة البحث قواعد المنهج العلمي.
- أن لا تزيد صفحات البحث عن **30** صفحة من حجم **A4**.
- يُكتب البحث باللغة العربية، أو اللغة الإنكليزية.
- تخضع جميع البحوث للتحكيم العلمي.
- يُكتب البحث متوافقاً مع نظام الـ (IB14) وترسل نسخة بالبريد الإلكتروني.
- تُرسل الملخصات في موعد أقصاه **2011/2/20**. ولا يتجاوز الملخص **200** كلمة مطبوعة على ورق A4 نوع Simplified Arabic، وأن تصل البحوث في موعد أقصاه **2011/3/1**م.

- للجنة العلمية استبعاد أي بحث من دون ذكر الأسباب.
- يُنشر البحث في وقائع المؤتمر في كتاب مطبوع.

نفقات الإقامة:

- تتحمل نفقات السفر كافة، ذهاباً وإياباً، والإقامة لثلاث ليالٍ، والإعاشة والتنقل داخل العراق، طيلة فترة المؤتمر.

استمارة المشاركة في المؤتمر:

اسم المشترك: . . . . . .

مكان العمل: . . . . . .

الجنسية: . . . . . .

المرتبة العلمية: . . . . . .

عنوان العمل: . . . . . .

الهاتف النقال: . . . . . .

الفاكس: . . . . . .

البريد الإلكتروني: . . . . . .

عنوان البحث: . . . . . .

محور المؤتمر: . . . . . .

المراسلات:

المراسلات تُرسل إلى وحدة بحوث المرأة/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

E-MAIL: wru.coeduw@uobaghdad.edu.iq

مؤتمر التحليل النفسي لظاهرة الإرهاب العالمي

تناول المؤتمر الدولي الثالث للمحللين النفسيين العرب موضوع "العنف والإرهاب"، بمشاركة عدد كبير من المحللين والأطباء النفسيين العرب والأجانب. وأشار البروفيسور عدنان حب الله إلى أن أعمال العنف تكاثرت ابتداء من أحداث 11 سبتمبر حتى الآن، وأصبحت ظاهرة ميزت بداية هذا القرن، والواضح أن هذا العنف ليس عشوائياً، إنما يرضخ لتخطيط ولأيديولوجية مبرمجة ترتكب ضمن إطار منهجي، وتنطلق من قاعدة دينية تتمحور

من خلال البيانات والتقارير، سواء أتت من أميركا على لسان جورج بوش، أو من جماعات المتطرفين من الإسلاميين على لسان بن لادن. والفكرة تدور حول حماية "المقدس"، بما يجعل العنف وسيلة للدفاع عن هذا المقدس الذي يرى كل طرف من زاويته أنه مهدد بالخطر.

إرهاب الدولة

د. حسين عبد القادر قدم ورقة بعنوان "دور الفرد في إرهاب الدولة بين التعصب الديني وجوقة المصالح"، تحدث فيها عن كتابه "بوش الصغير في ضوء التحليل النفسي: من إدمان الخمور إلى إدمان الحروب"، مؤكداً أن النزعة الدينية المتعصبة في الولايات المتحدة الأميركية اليوم لم تعد نشطة فحسب، بل اتضحت معالمها في ولاية بوش الأخيرة، ليتمثل ويتبنى دعواها. وبجانب تحالفها مع جوقة المصالح المتعددة الهويات من كبار الاحتكاريين للبترول والسلاح، بل والشركات المرتزقة، ومراكز الأبحاث، وهؤلاء وهؤلاء كانوا في حاجة لفرد بعينه وجدوه في بوش الصغير لتتحقق مآربهم من خلاله، وضرب بوش الصغير بجدلية العلاقة بين الفرد وجماعات المصالح أبشع مثال معاصر لإرهاب الدولة.

سوزان تميم و.. عطيل المصري

"ازدواجية القتل الشرس ما بين عطيل المصري والمغنية اللبنانية" هو عنوان الورقة التي قدمها الدكتور خليل فاضل، عضو الكلية الملكية للطب النفسي بلندن، وذلك بعد اتهام ملياردير مصري بالتحريض والمشاركة على قتل المغنية اللبنانية سوزان تميم.

ويوضح د. فاضل أن الموضوع يكتسب أهميته من تشابك أمور المال والجنس، حب التملك، الاعتقاد "الضلالي" بأن كل شيء ممكن التحكم فيه حتى الحياة والموت.

كما اكتسبت القضية أهمية خاصة نظراً لغموضها وأهمية أطرافها على المستوى السياسي، واهتمام الرأي العام به إلى درجة كبيرة، والملياردير العاشق يكتسب سمات عطيل في (الغيرة القاتلة). وهذه الفرضية التي تصوره على أنه عاشق غيور استخدم البوليسي السابق لتحقيق أهداف شخصية.

فضحت الجريمة على نحو خاص العلاقة الآثمة لبعض رجال الأعمال، وقوى أخرى ظاهرة وخفية من أجل استغلال نفوذهم لتحقيق مآرب شخصية بحتة. وأدى ذلك إلى قناعة من بعضهم بأن عمل المشاهير اللاعبين على حبال عدة قصير، سواء كان ذلك في صورة المغنية الساعية للثروة والشهرة، أو الملياردير الذي بلغ أوج قوته، فعميت بصيرته عن احتمالات الواقع الذي لا يرحم.

ويري د. فاضل أن ما حدث كان جريمة قتل بشعة، لها ازدواجية المظهر الأخلاقي الديني، والإجرام الشرس المتأصل، ويلقى بالضوء على قضية رجال الشرطة الذين تركوا الخدمة، لماذا، ومتى، وإلى أين؟ ومدى علاقتهم بالقطاع الخاص، ومدى تأثير ذلك على مصر والإمارات، ومن على بعد لندن والعراق.

العنف والإرهاب

تناول د. علاء فرغلي "الجوانب النفسية للإرهاب"، موضحاً أن كلمة إرهاب تعني الصراع بكل مستوياته، بدءاً من الصراع النفسي، إلى الصراع بين المجموعات العرقية والطوائف الدينية والاجتماعية والسياسية داخل المجتمع الواحد، وحتى الصراع بين الحضارات.

ويعرف الإرهاب من الناحية السيكولوجية على أنه "حالة من ترويع وبث الفزع والرعب في نفوس المدنيين من جمع الناس في أي مكان وزمان، وتحت أي ظروف معيشية، بصرف النظر عن دوافع وأسباب حدوثه، فهو استعمال العنف والعدوان والتخويف للوصول إلى هدف معين غالباً سياسي".

ذهنية التكفير

د. حسن حماد قدم تحليلاً نفسياً لخطاب الإرهاب الديني، وكشفت دراسته عن أن هنالك أوجه شبه كبيرة جداً تصل أحياناً إلى حد التطابق بين الظروف والملابسات التي نشأت فيها الحركات الفاشية في أوروبا، والظروف والملابسات التي ظهرت فيها الجماعات الدينية المتطرفة في واقعنا العربي.

كذلك، فإن مبادئ الفاشية المتمثلة في عبادة الزعيم، والتأكيد على الانفعالات والمشاعر، التعصب، البحث عن عدو وهمي، كراهية الثقافة والمثقفين، العنف، أحادية البعد... إلخ. هي المبادئ نفسها التي تشكل أيديولوجية الجماعات الدينية المتطرفة.

وأكد أن التصدي للإرهاب لن يكون من خلال الحل الأمني، أو من خلال إنتاج خطاب أصولي رسمي يقف في مواجهة الأصولية المحظورة، ولكن عبر تجفيف ينابيع الإرهاب التي تتغذ من آلام الناس وإحباطاتهم ويأسهم وسخطهم ذريعة لبث ثقافة الموت والرعب والخوف. لذلك لابد من إيجاد حلول اقتصادية حقيقية للطبقات المهدور حقها من كافة المهمشين والمستضعفين من العاطلين، صغار الفلاحين، والموظفين.

ويرى د. حماد أن هذه الجماهير المحرومة التي تحيا على حافة الموت والجنون هي الرصيد

والحليف الحقيقي لكافة التنظيمات والجماعات الإرهابية. وهذه الجماهير الصامتة، والتي تبدو وكأنها بلا حول أو قوة يمكن أن تتحول في لحظة إلى قوة مدمرة وسادية تحطم في طريقها كل شيء، ولا تبقي على شيء، والأخطر من ذلك أنها يمكن أن تصبح أداة سهلة لأي جماعة أو قيادة فاشية تداعب نرجسيتها الجريحة بأي حلول وهمية تتقنع وراء الشعارات الدينية.

د.حنان جميل هلسة قدمت دراسة عن جذور الإرهاب بالمجتمع الأردني، ورأت فيها أن رعاية الحكومات المتعاقبة للتيارات الإسلامية، وعلى مر السنوات، وإتاحة مجالات العمل الاجتماعي والصحي والتعليمي ومن ثم السياسي لها، قد ساهم في تقوية نفوذ هذه التيارات، وخاصة النفوذ المالي، مما جعل منها أرضاً خصبة لنشوء تيارات "ذات توجهات سلفية" على حد تعبير الباحثة. كما أسهمت تداعيات القضية الفلسطينية واحتلال العراق في تعزيز التوجهات المتطرفة نظراً لتنامي مشاعر الغضب بحق الفلسطينيين والعرب بشكل عام لدى الشباب في ظل غياب أحزاب سياسية فاعلة وديموقراطية.

تقنيات علاجية

في جلسة عن التقنيات العلاجية للعنف والإرهاب، قدمت د.انتصار فلمبان تجربة السعودية في مكافحة الإرهاب، ومنها لجنة المناصحه التي تبنتها وزارة الداخلية حتى يتم إزالة اللبس الموجود لدى الشباب بالدليل الشرعي.

كذلك تطوير برنامج خاص لرعاية الموقوفين الذين شارفوا على استكمال تنفيذ الأحكام القضائية التي صدرت بحقهم، وكذلك العائدون من غوانتانامو، أو العراق، أو المناطق المضطربة، والموقوفون من الداخل الذين تم التغرير بهم، وذلك لتهيئتهم للانخراط في المجتمع بعد انتهاء محكوميتهم.

وعن "التأهيل في السجون"، تناول الباحث محمد عيسى الحمادي (الإمارات) دور برنامج التحفيظ في السجون الذي تنفذه جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم بالتعاون مع إدارة المؤسسات العامة العقابية والإصلاحية بالقيادة العامة لشرطة دبي.

وتتبني الجائزة تخفيف العقوبة عن الملتحقين الذين يحفظون القرآن كاملاً، أو أجزاء منه، ممن يجتازون الاختبارات الدورية التي تعقد كل 3 أشهر، ومكافأة مالية قدرها 100 درهم لكل مشارك ومشاركة في البرنامج.

الفقر والعنف

العنف الأسري

د. عماد محمد أحمد مخيم تناول "الفقر والعنف"، موضحاً أن الفقر وعدم كفاية الدخل يؤثر على المجتمع والأسرة والأفراد، فمن ناحية المجتمع فإن المجتمعات التي لا توفر الحد الأدنى من متطلبات الحياة الأساسية لأفرادها تظل هذه المجتمعات في حالة تهديد مستمر، وكأنها تعيش على حافة الهوية من توقعها (للعنف والتمرد والاضطرابات النفسية والإدمان.. إلخ)، ومن ناحية الأسرة، فإنه يؤثر على أفرادها من الناحية الانفعالية والاجتماعية والجسمية بل والأخلاقية، وقد اختلف علماء النفس الذين تناولوا التأثيرات المختلفة للفقر والضغوط الاقتصادية في تسمية هذه الضغوط، إلا أنهم اتفقوا على أن للفقر تأثيرات سلبية متعددة على سلامة الأداء النفسى لكل أفراد الأسرة.

جرائم قتل الأزواج

قدمت د.أمينة محمد بيومي دراسة حالة لجرائم قتل الأزواج، وتؤكد أن إرث التبعية لدى المرأة، واختلاطه مع منظومة حقوق المرأة، ومحاولات المحاكاة بها عبر وسائل الإعلام الفضائية والمحلية، أمر أفقد المرأة العربية والمصرية محددات حقوقها وواجباتها، وأدخل مفردات مستحدثة غيبت ملامح العلاقات الحميمة بين الأزواج.

"القلق والاكتئاب لدى الزوجات المتعرضات لعنف الأزواج" عنوان الورقة المقدمة من د. وفاء جاسم العرادي، وتؤكد فيها الباحثة على ضرورة تشجيع الزوجات اللاتي يُمارَسُ العنف ضدهن على استشارة الاختصاصين النفسيين، وعدم الخجل من مثل تلك المشكلات.

الأطفال المشردين والعنف

قدمت د.إيمان السيد دراسة بعنوان "ديناميات العنف لدى الأطفال المشردين"، توضح أننا لا نستطيع فصل ظاهرة الأطفال المتشردين عن ظواهر العنف والعدوان، مما يتعرض له مثل هذا الطفل في منزله، وبين أسرته، والتي غالباً ما تقع في إطار التفكك، أو الضغوط الاقتصادية، وما إليهما، وكلها أمور من شأنها أن تدفع الطفل إلى الشارع، حيث الضياع والتشرد.

إن العنف بأشكاله المختلفة الذي يتعرض له هؤلاء الأطفال يرافق حياتهم، فالطفل المشرد يعامل بالعنف ممن يحيطون به، ويتكرر معه العنف والعدوان، وقد يصارع هو الآخر لممارسة السلوك نفسه ضد آخرين.

طفل مشرد

بينما توضح د. منى محرم عبد المجيد حسن في دراستها "الخصائص النفسية للأطفال المعنفين أسرياً" أن العنف الأسري يقع ضد الطفل من الأسرة في إطار المنزل، وقد يكون سلوكاً معلناً في صورة تحرش وأذى جسدي قد يؤدي إلى الوفاة، أو سلوك غير معلن في صورة تحقير وإهمال وسخرية وحرمان من بعض الحقوق، كالتعليم، أو العنف الاقتصادي، والعمل بدون أجر، وغيرها من السلوكيات العنيفة غير المعلنة.

وتقدر منظمة الصحة العالمية أن 40 مليون طفل أقل من 15 سنة يعانون سوء المعاملة والإهمال، ويحتاجون إلى رعاية صحية واجتماعية. وقد أوضح مسح أُجري في مصر أن نحو 37٪ من الأطفال يفيدون بأن آبائهم ضربوهم، أو ربطوهم بإحكام، وأن 26٪ أبلغوا عن إصابات، مثل الكسور، أو فقدان الوعي، أو إعاقة مستديمة نتيجة لذلك.

وتضيف أن ممارسة العنف تؤدي إلى التأثير على صحة الطفل النفسية بالسلب، وكذلك يقلل أو يفقدهم القدرة على التعلم، وتحقيق مطالب نموهم النفسي والجسدي والاجتماعي، وقد يؤدي إلى هروبه من المنزل، ومن كنف الأسرة، وهو أخطر تبعات العنف الأسري بعد الوفاة، مما يؤدي إلى وجود قنبلة موقوتة من أطفال الشوارع نواة العنف والجريمة والإرهاب.

قدم د. إسماعيلي يامنة، والباحث إسماعيلي ياسين دراسة بعنوان "العنف وعلاقته بالأساليب التربوية" توضح أن ظاهرة سوء المعاملة دخلت إلى الثانوية نتيجة الصراع الذي أصبح واضحاً، وهو أن التلميذ يمر بفترة المراهقة التي يتصور فيها نفسه قادراً على تسيير أموره بنفسه، وسلطة الأستاذ عليه، ومن هنا فإن الظاهرة في المرحلة الثانوية تفاقمت أكثر نتيجة محاولة كل طرف منهما "الأستاذ"، و"التلميذ" إثبات نفسه أمام الآخر.

ما بين الالتزام والتعصب

يؤكد د. عبدالله النجار أن التنظيمات السياسية والدينية الفلسطينية تعاني من أزمة حقيقية داخلية وخارجية، تتجلى مظاهرها في تراجع دورها، وارتباك مواقفها، وانحسار قاعدتها الجماهيرية، وبروز نزعة الاحتراف السياسي عند بعض قادتها، ونضوب مواردها المالية والنضالية، كما تتجلى في خروج كوادر حزبية نشطة من صفوفها، وعزوف آخرين عن القيام بمهمات حزبية، وقد تعود أسباب الأزمة على وجه العموم إلى التحولات الأيديولوجية بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، وتوقيع اتفاقية أوسلو ودخول القضية الفلسطينية مرحلة جديدة، وترهل وعجز القيادات "التاريخية" وعدم القدرة على استيعاب الدماء الشابة في شرايينها،

وبالتالي العجز عن مواكبة التغيير الهائل تكنولوجياً ومعرفياً وعملياً.

ويرى الباحث أن ظاهرة العزوف عن العمل السياسي هي ظاهرة عالمية، يصاحبها تآكل في دور الأحزاب، وإن من الإجحاف والتبسيط أن نعزو هذه الأزمة التي تعصف بالقوى السياسية إلى منظمات العمل الأهلي.

وأخيراً، يشير إلى أن الإنسان لا يولد إرهابياً بالفطرة، بل تصنعه مؤسساته الاجتماعية، وعندما يظهر إرهابي بيننا فإننا من صنعه... أو بعبارة أخف فنحن من ساهم في صنعه.

الإرهابي في رسوم الأطفال

تناولت د.إيمان حسين السيد، ود.خالد محمد عبد الغني، صورة شخصية الإرهابي كما تظهر في رسوم الأطفال، وتوصلت نتائج الدراسة التي قاما بها إلى وجود بعض العناصر التي ميزت شخصية الإرهابي، مثل وجود أسلحة، ورسم لحية وعمامة، وتغطية الوجه، كما وجدت فروقاً بين تصور الأطفال للإرهابي وللشخص العادي. وأكدت النتائج وجود انعكاس لصورة شخصية الإرهابي التي يبثها الإعلام بوسائله المختلفة، والتي يتلقاها.

المؤتمر الإقليمي الثاني لعلم النفس

"تقرير"

أ.د.قاسم حسين صالح - العراق

عقدت رابطة الاختصاصيين النفسيين المصرية مؤتمرها الإقليمي الثاني لعلم النفس في القاهرة في الفترة 11/29 إلى 2010/12/1، حضره اختصاصيون نفسيون من البلدان العربية، بينهم علماء كبار وقامات شامخة في علم النفس والطب النفسي.

استهل المؤتمر بجلسة افتتاحية لرئيسه الدكتور صفوت فرج، ومقرره الدكتور محمد نبيل عبد الحميد، والدكتور أحمد عكاشة.. بدأ بعدها بمناقشة (38) بحثاً تم انتقاؤها من قبل محكمين توزعت على تسعة محاور في تسع جلسات، تناولت الأولى (بحوث التعلم والتعليم) ترأسها الدكتور جابر عبد الحميد جابر. واختصت الثانية في (بحوث العنف والإرهاب) ترأسها الدكتور معتز سيد عبدالله. والثالثة عن (بحوث العلاج والإرشاد) أدارها الدكتور صفوت فرج. والرابعة اختصت بـ(الاضطرابات النفسية: التشخيص والعلاج)، ترأسها الدكتوره آمال صادق. وناقشت الخامسة (قضايا ومشكلات ذوي الاحتياجات الخاصة) أدارها الدكتور فاروق صادق. وخصصت السادسة لـ(بحوث علم النفس الإيجابي) ترأسها الدكتور عبد الحليم

محمود. والسابعة لـ(بحوث الشخصية والبحوث عبر الثقافية) أدارها الدكتور مصطفى تركي. والثامنة عن (بحوث علم النفس الاجتماعي) ترأسها الدكتور فرج عبد القادر طه. أما التاسعة والأخيرة فقد خصصت لـ (بحوث التدخل)، وترأسها الدكتور قاسم حسين صالح.

والممتع أن المؤتمر لم يقتصر على تقديم ومناقشة البحوث، فقد استهلت صباحات أيامه الثلاثة بمحاضرات قدمتها هامات عالية في علم النفس، كانت الأولى بعنوان: (المنهج الظاهراتي بين الفلسفة وعلم النفس) للدكتور حسن حنفي، وترأس الجلسة الدكتور قدري حفني. والثانية عن (الشخصية المصرية بين الثبات والتغيير من منظور نفسي اجتماعي) قدمها الدكتور سمير نعيم، وأدار الجلسة الدكتور حسين عبد القادر. وكانت الثالثة بعنوان: (فوبيا العلم) قدمها الدكتور خالد منتصر، وترأس جلستها الدكتور زين العابدين درويش.

ليس هذا فقط، بل كان بين هذه المحاضرات الغنية بالمعرفة والأفكار الجديدة وجلسات البحوث بمحاورها التسعة، سبع ندوات وخمس موائد مستديرة!.. تناولت الندوة الأولى (أدوار الاختصاصي النفسي الإرشادي ومشكلات الممارسة بالمؤسسات التعليمية)، أدارها الدكتوران عبدالله محمود سليمان وعلاء كفافي، وخصصت الثانية التي أدارها الدكتوران ناهد رمزي وحسن عيسى لـ(تنمية القدرات الابداعية والمهارات الحياتية في أطار النظام التعلمي الحالي)، فيما تناولت الثالثة التي أدارها الطبيبان النفسيان الدكتوران هاشم بحري وأحمد أبو العزايم (الإدمان بين الطب النفسي وعلم النفس). وخصصت الرابعة لموضوع (ثورة الاتصالات وآفاقها النفسية والاجتماعية في عالم الأعمال)، أدارها الدكتوران فيصل يونس وفكري العتر، وخصصت الخامسة لـ(الوضع الراهن لمهنة العلاج النفسي: قضايا وآفاق مستقبلية) أدارها الدكتوران أحمد عكاشة وناصر لوزة، فيما خصصت السادسة لـ(قضايا نظرية ومنهجية في علم النفس)، أدارها الدكتوران السيد عبد القادر زيدان وإيمان القماح. أما الندوة السابعة والأخيرة، التي أدارها الدكتوران صفاء الأعسر وعويد سلطان المشعان، فقد تناولت (فعالية أدوار الاختصاصي النفسي في محاكم الأسرة).

وتكتمل الفائدة العلمية الممتعة بسبع موائد مستديرة ناقشت الأولى: (الخدمات النفسية في مجال الطب النفسي في الوطن العربي: الحاضر والمستقبل بعيون الخبراء والممارسين)، أدارها الدكتوران عبد الستار إبراهيم وطه المستكاوي، وناقشت الثانية التي أدارها الدكتوران عزيزة السيد ونبيلة أبو زيد (مفهوم المواطنة ومشكلاتها من منظور نفسي اجتماعي). وتخصصت الثالثة بـ(أدوار الاختصاصي النفسي بالمؤسسات الصناعية) أدارها الدكتوران محمد السيد أبو النيل وإبراهيم شوقي، وخصصت الرابعة لموضوع (العنف ضد

النساء) أدارها الدكتوران محمد محمد خليل ومحمد نبيل عبد الحميد، أما المائدة المستديرة الخامسة فقد ناقشت (أدوار الاختصاصي النفسي في مجال علم نفس الصحة الإكلينيكي).

كل هذا الزخم المعرفي الذي تناول جميع مجالات علم النفس، وتلك التي يشترك بها مع الطب النفسي.. ضخ في ثلاثة أيام! اختتمت بجلسة مسائية لقراءة التوصيات.. بينها ثلاث تقدمنا بها، هي:

- تأسيس مركز باسم (المركز الإقليمي لمناهضة الإرهاب) يعمل على وضع استراتيجية تربوية اجتماعية نفسية تعتمد حقيقة أن الإرهاب هو في الأصل أفكار تتحول إلى معتقد يتجسد في سلوك، وأن البندقية لوحدها غير قادرة على القضاء عليه.
- اعتبار تحقيق وتطوير خدمات الصحة النفسية مهمة مشتركة بين الأطباء النفسيين والاختصاصيين النفسيين، وأن تشرك وزارات الصحة الاختصاصيين النفسيين بوزارات التعليم العالي في الدورات التدريبية والورش والنشاطات العلمية والبرامج الخاصة بالصحة النفسية، ولا تحصرها بالأطباء النفسيين فقط.
- دعوة الاختصاصيين النفسيين المصريين بشكل خاص والعرب بشكل عام إلى أن يكون لهم دور فاعل في معالجة المحنة التي يعيشها أشقاؤهم العراقيون بتقديم المشورة العلمية التخصصية وإجراء الدراسات النفسية والاجتماعية بالتنسيق مع الجمعية النفسية العراقية وجمعية الأطباء النفسيين العراقية، والعمل على عقد مؤتمر يقام في بغداد العام المقبل خاص بالتحولات النفسية والاجتماعية في المجتمع العراقي عبر ثلاثة عقود من الحروب والفواجع. وسنعمل بشكل شخصي على الاتصال بالرئاسات الثلاث في العراق لإقامة هذا المؤتمر.

انطباعات

- حقق المؤتمر نجاحاً متميزاً من حيث نوعية الحضور وتمثيله للبلدان العربية والبحوث والندوات والموائد المستديرة، وحسن الإدارة والتنظيم والأمور الفنية. وكان لجهود الأستاذ الدكتور صفوت فرج رئيس المؤتمر والأستاذ الدكتور محمد نبيل عبد الحميد مقرر عام المؤتمر، الأثر الكبير في جعل هذا الحدث العلمي علامة بارزة في مسيرة علم النفس في الوطن العربي، ومصدر معرفة غني بما هو جديد للعاملين في ميداني علم النفس والطب النفسي.
- كان علماء النفس المصريون مبهرين بحضورهم الفكري، ونضجهم المعرفي،

وطلاقتهم المعهودة، لاسيما شيوخهم الكبار، أمثال: حسن حفني، صفوت فرج، عبد الستار إبراهيم، فرج عبد القادر طه، السيد عبد القادر زيدان.. وآخرين أطال الله في أعمارهم ليبقوا منبعاً ثرّاً للاختصاصيين النفسيين العرب.

- كانت العلاقة بين الاختصاصيين النفسيين المصريين وزملائهم الأطباء النفسيين علاقة تعاون واحترام وشراكة عملية، لاسيما في مجالات العلاج السلوكي المعرفي والإرشاد النفسي التي يقوم بها الاختصاصيون النفسيون، لا كما هو حاصل في العراق مثلاً، حيث يستأثر الأطباء النفسيون بكل ما يتعلق بخدمات الصحة النفسية، بل ويعدّون الاختصاصيين النفسيين غير مؤهلين حتى في الإرشاد النفسي.. وليتهم استمعوا إلى ما قاله كبير الأطباء النفسيين العرب الدكتور أحمد عكاشة بأن الصورة المثلى لدراسة ومعالجة الظواهر النفسية تكون بتعاون وثيق بين الطبيب النفسي والاختصاصي النفسي.
- امتازت الموائد المستديرة التي أدارها وشارك فيها بين سبعة إلى عشرة من أعلام علم النفس والطب النفسي بالوطن العربي بطرح موضوعات جديدة وأخرى فيها إشكاليات، جرت مناقشتها بعمق، بينها: مفهوم المواطنة من منظور نفسي اجتماعي، ثورة الاتصالات وآفاقها النفسية والاجتماعية في عالم الاتصال، الوضع الراهن لمهنة العلاج النفسي، بحوث الشخصية والبحوث عبر الحضارية، ومن التحليل النفسي إلى التحليل الثقافي: مقدمة نحو علم نفس عربي.
- تعددت النشاطات في اليوم الواحد بين ثلاث جلسات بحوث، وثلاث ندوات، وثلاث موائد مستديرة، مما اضطر المشارك لحضور ثلاثة أنشطة، وخسارته لستة أخرى.
- لم يحضر من العراق سوى كاتب هذا التقرير، الذي قدّم بحثاً بالاشتراك مع الدكتوره جوان إحسان فوزي بعنوان (الشخصية الإرهابية وأسباب الإرهاب من وجهة نظر الأكاديميين والسياسيين والصحافيين ورجال الدين والمدانين بجرائم الإرهاب في العراق). ويعزى ذلك لسببين: صعوبة الحصول على تأشيرة دخول إلى مصر، وارتفاع تكاليف السفر والسكن التي تتراوح بين (1500 إلى 2000 دولار).
- شرفت إدارة المؤتمر الدكتور قاسم حسين صالح بترؤس إحدى جلساته، وهذه هي المرّة الأولى التي يترأس فيها نفساني عراقي إحدى جلسات مؤتمر إقليمي تقيمه أكبر رابطة نفسية عربية.

تهنئة لرابطة الاختصاصيين النفسيين المصرية بنجاح مؤتمرها الإقليمي الثاني لعلم النفس.. وشكراً للدكتور أحمد أبو العزايم الذي أقام مأدبة غداء للاختصاصيين العرب في مستشفاه دار أبو العزايم للطب النفسي وعلاج الإدمان، وتحية لكل المشاركين في المؤتمر.. مع خالص محبتنا.

العلاج النفسي للأسرى

وضحايا العدوان

تأليف

الدكتور محمد أحمد النابلسي

الأمين العام للاتحاد العربي لعلم النفس

يسجل للمؤلف سبق إصداره لأول الكتب العربية الباحثة في موضوع الحروب وضحاياها على المستويات النفسية والسيكوسوماتية. فقد أصدر النابلسي دراسته عن الحرب اللبنانية في العام 1985 وهي استخدمت مرجعاً في غالبية الدراسات التي تناولت هذه الحرب.

ويأتي هذا الكتاب ليتوج أعمال المؤلف في هذا المجال حيث يركز على موضوعين هامين هما رعاية الأسرى ومعاناة الضحايا من الوساوس المرضية ومخاوف الموت التي تنتشر بصورة وبائية في المجتمعات المتعرضة للحروب والكوارث. مما يجعل من هذا الكتاب ضرورة ملحة لكل معالج عامل في هذه المجتمعات.

شخصية العدد

الدكتور حسين بن دحمان

السيرة الذاتية

العائلة: بن دحمان.

الاسم: حسين.

تاريخ الولادة: 20/08/1953.

مكان الولادة: إيزي موران - المغرب.

الجنسية: فرنسي.

عنوانه الشخصي: 31، Rue de Largantier

Marly 57155

عنوان العمل: I.U.T. de Troyes

9، rue de Québec B.P. 396

TROYES CEDEX 10026

Téléphone : 03.25.42.46.25

البريد الإلكتروني: hossain.bendahman@univ-reims.fre-mail:

Notice individuelle (curriculum vitae)

Nom Patronymique : **BENDAHMAN**
Prénom : **Hossaïn**
Date et lieu de naissance : 20/08/1953 à Izemmouren (Maroc)
Nationalité : **Française**
Situation familiale : Marié ،2 enfants

Adresse personnelle : 31 ،Rue de Largantier
57155 Marly
Téléphone :03. 87.63.90.34

E-mail : hossain.bendahman@wanadoo.fr

Adresse professionnelle: I.U.T. de Troyes
9 ‹rue de Québec B.P. 396
10026 TROYES CEDEX
Téléphone : 03.25.42.46.25
e-mail: hossain.bendahman@univ-reims.fr

-- Maître de Conférences H.D.R. en Psychologie **à l'I.U.T. de Troyes (Université de Reims)**

-- **Directeur** de l'« Equipe de Recherche Pluridisciplinaire en Psychologie Interculturelle : Discours et Modes de Pensées » à l'I.U.T de Troyes (Université de Reims).

-- Directeur de recherche **à l'Unité de Recherche en Psychologie : Subjectivité ‹Connaissances et Lien Social** (URP/SCLS EA 3071) ; Equipe Psychanalyse ‹Psychopathologie et Psychologie Clinique ‹**directeur Professeur Serge LESOURD ‹Université de Strasbourg I.**

-- -- **Administrateur ACSE Région Lorraine ‹titulaire au titre de « personnalité qualifiée »**

TITRES UNIVERSITAIRES FRANCAIS

- **Doctorat d'Etat en Psychologie Clinique et Psychopathologie** : **"Travail culturel de la pulsion et rapport à l'altérité: pour une topique de la différence"** ‹soutenue le 8 mars 2000 ‹**Mention Très Honorable** ‹à l'Université de Strasbourg I

- **Doctorat de 3° cycle de Psychologie** : **"Fonction paternelle au Maghreb et transplantation"** ‹soutenue le 08 Janvier 1983 ‹**Mention Très Honorable** ‹à l'Université Strasbourg 1

- Diplôme d'Etudes Approfondies (**D.E.A.**) **"Psychologie du Langage de la Communication et de l'Intervention Pédagogique"** ‹Université de Strasbourg I ‹Juin 1979

- Diplôme d'Etudes Supérieures Spécialisées (**D.E.S.S.**) de **"Psychologie Clinique et Pathologique"** ‹Université de Nancy 2 ‹1978 ‹**Mention Très Bien**

- Maîtrise de Psychologie ‹option : **"Psychologie Génétique"** ‹ Université de Nancy 2 ‹1977

sité de Nancy 2 ،1977

- Licence de Psychologie ،Université de Nancy 2 ،1976
- D.E.U.G. de Psychologie ،Université de Nancy 2 ،1975

- Diplôme d'Etudes Supérieures Spécialisées (**D.E.S.S.**) de l'**Institut d'Administration des Entreprises (I.A.E.** de Nancy) ،option "**Gestion des Ressources Humaines et Organisationnelles**" ،I.A.E. Nancy ،**promotion 1980**

- C3 de Psychophysiologie ،Université de Nancy 1 (certificat de Sciences)

- Littérature arabe ،Université de Nancy 2 ،1977 ،(élément de deuxième cycle)

- C1 Etudes arabes ،Université de Nancy 2 ،(élément de deuxième cycle)

FORMATIONS COMPLEMENTAIRES ET PRATIQUES PROFESSIONNELLES :

- Formation psychanalytique

- Pratiques psychanalytiques et psychothérapiques

TRAVAUX - OUVRAGES - ARTICLES – REALISATIONS

PUBLICATIONS:

Ouvrages :

1) **BENDAHMAN H. et Col.** ،Du pulsionnel au culturel ،**Ed l'Harmattan** ، **Paris ،2008**
2) **BENDAHMAN H. et Col. ،Travail culturel de la pulsion et rapport à l'altérité** ،Ed. L'Harmattan ،Col. Psychanalyse et Civilisations ،Paris ،2000 ، 205 pages

3) **Personnalité maghrébine et fonction paternelle au Maghreb : Oedipe Maghrébin** ،Ed. **La Pensée Universelle** ،Paris ،1984 ،333 pages

A VENIR :

- BENDAHMAN et Col. ‹**Malaise dans la transmission ‹transmission d'un malaise et crise de l'idéalité : les différents lieux et modalités de la transmissions** ‹(à paraître aux Editions l'Harmattan ‹début 2009)

- BENDAHMAN H. ‹**Pour une topique de la différence** ‹(à paraître aux Ed. L'Harmattan ‹1er semestre 2009)

Revues avec comité de lecture :

3) « **Pour une clinique de la double culture. L'exemple de l'enfant placé ou d'origine étrangère** » ‹Revue **Insaniyat** (Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales) (Revue bilingue (français-arabe) à comité de lecture) ‹Ed. CRASC ‹Oran (Algérie) ‹2008

3) « **Parole muette du père et destin des blessures de la filiation : le mal du père en héritage** » ‹Revue **L'Autre**: Cliniques ‹Cultures et Sociétés ‹**2004** ‹vol.5 ‹n°1 pp.101-113 ‹Ed. La Pensée Sauvage

4) «**La langue et le corps comme marqueurs identitaires. Questions en vue d'une clinique de la double culture**» ‹Revue **L'Autre**: Cliniques ‹Cultures et Sociétés ‹**2003** ‹vol.4 ‹n°1 pp.85-95 ‹Ed. La Pensée Sauvage

5) "**Venir au monde au Maghreb traditionnel : pour une théorie du pluriculturalisme**" ‹in la revue **Dialogue** (recherches cliniques et sociologiques sur le couple et la famille) ‹Paris 4° trimestre 1992 ‹pp. 33-44

6) "**Rêve onirique et rêve de langue**" ‹in la revue **Psychopathologia** : International Journal of Psychiatric Culture and Praxis ‹Vol.IX ‹N° 6 ‹ Brescia (Italie) ‹1991 ‹pp. 393-400 (revue internationale)

7) **Bendahman H. et Vidit J-P "Dimension relationnelle et dynamique du soin infirmier"** ‹Revue **Soins** ‹N° 524 ‹mai 1989 ‹pp. 53-58

A Paraître :

Soumis et acceptés :

Soumis :

- « Entre le silence des pères et le cri des ados : l'angoisse de la désaffiliation » ‹**Cahiers de Psychologie Clinique ‹Bruxelles ‹ Belgique**

- « L'enfant placé : de l'angoisse de la désaffiliation à l'impossible affiliation » ‹Revue Le Coq-Héron - « Entre le silence des pères et le cri des ados : le passage à l'acte » ‹article soumis à la revue Adolescences

Chapitres d'ouvrages :

8) « **Adolescence et identité à l'épreuve de l'immigration : de l'angoisse de la désaffiliation à l'impossible affiliation** » ‹in : « Jeunes ‹ dynamiques identitaires et frontières culturelles ‹Hammamet-Tunisie ‹(à paraître)

9) « **Incorporations des failles paternelles ou le mal du père en héritage** » ‹in **De la place du père: entre mythe familial et idéologie institutionnelle** ‹(ouvrage collectif) ‹Ed. La Pensée Sauvage ‹Grenoble ‹1997 ‹pp. 103-113 (y ont participé : Abdeslam Yahyaoui (Grenoble) ‹Joël Clerget (Lyon) ‹Salim Hachouf (Univ. de Constantine) ‹Prof. Abdelwahab Bouhdiba (Univ. de Tunis) ‹Alberto Eiguer (Paris) ‹....)

10) « **La culture maghrébine et la filiation à l'épreuve de la rencontre interculturelle** » ‹in **Adoption et Cultures : de la filiation à l'affiliation** ‹(ouvrage collectif) ‹Ed. L'Harmattan ‹Paris ‹1996 ‹pp. 167-180 (y ont participé : Olivier Nicole (Univ. d'Amiens) ‹Salomon Resnik (Paris) ‹Jacques Lévine (Paris) ‹Serge Tisseron ‹Ariane Deluz (Dir. de Recherche au CNRS) ‹Lucette Khaiat (Institut de Recherches Comparatives sur les Institutions et le Droit du CNRS) ‹Jacqueline Costa-Lascoux (Dir. de Recherche au CNRS),...)

11) « **Valeurs et représentation : une confrontation** » ‹in **Petite enfance et politique de la ville** ‹(ouvrage collectif) ‹Ed. Syros ‹Paris ‹1993 ‹ pp. 1681-178 (y ont participé : Belorgey jean-Michèl (Conseiller d'Etat ‹ Président du Comité d'évaluation de la politique de la ville) ‹Cacheux Denise (Directrice de l'Institut de l'Enfance et de la Famille (IDEF)) ‹ Costat-Lascoux Jacqueline (dir. de Recherche au CNRS) ‹Delarue Jean-Marie (Délégué interministériel à la ville) ‹Fortier Jacques (Journaliste aux Dernières Nouvelles d'Alsace (DNA)) ‹Matas Juan (Univ. de Strasbourg 2) ‹ Mathieu Hélène (Inspecteur général chargé de la Culture au ministère de l'Education Nationale) ‹Titran Maurice (Dir. du Centre d'Action Médico-Sociale Précoce de Roubaix) ‹....)

12) "**Des rapports de la fonction paternelle au Maghreb et de la psychopathologie chez les adolescents maghrébins transplantés en France**" in **l'Adolescence** ‹(ouvrage collectif) ‹Ed. Confédération Francophone des Ligues de Santé Mentale ‹Bruxelles ‹1984 ‹pp. 323-339 (y ont participé : J. Castermans (Doyen de la faculté de psychologie ‹Univ. Catholique de Louvain) ‹L. Cassiers ‹P. Fontaine (Porfs. Univ. Catholique de Louvain) ‹F. Duyckaerts ‹I. Pelc ‹J. Mendlewicz ‹E. A. Sand (Prfs. Univ. Libre de

Bruxelles) ،D. Luminet (Prf. Univ. de Liège) ،M. Claes (Prf. Univ ; Montréal) ،PH ; Gutton (Prof. Univ. Paris VII) ،Th. Tremblais-Dupre (Fondatrice du Centre Etienne-Marcel – Paris) ،....)

Actes de colloque :

13) **"L'école et l'accompagnement des jeunes en difficulté"** ،in **L'accompagnement des jeunes en difficulté** ،publication CRDP Champagne-Ardenne ،3° trimestre 2000 ،pp. 27-35

14) **"Adolescents entre deux feux"** ،in Actes du Colloque **"Exercice de la fonction parentale: Approche Interculturelle"** ،Dijon ،1996.

15) **"Crise de l'école ،crise de la fonction paternelle ou avatars de la pensée monothéiste ?"** ،in **La Crise de l'Ecole: du Sens Manifeste au Sens Latent** ،Actes du Colloque Interdisciplinaire ،sous la Direction de Jacques Lévine ،Paris ،1992 (y ont participé : Edgar Morin (Paris) ،François Dubet (Bordeaux) ،prof. Louis Legrand (Strasbour) ،prof. Philippe Meirieu (Lyon) ،Jacque Lévine (Paris) ،Pierre Ansart (Paris V) ،Michèle Bertrand (Univ. Franche-Comté) ،Michèl Maffesoli (Paris V),Ginette Chartier (Directrice INOP) ،Alberto Eiguer (Paris) ،Myrta Secco-Bellati (Université de Padoue) ،...)

16) **"L'adolescent et sa famille"** ،in **Regards Ethiques sur les Droits de l'Enfant** ،In Actes de la **Journée d'Etude du Comité Consultatif National d'Ethique en Lorraine** ،Mont-à-Mousson (54) ،le 14 décembre 1988 ،pp.129-133 (y ont participé : Pierre Landes ،Michel Schweitzer (professeurs de Gynécologie Obstétrique) ،Colette Vidailhet (prof. de Pédo-Psychiatrie) ،Marie-Joséphe Gebler (prof. de Droit- Univ. Nancy 2) ،Michel Pierson (prof. DE Génétique Médicale) ،Pierre Verdier (Directeur DASS de Moselle) ،Pierre Tridon (prof. de Psychiatrie infanto-juvénile) ،Michel Manciaux (prof. d'Hygiène – Univ. de Nanc 1) ،Pierre Royer (Directeur du Centre International de l'Enfance ،Membre du Comité Nationale d'Ethique) ،...)

17) **"Intégration scolaire et accompagnement psychologique"** ،in Actes du Colloque National **"Quel Avenir pour les Jeunes Handicapés?"** ، Nancy ،1987 ،pp. 80-84 (Y ont participé : Prof. Pierre Tridon ،Prof. M. Manciaux ،prof. F. Guyot ،S. Tomkiewicz ،prof Serge Lebovici ،...)

Revues à comité de rédaction :

17) - «**Le mal du père en héritage – De l'importance de la dimension anthropologique en psychanalyse**» ،in **Passerelles :** Revue d'Etudes Interculturelles N° 23 ،parue en septembre 2002 ،pp.133-143 (Revue avec

culturelles N° 23 ،parue en septembre 2002 ،pp.133-143 (Revue avec Comité de Rédaction))

18) "**La différence comme traumatisme originaire**" ،in la revue **Passerelles** ،N° 3 ،1993 ،pp.140-153 (revue d'audience européenne avec Comité de Rédaction)

19) "**Culture ،langue arabe et psychanalyse**" ،in **Passerelles** ،N°3 ، Thionville ،1991 ،pp. 146-151 ،(revue d'audience européenne avec Comité de Rédaction)

20) "**Problèmes épistémologiques et éthiques d'une pratique de changement**" ،in **Bulletin du CREAI de Lorraine** ،N°2 ،Nancy ،1987 ،pp. 59-64 (revue professionnelle)

21) "**Dérive idéologique du savoir scientifique**" ،in **Bulletin du CREAI de Lorraine** ،**N°2** ،Nancy ،1987 ،pp. 49-58 (revue professionnelle)

22) "**Sevrage et développement psychologique en milieu maghrébin traditionnel**" ،in **Bulletin du CREAI de Lorraine** ،N° 2 ،Nancy ،1986 ، pp. (Revue professionnelle)

23) "**Une expérience d'intégration scolaire**" ،in **Bulletin du CREAI de Lorraine** ،N° 4 ،Nancy ،1984 ،pp. (revue professionnelle)

COMMUNICATIONS ،EXPOSES ET CONFERENCES :

I - ACTIVITES INTERNATIONALES (Conférences invitées ، communications,...)

I – Communication dans des Colloques Internationaux :

a) Participation (Sélection après « Appel à communication »):

1) « **Adolescence et identité à l'épreuve de l'immigration : de l'angoisse de la désaffiliation à l'impossible affiliation** » ،Colloque international : « Jeunes ،dynamiques identitaires et frontières culturelles ، Hammamet-Tunisie ،16-17 février **2007**

2) « **Parole muette du père et destin des blessures de la filiation : Le mal du père en héritage** » ،Communication au 3ième Congrès européen de Psychopathologie de l'Enfant et de l'Adolescent : **Psychopathologie et Parentalité(e)** ،Lisbonne (**Portugal**) ،31 mai-2 juin 2001 (Audience Internationale)

3) "**Formation psychiatrique et psychanalytique et résistance au changement : une singulière histoire d'éthique**" ،Communication au 11°

Congrès International de Psychiatrie de l'Enfant et de l'Adolescent ‹Paris ‹ 21-25 Juillet 1986

4) **"Des rapports de la fonction paternelle au Maghreb et la psycho-pathologie chez les adolescents maghrébins transplantés en France"** ‹ Communication aux Rencontres Internationales de Bruxelles : **« L'Adolescence : un temps ‹un discours ‹un acte...» (Belgique)** ‹21-23 Avril 1983 (Audience Internationale)

b) **Communications Invité :**

5) **« Religion ‹pulsion et catégories de l'intermédiaire »** ‹ Communication au Colloque international : **« Visions du monde et modernités religieuses : regards croisés »** ‹Université Moulay Isamail ‹ Meknés ‹Maroc ‹10-12 avril **2008**

6) **"De l'inquiétante étrangeté de l'autre à l'exclusion sociale"** ‹ Introduction générale et synthèse des travaux en tant que **Directeur Scientifique du Colloque Européen : "Cultures ‹marginalité et déviance"** ‹Thionville (57100) ‹15 Octobre 1992. Coordination-Supervision scientifique de ce colloque et des Actes de ce Colloque (Direction sur recommandation des organismes financeurs)

7) **"Dimension relationnelle et dynamique de l'intégration scolaire et sociale"** ‹Communication : **"2° Rencontre Internationale sur la prise en charge du handicap.** Evolution des pratiques de prise en charge dans les établissements spécialisés : de la monodisciplinarité à la pluridisciplinarité" ‹ **Constantine (Algérie)** ‹25-26 Novembre 1990 (**Communication + co-présidence de séance)**

8) **"La différence comme traumatisme originaire : de la différence anatomique des sexes à la différence culturelle"** ‹Exposé au XV Journées scientifiques de la Bundeskoonferenz für Erzienhunsberatung e.v. : **wenn kinder und familien hilfe brauchen - erzie hungsbertung in Europa** ‹Aachen **(Allemagne)** ‹4-6 Octobre 1990 **(invité en tant que représentant français...)**

9) **"Rêve onirique et rêve de langue"** ‹Communication au Colloque : **La Psicoanalisi nel mondo contemporanéo** ‹Facoltà di Medicina e Chirurgia ‹Università degli Studi ‹Brescia **(Italie)** ‹21-22 Avril 1990 (audience internationale)

10) **"Corps ‹langue et culture : culture ‹langue arabe et psychanalyse"** ‹Communication au Colloque: **Emprise et Liberté** ‹organisé par le Collège International de Psychanalyse et d'Anthropologie (CIPA) ‹ Nancy ‹14-16 Avril 1989 (audience internationale)

11) **"Processus identificatoire ‹somatisation et fonction paternelle au Maghreb"** ‹Communication au Colloque : **Les Relations Interpersonnelles**

dans la famille maghrébine ‹Tunis (**Tunisie**) ‹27-31 Octobre 1986 ‹ (**Communication plénière + présidence de séance**)

12) "**L'enfant dans la triangulation familiale et la formation de l'Oedipe : l'apport de la dimension culturelle**" ‹Cours dans le cadre du cours "Psychologie de la personne et de son développement" ‹Institut de Psychologie ‹Université de **Lausanne** (**Suisse**) ‹26 Mai 1988 (invité par le Département de psychologie de Lausanne »)

- **Membre** de l'Association pour la Recherche Interculturelle (ARIC) (Association Internationale)
- **Membre** de l'AEPEA : Association Européenne de Psychopathologie de l'Enfant et de l'Adolescent
- **Membre** du Centre d'Etudes Psychiques et Pycho-Somatique (C.E.P.S.) (**LIBAN**)

ORGANISATION DE COLLOQUES INTERNATIONAUX:

1) - "Cultures ‹marginalité et déviance: de l'inquiétante étrangeté de l'autre à l'exclusion sociale" ‹Thionville (57100) ‹octobre 1992

2) - « Pulsion et culture : pour une éthique de la relation à l'autre ou la culture contre l'agir » ‹Thionville (57100) ‹**les 14-15 octobre 2005**

3) - « Malaise dans la transmission ‹transmission d'un malaise et crise de l'idéalité. Les différents lieux et modalités de la transmission" ‹ » ‹Institut Universitaire de Technologie (**I.U.T.**) de Troyes (10000) ‹ (Université de REIMS) ‹les 07 et 08 décembre **2007**

4) – « Oralité et modernité : Les manifestations de la pulsion orale aujourd'hui » ‹I.U.T. de Troyes (Université de Reims) ‹28-29 mars 2009

II – Communications dans des Colloque nationaux :

Co-organisation Colloque National : «La transmission de la mémoire de l'immigration comme facteur de cohésion sociale et nationale » ‹Direction scientifique du colloque : Elaboration de l'argument du colloque ‹introduction et clôture ‹Université Paul Verlaine ‹Metz ‹samedi 1er mars **2008**

a) Participation

1) **« L'efficacité symbolique du jeu »** ‹Communication au Colloque : **Jeux et rêves.... repères du réel** ‹Nancy le 05 avril 1997

2) **« Si mes aïeux m'étaient comptés. Les chiffres dans les problématiques transgénérationnelles »** ‹Communication au Colloque : **L'Imaginaire et les Maths. L'Inconscient compte-t-il ?** Abord psychana-

lytique et anthropologique des mathématiques » ‹Nancy (54000) ‹le 30 mars 1996

3) **"Les transcriptions corporelles des blessures de la filiation"** ‹ Communication au Colloque : **Le Corps Aujourd'hui** ‹Organisé par l'Espace Psychanalytique Interculturel ‹Nancy 1° avril 1995

b) **Invité par les organisateurs**:

4) « **Diversité culturelle et lien social dans la République : approche clinique** » ‹**BLOIS (41000)** ‹samedi **27 mai 2006**

5) « **Diversité culturelle ‹mémoire et valeurs : Comment vivre ensemble ‹égaux et différents. Approche psychanalytique** » ‹Intervention dans le cadre de « **La fête des Lumières et du Printemps des Droits de l'Homme et de la Fraternité** ‹Mairie du V° Arrondissement ‹**PARIS** ‹ Dimanche **21 mai 2006**

6) «**Eclairage psychologique sur les discriminations** » ‹« Forum National sur les Discriminations » ‹Hôtel de Ville de **LYON (69000)** ‹samedi **03 décembre 2005**

7) « **Berbères et juifs dans la République. Quelles perspectives communes ? point de vue d'un analyste berbère** » ‹Colloque organisé par La Coordination des **Berbères de France et B'nai B'rith France au Sénat (Palais du Luxembourg)** ‹**Paris** ‹le dimanche **22 mai 2005**

8) « **Entre le silence des pères et le cri des ados : le passage à l'acte** » ‹ Colloque : Adolescence et migration : passage à l'acte ‹conduite à risque et dispositif du réseau ‹**Grenoble ‹29-30 avril 2005**

9) «**Contribution à l'intelligibilité du malaise identitaire du monde moderne** » ‹Colloque « Les franco-berbères et la république » organisé au **Sénat** (Palais du Luxembourg) ‹**Paris** ‹le **16 septembre 2004**.

10) « **Culture orale et construction identitaire** » ‹**Issy-les-Moulineaux ‹18-19 décembre 2004**

11) **"L'enfant placé : de l'angoisse de la désaffiliation à l'impossible affiliation"** ‹Communication au Colloque **"Un enfant placé. D'un milieu ‹ l'autre ou les difficiles retrouvailles"** ‹Grenoble ‹11-12 juin 1999

12) **"L'école : lieu de médiation et de nidification culturelle"** ‹Exposé au Colloque **"Ecoles""** organisée par le **Groupe 12** ‹Paris ‹jeudi 13 novembre 1997

13) « **Adolescents entre deux feux : de l'angoisse de la désaffiliation à l'impossible affiliation** » ‹Communication au Colloque: « **Exercice de la fonction parentale** » ‹organisé par le Service Social d'Aide aux Emigrants

(S.S.A.E.) et la CAF de Bourgogne ‹Dijon ‹le 13 décembre 1996

14) « **Le polyculturalisme comme échec à l'intégrisme mental et psychique** » ‹Exposé au Colloque « **Cultures** » ‹Rencontres à Thème du Groupe 12 ‹Paris ‹le 21 mai 1996

15) « **La différence et le rapport à l'Altérité comme enjeu des temps à venir** » ‹Communication au Colloque du Centenaire de l'Oeuvre GUENANGE-RICHEMONT (57270 UCKANGE) ‹« **Accueillir et intégrer la différence culturelle** » ‹le 29 mars 1996

16) "**La culture maghrébine et la filiation à l'épreuve de la rencontre culturelle ‹approche clinique**" ‹Communication au colloque : "**Adoption et cultures. De la filiation à l'affiliation**" ‹3° Colloque de la Maison de Toutes les Couleurs ‹Paris ‹4-5 Février 1994

17) "**Des valeurs ‹des représentations qui se confrontent**" ‹ Communication au Colloque "**Petite enfance et développement des quartiers**" ‹Mulhouse (68100) ‹14-15 Mai 1993 (audience nationale)

18) "**Incorporation des failles paternelles ou le mal du père en héritage**" ‹Communication au Colloque "**pères hors repères**" ‹Grenoble (38000) ‹17-18 Juin 1993 (audience nationale)

19) "**Crise de l'école ‹crise de la fonction paternelle ou avatars de la pensée monothéiste** ?" ‹Exposé au Colloque "**La crise de l'école. Du sens Manifeste au sens Latent**" ‹Organisé par le Collège International de Psychanalyse et d'Anthropologie (CIPA) ‹Paris ‹21-22 Mars 1992

20) "**Venir au monde au Maghreb traditionnel**" ‹Communication au Colloque "**Naissance et Cultures**" ‹Organisé par la Maison de Toutes les Couleurs ‹Paris ‹08 Février 1992 (audience nationale)

21) "**Fin de vie et religion**" ‹Exposé au 7° Colloque de Gérontologie : "**La personne âgée - la fin de vie**" ‹Centre Hospitalier de Verdun (55100) ‹ 19 Octobre 1989

22) "**L'Adolescent et sa famille**" ‹Exposé à la Journée d'Etude du Comité consultatif National d'Ethique en Lorraine : "**Regards Ethiques sur les Droits de l'Enfant**" ‹Pont-à-Mousson (54700) ‹14 Décembre 1988 ‹ (publié dans les Actes de la Journée) (audience nationale)

23) "**Intégration scolaire et accompagnement psychologique**" ‹ Communication au Colloque : **Quel avenir pour les jeunes handicapés ?** Colloque National organisé par l'Office de l'Hygiène Mentale de Meurthe-et-Moselle ‹Nancy ‹8-9 Octobre 1987 ‹Publié dans les Actes du Colloque ‹pp. 80-84

III - Communications dans des Colloques régionaux :

a) invité :

24) « **Reconnaissance ‹place symbolique et transmission intergénérationnelle** » ‹Communication au Colloque Régionale : « **Vieillissement de la population immigrée : ces immigrés qui vieillissent en Lorraine** » Organisé par l'AMATRAMI à Benoîte-Vaux (55) ‹les 16 et 17 mai 2008

25) « **Synthèse et perspectives d'actions à venir** » : « **Forum Contre les Discriminations au Travail** » ‹samedi **20 mai 2006** ‹**LONGWY (54 400)**

26) « **Lutte contre les discriminations** » ‹Participation et Animation de la table ronde « **Les réponses envisagées ou mises en place** » ‹**13 mai 2006** ‹**COMMERCY (55200)**

27) « **Les discriminations ‹état des lieux** » ‹Intervention et Animation d'une table ronde au « **Forum Régional de Lutte Contre les Discriminations** » ‹Université Paul Verlaine ‹**METZ (57000)** ‹Vendredi **17 février 2006**

28) "**Quelle intégration dans le contexte scolaire d'aujourd'hui pour les jeunes en difficulté?**" ‹Exposé au Colloque Académique sur "L'accompagnement des jeunes en difficulté" ‹Chalons en Champagne ‹2 décembre 1999

29) Encadrement et participation à la Rencontre-Débat « **Quel avenir pour les jeunes à Troyes ?** » ‹I.U.T. de Troyes ‹Troyes ‹le 13 mars 1997

30) "**La sexualité de l'adolescent et la relation au sein de la famille d'accueil**" ‹Exposé principal et animation d'atelier au Colloque : « **En famille d'accueil : Adolescence et sexualité** » ‹Epinal (88000) ‹15 Octobre 1993)

31) "**L'approche interculturelle comme espace intermédiaire**" ‹Exposé au "Forum Petite enfance" ‹Moyeuvre-Grande (57250) ‹04 Juin 1993

32) « **La place de l'école dans la prise en charge psychothérapique** » ‹ Exposé à la Journée « **L'enfant et les avatars de l'école** » ‹Montmédy (55) ‹ le 04 juin 1986

33) « **La sexualité dans les pays du Maghreb : Islam et sexualité** » ‹ Exposé à la 4° Journée Annuelle de l'Association de Sexologie de l'Est : « **Culture - Religion - Sexualité** » ‹Moulins-Les-Metz (57) ‹le 23 mars 1985

34) **Animation de l'Atelier** : "**La santé mentale dans le monde des cultures**" ‹dans le cadre du cycle « Psychiatrie et folie 1988-1989 » de

l'Hôpital Maillot ‹Jarny (54800) ‹18 Mars 1989 (public : professionnels de la santé mentale

35) "**L'Enfant et son corps**" ‹Exposé dans le cadre de la journée "Petite enfance et prévention" ‹organisé par le Service de Psychiatrie de l'Hôpital Maillot ‹Briey (54150) ‹29 Avril 1988 (Audience régionale)

36) Rencontre-Débat avec le public sur l'immigration et participation à la table ronde « **Droits de l'homme ‹citoyenneté et lutte contre le racisme de 1789 à nos jours** » ‹30° Anniversaire du F.A.S. ‹Saint-Avold (57) ‹26-27 et 28 mai 1989 (audience nationale)

ORGANISATION DE JOURNEES D'ETUDES :

1) **Malaises et civilisations – Aimer ‹travailler ‹rêver** ‹Nancy ‹28 mars 1998 ‹Espace Psychanalytique Interculturel (EPI)

2) **Jeux et rêves....repères du réel** – Approche psychanalytique et anthropologique ‹Nancy ‹5 avril 1997 ‹Espace Psychanalytique Interculturel

3) **L'imaginaire et les maths : « L'inconscient compte-t-il ? »** - Abord psychanalytique et anthropologique des mathématiques ‹Nancy ‹30 mars 1996 ‹Espace Psychanalytique Interculturel

4) **Le corps aujourd'hui** – Approche psychanalytique et anthropologie ‹ Nancy ‹1° avril 1995 ‹Espace Psychanalytique Interculturel

5) **L'enfant et les avatars de l'école** » ‹Montmédy (55600) ‹4 juin 1986

IV – SEMINAIRES :

1) « **Langue et transmission transgénérationnelle de l'interdit de l'inceste** » ‹Communication à la Journée d'étude scientifique de **l'Ecole Doctorale «Sujet ‹Education ‹Travail» et DEA de Psychopathologie** ‹ Faculté de Psychologie ‹Strasbourg 1 ‹le 7 mars **2003**

2) « **médiation et nidification culturelle** » ‹Intervention dans le groupe de travail « Justice et psychiatrie » à **l'Institut des Hautes Etudes sur la Justice** ‹Paris ‹le 06 décembre 1996

3) "**Fonction paternelle et transplantation**" ‹Exposé au Séminaire Interrégional dans le cadre du **D.E.S. de Psychiatrie** sur le thème "La fonction paternelle" ‹Strasbourg (67000) ‹02-03 Avril 1993 ‹(public : psychiatres de l'Interrégion Est : Alsace-Bourgogne-Champagne-Lorraine) (invité)

4) "**Le corps au pied de la lettre et dans la lettre : une topique de la différence**" ‹Séminaire Interne au CIPA ‹Paris ‹03 Décembre 1992

5) Discutant de l'exposé « **En quoi la psychanalyse peut être concernée par la question des traumatismes culturels?** » fait par Pierre KHAN ‹ Séminaire interne au CIPA ‹Paris ‹le 08 février 1996

6) "**Fonction paternelle ‹psychose et psychosomatique**" ‹Séminaire Interne au Collège Internationnal de Psychanalyse et d'Anthropologie (CIPA) ‹Paris ‹09 Mars 1989

7) « **Le corps et la lettre** » ‹discutant de l'exposé « le corps et la lettre » du Dr Ph. GIRARDIN ‹Séminaire Interne au Collège International de Psychanalyse et d'Anthropologie (CIPA) ‹Paris ‹le 14 mars 1991

ENSEIGNEMENT - RECHERCHE - RESPONSABILITÉS COLLECTIVES

ACTIVITES D'ENSEIGNEMENT :

Etablissement actuel: I.U.T. de Troyes (université de Reims)
Discipline : Psychologie

Après avoir été moniteur en **psychologie génétique** d'octobre 1977 à juin 1983 ‹puis Chargé de cours au **D.E.S.S. de Psychologie Clinique et Pathologique à l'Université de Nancy 2** ‹d'octobre **1983** à juin **1989** ; j'ai effectué de nombreuses vacations en psychologie à :

- l'Université de Nancy 2
- l'Ecole d'Educateurs Spécialisés de Nancy de Septembre 1979 à Juin 1982
- l'Ecole d'Infirmières de Verdun (55100) de Janvier **1984** à juin **1994**
- l'Institut Régional Universitaires des Sciences Sociales Appliquées (I.R.U.S.S.A.) de Reims : Cours de Psychosociologie

Je suis actuellement Maître de Conférences à l'I.U.T. de Troyes (Université de Reims) depuis 1994. Mon activité d'enseignement consiste en :

- **Cours magistraux et T.D. de psychologie de la communication et psychosociologie des organisations dans le Département Techniques de Commercialisation (T.C.): première et deuxième années TC classique ‹ TC Année Spéciale et T.C. Formation Continue**
- Encadrement et suivi des stagiaires de 2°année T.C (Encadrement au niveau méthodologique ‹rédaction du rapport ‹visites aux stagiaires dans l'entreprise et relation avec les entreprises en question)..
- *Participation à l'activité du Département TC : Conseil*

d'enseignement ‹Conseil du département ‹jurys intermédiaires ‹sélection des dossiers de demande d'entrée à l'I.U.T ‹Présidence de Jury de Baccalauréat ‹....

- Cours de "Psychologie interculturelle: approche clinique" en L2 ‹ Université de Metz ‹2h/an depuis 2005

Volume horaire annuel : - 192H T.C. classique ‹24H T.C. F.C. et 2H en L2

THEMES DE RECHERCHE DEVELOPPES :

- Bases culturelles et bases structurelles de la psyché ;
- Travail culturel de la pulsion et rapport à l'altérité ;
- Fonction paternelle au Maghreb et transplantation ;
- La langue et le corps comme marqueurs identitaires ;
- Formation aux relations de médiation : liens pédagogie et psychanalyse ;

POINTS FORTS DE MES ACTIVITES DE RECHERCHE :

Domaine de recherche : Psychologie Clinique- Psychopathologie - Psychanalyse

Mon activité de recherche et son application sur le terrain dans les quartiers difficiles et auprès de populations fragiles notamment l'aide à la parentalisation et à la reconstruction des liens transgénérationnels ‹ m'a valu d'être nominé et invité aux « Scytales de la réussite » : « Forum de la réussite des français venus de loin » ‹Catégorie : Prix de la Recherche **‹organisé à l'initiative du Haut Conseil à l'Intégration et l'Assemblée Nationale ‹lieu : Assemblée Nationale ‹le** 11 décembre 2004

Ma recherche porte sur la fonction paternelle et la mutation socio-culturelle ‹les jeunes et le rapport à la violence ‹l'école comme lieu de nidification culturelle ‹les bases culturelles et les bases structurelles de la psyché et l'élaboration d'une théorie de la "topique de la différence". Les approches citées ici témoignent dans leur différence d'une unité: celle de cerner les effets ‹en ces périodes de bouleversements sociaux ‹ légaux et familiaux ‹de cette mutation culturelle sur le sujet. Travail qui sensibilise à l'émergence de dimensions nouvelles et plus complexes de l'altérité. Il s'agit ici d'une psychologie clinique qui ‹à l'aune de la parole ‹tente de faire sa place à la subjectivité. Elle cherche les moyens

pratiques d'alléger et de soulager les difficultés et les problèmes psychologiques posés par le passage d'une culture à une autre ou d'une classe sociale à une autre.

Cette activité de recherche ‹qui porte aussi sur le travail culturel de la pulsion ‹a donné lieu à des conférences nationales et internationales (Tunisie ‹Algérie ‹Suisse ‹Belgique ‹Allemagne ‹Italie ‹Portugal) et à des publications.

Ces publications sont citées dans de nombreux ouvrages notamment : "**L'éveil du rêve : psychanalyse des sources inconscientes de la violence**" ‹ J. Nadal ‹Ed. Anthropos ‹1985; "**Emprise et violence maternelles**" ‹F. Couchard ‹Ed. Dunod ‹1991; "**L'image de l'étrangère**" J. Déjeux ‹Ed. La Boîte à Documents ‹Paris ‹1989; "**Ethnopsychiatrie maghrébine**" Ali Aouatah ‹Ed. L'Harmattan ‹1993; "**Rêve du corps ‹corps du langage**" ‹Ed. L'Harmattan ‹Col. Psychanalyse et Civilisations 1989; "**Le symbolisme chez Freud**" ‹ouvrage collectif ‹Ed. Anthopos ‹1994;"**Des mères contre des femmes**" C. Lacoste-Dujardin ‹1996) ‹....

PRINCIPALES RESPONSABILITES SCIENTIFIQUES ET ADMINISTRATIVES (dont direction de thèses) :

- **Maître de Conférences H.D.R.** ‹en Psychologie à l'I.U.T. de Troyes (10000) (Université de Reims) ‹depuis le 1° septembre 1994 ‹**responsable des stages en entreprise des 2ième année T.C.**

- - Directeur de recherche **à l'Unité de Recherche en Psychologie : Subjectivité ‹Connaissances et Lien Social** (URP/SCLS EA 3071) ; Equipe Psychanalyse ‹Psychopathologie et Psychologie Clinique ‹**directeur : Professeur Serge LESOURD ‹Université de Strasbourg I.**

- Directeur de l'«Equipe de Recherche Pluridisciplinaire en Psychologie Interculturelle : Discours et Modes de Pensées » ‹I.U.T. de Troyes

- **Directeur de la thèse** de Madame Isabelle CORMERY : «**IMAGE CORPORELLE ET IDENTITE DANS LA VIEILLESSE. Comment cette relation influence et modifie l'appareil psychique** » ‹Thèse de Doctorat de Psychologie Humaine et psychopathologie ‹en préparation à l'Unité de Recherche en Psychologie : Subjectivité ‹Connaissances et Lien Social.(EA 3071). Equipe Psychanalyse ‹Psychopathologie et Psychologie clinique ‹Université Strasbourg 1

- **Rapporteur** de la Thèse de Madame Dhouha BEN HADJ LAKHDAR « Psychologie de la communication mère/enfant en situation d'exil : ses incidences sur la scolarité » ‹soutenue le 07 octobre 2003 à l'Université de Savoie ‹Département de Psychologie

- **Membre du jury de la thèse** de Madame Chantal CLOT-GRANGEAT : « Handicap physique et lien de filiation : Etude du lien de filiation de jeunes IMC à l'aide du génogramme libre » ‹soutenue le **13 décembre 2004** à l'Université de Savoie ‹Département de Psychologie

- **Direction de Mémoires de D.E.S.S. de Psychologie Clinique et Pathologique** d'Octobre 1983 à Juin 1989 ‹Université de Nancy 2 (4 à 5 mémoires par an). Quelques exemples de mémoires dirigés :

- «Etude de la relation entre la prise de poids importante à la puberté et l'accession à la génitalité chez des adolescentes obèses en cure d'amaigrissement» ‹Melle Marlène KASPAR ‹1983-84

- «La pulsion et son expression dans les tests projectifs» ‹Mme Marie-Madeleine LE DIGOL-JURKOWSKI ‹juin 1985

- «Le corps ‹son image ‹son expression ‹observés chez une patiente schizophrène hospitalisée» ‹Mme Virginie DOE ‹1985-86

- «L'espace imaginaire dans un cas de psychose» ‹Mme Colette MANSUY ‹1987

- «La disparition de l'objet gratifiant : l'enfant quitte définitivement le foyer familial...» ‹Melle Isabelle DUBS ‹1986-87

- «Incidences psychologiques du milieu familial sur le développement intellectuel et affectif de l'enfant débile» ‹Melle Isabelle GUALTIERI ‹ 1987-88

- .....

- **Moniteur en psychologie Génétique** ‹assurant les travaux pratiques ‹ Université de Nancy 2 ‹d'Octobre 1977 à Juin 1983

- Lecteur au titre du **Comité de lecture** ‹revue L'Autre : Cliniques ‹ Cultures et Sociétés ‹année **2005**

- Membre suppléant de la **Commission de Spécialistes** ‹16° section ‹ collège B ‹Université de Strasbourg **‹depuis 2006**

- Membre ‹représentant de l'établissement ‹désigné par Monsieur le Président de l'Université ‹de la "Commission Paritaire des enseignants du second degré" ‹Université de Reims

- Membre du Comité de direction de l'I.U.T. de Troyes ‹jusqu'en 2005

- **Membre élu** du CEVU de l'Université de Reims de 1998 à 2002

- Membre titulaire ‹**désigné par Monsieur le Préfet de Région ‹de la Commission Régionale pour l'Insertion des Populations Immigrées (CRIPI Région Lorraine**) de 1992 à 1998

- **Administrateur FASILD (Fonds d'Action et de Soutien pour l'Intégration et la Lutte contre les Discriminations) ‹Membre titulaire ‹ désigné par Monsieur le Préfet de Région ‹de la Commission Régionale pour l'Intégration et la Lutte contre les Discriminations** (CRILD **de la Région Lorraine) de juillet 2005 à janvier 2007 (devenue depuis ACSE :Agence Nationale pour la Cohésion Sociale et l'Egalité des Chances) :** au titre de "Persanalité Qualifiée"

- **Membre Titulaire ‹désigné par Monsieur le Préfet de Région ‹du Comité Régional pour la Cohésion Sociale et l'Egalité des Chances de Lorraine** (ACSE Région Lorraine) **‹depuis août 2007 pour un mandat de 3ans :** au titre de "Persanalité Qualifiée"

- Référent Groupe « Citoyenneté ‹Civisme et valeurs de la République » : **Contribution au débat sur l'école** ‹Mission confiée par le Ministère de l'Education Nationale à la Coordination des Berbères de France (CBF). Rapport remis à Gilles de Robien en **mai 2006**

- Participation au **Groupe « Santé » du PRIPI** (Plan Régional pour l'Insertion des Populations Immigrée »s) Lorraine ‹**2005**

- Participation au groupe du FASILD : « Personnes âgées issues de l'immigration »

- Participation à la Rencontre autour du thème « personnes âgées issues des l'immigration au sein de la grande région » SaarLorLux-Trèves/Palatinat occidental/Wallonie ‹le **11 décembre 2006** à l'Académie Européenne d'Otzenhausen ‹66620 Nonnweiller (Allemagne)

- **Conseiller Technique** au Centre Régional Lorrain pour l'Enfance et l'Adolescence Inadaptées (**CREAI** de Lorraine) de 1983 à 1992

- **Cofondateur** de l'Association : Espace Psychanalytique Interculturel (**EPI**)

- **Membre Titulaire** de l'Association de Psychanalyse et d'Anthropologie (**APA**) ‹Coresponsable avec Jaques Lévine du « Groupe de supervision de la pratique psychanalytique »

- **Membre** de l'AGSAS (**A**ssociation des **G**roupes de **S**outien **A**u **S**outien. Adaptation du Balint pour les enseignants) : Rencontres Pédagogie-Psychanalyse pour la Formation aux Relations de la Médiation"

- **Directeur Scientifique du Colloque Européen "Culture ‹marginalité et déviance : de l'inquiétante étrangeté de l'autre à l'exclusion so-**

ciale ‹Thionville ‹15-16 Octobre 1992

- **Membre** de l'Association pour la Recherche Interculturelle (ARIC) (Association Internationale)

- **Membre** du Centre d'Etudes Psychiques et Pycho-Somatique (C.E.P.S.) (**LIBAN**)

- **Membre** de l'AEPEA : Association Européenne de Psychopathologie de l'Enfant et de l'Adolescent

- **Entrée** dans le "**DICTIONNAIRE BIOGRAPHIQUE EUROPEEN**" (français ‹anglais ‹allemand) ‹paru en Décembre 1997 ‹11ème édition ‹12° édition 1999 ‹R.H. Neirinjink ‹Belgique

INFORMATION SCIENTIFIQUE ET TECHNIQUE ET VULGARISATION :

CONFERENCES-DEBATS :

1) « Du silence des pères au cri des ados ou les failles du travail de la transmission transgénérationnelle » ‹Saint-Avold (57500) ‹vendredi 04 janvier **2008**

2) « La transmission de la mémoire de l'immigration et la médiation entre le silence des pères et le cri des ados comme facteur de la cohésion sociale : l'exemple de l'immigration berbère » ‹Longwy (54) ‹samedi 20 octobre **2007**

3) « La transmission transgénérationnelle chez les personnes issues de l'immigration » ‹Forum-IRTS de Nancy ‹mardi 06 mars **2007**

4) « **Construction identitaire à l'adolescence et transmission trans-générationnelle** » ‹Conférence-débat ‹le vendredi **01 décembre 2006** ‹ Farébersviller (57450)

5) « **Education des enfants : que transmettent les parents ?** » ‹ Conférence-débat organisée par le « Groupe de Soutien à la Parentalité de la Meinau » ‹le mardi **06 juin 2006** ‹**Strasbourg -Meinau (67100)**

6) « **Autour du malaise identitaire** » ‹le samedi **22 avril 2006** ‹ **Moyeuvre-Grande (57250)**

7) « **Malaise identitaire et transmission transgénérationnelle** » ‹Centre Social « Les Troènes » ‹le mercredi **19 octobre 2005** ‹**Forbach (57600)**

8) « **Autour de la difficulté d'être parents aujourd'hui** » ‹C.A.S.C.-Centre Social de Yutz ‹**Yutz** (57970) ‹le jeudi **29 septembre 2005**

9) « **Identité ‹liens transgénérationnels et intégration des jeunes issus de l'immigration :**

approche clinique » ‹Comité National de Liaison des Associations de

Prévention Spécialisée (CNLAPS) ‹**Metz** (57000) ‹le jeudi **16 juin 2005**

10) « **Insertion professionnelle et dimension culturelle. Exemple de la culture maghrébine** » ‹ARIFOR ‹**Châlons-en-Champagne** (51037) ‹le mercredi **1er juin 2005**

11) «**De rapport de l'identité à la lutte contre la discrimination et l'accès à la citoyenneté** » ‹**Blois** (41000) ‹le samedi **23 avril 2005**

12) « **La parentalité aujourd'hui** » ‹Centre Jean Moret ‹**Fameck** (57290) ‹le jeudi **14 avril 2005**

13) « **Le féminin/masculin aujourd'hui à la recherche d'un nouvel équilibre: L'approche par le genre de la relation à l'autre** »: **Conférence** à l'invitation du Centre d'Information sur les Droits de la Femme (CIDF) dans le cadre de la Journée Internationale de la Femme ‹le **08 mars 2005** ‹ **Troyes** (10000)

14) «**La double culture face au malaise identitaire du monde moderne** » ‹**Mont Saint Martin** (54) ‹le mercredi **06 octobre 2004**

15) « **L'école comme lieu de nidification culturelle** » ‹Conférence co-organisée par les villes de Longwy et Mont Saint Martin (54) dans le cadre de la 20ième rencontre franco-berbère ‹le 08 février 2004

16) « **Identité et culture à l'épreuve de l'immigration** » ‹Conférence co-organisée par le Forum IRTS de Lorraine (54) ‹Contrat de ville de l'agglomération Thionvilloise (57100) et la Direction régionale du FASILD (Fonds d'Action et de Soutien pour l'Intégration et la Lutte contre les Discrimination) dans le cadre du **programme de lutte contre les discriminations raciales sur le marché du travail** ‹Florange (57190) le **26 novembre 2003**

17) «**Acte de parole et passage à l'acte : la parole contre l'agir**» ‹ I.U.F.M. de Troyes ‹mardi 24 septembre **2002**

18) « **Ces jeunes qui nous dérangent** » ‹Conférence-débat. Public : Secrétaires des Départements des I.U.T. de la Métropole et Départements d'Outre-mer (à l'invitation de l'**AsseDep** : Association des secrétaires des départements des I.U.T.) ‹Troyes ‹**15 mars 2002**

19) « **Savoir et violence** » ‹Conférence-débat publique à l'invitation du Groupe Français d'Education Nouvelle (**GFEN F-C**) et de l'Association des Rééducateurs de l'Education Nationale (**AREN 25/90**) ‹Besançon ‹le **16 mars 2000**

20) "**L'importance de la reparentalisation des pères dans la lutte contre la violence**" ‹Conférence Publique. Le **1° mars 2000** à Vernon (29)

21) « **La différence et le rapport à l'altérité comme enjeu des temps**

à venir : pour une éthique du rapport à l'autre » ‹Conférence-Débat au Siège de l'Association « Interférences Culturelles » ‹Paris ‹le 25 mai 1997

22) « **L'enfant une personne à voir et à entendre. L'enfant et l'école : une réalité qui se construit à plusieurs** » ‹Conférence-Débat à l'école de Branly ‹Strasbourg ‹le 14 juin 1996 (invité)

23) « **Autour de l'inégalité scolaire** » ‹Conférence-Débat ‹4° Carrefour de l'Association Duchêne ‹Sarrebourg (57) ‹le 29 mai 1996

24) « **Ces jeunes qui nous dérangent** » ‹Conférence-Débat au Château du Charmois (54500 VANDOEUVRE) le 22 février 1996 (compte rendu dans la presse régionale)

25) "**Les mille et une nuits. Séances de rêves ‹rêve en séance et travail culturel de la pulsion**" ‹Conférence-Débat ‹Centre Culturel Jean Verdier ‹Paris ‹le 07 décembre 1993

26) "**Familles immigrées-Familles transplantées**" ‹conférence-Débat à Moyeuvre-Grande (57250) ‹03 Novembre 1988

27) "**Oedipe au Maghreb**" ‹Conférence-Débat à l'Ecole Normale d'Epinal (88000) ‹15 Septembre 1987 (Audience départementale)

- **Nombreuses interventions dans les quartiers dits sensibles ou à risque** centrées essentiellement sur la gestion du stress ‹la violence ‹ l'analyse des pratiques professionnelles et la communication ‹auprès des psychologues scolaires ‹des personnels des Collèges et Lycées ‹et des différents travailleurs médico-socio-éducatifs : Collège Romain Rolland à Sartrouville (78500) ‹Lycée St Exupéry ‹St Dizier (52) ‹Bar le Duc (55) ‹ S.S.A.E. de Dijon(21) ‹C.I.O. de Marseille (13) ‹Reims (51) ‹CLAP de Nancy (54) ‹Clubs de Prévention de Thionville (57100) ‹de Forbach (57700) ‹Yutz (57) ‹Revin (08500) ‹l'Hôpital Maison Blanche ‹Neuilly-sur-Marne (93330) ‹Vernon (29) ‹Besançon (25) ...)

INTERVIEWS :

Journaux :

- GAZELLE Magazine ‹"**Les relations belles-mères/belles-filles**" ‹N° 13 ‹janvier-février **2008**

- Le Républicain Lorrain ‹Edition de l'Orne ‹« malaise identitaire » ‹ mercredi **19 avril 2006**

- Le Républicain Lorrain ‹Edition de Metz ‹«les Scytales de la réussite » ‹vendredi **24** et samedi **25 décembre 2005**

- Le Républicain Lorrain ‹Edition de Forbach ‹« Parler du malaise identitaire » ‹mercredi **19 octobre 2005**

- Le Républicain Lorrain ‹Edition de Thionville ‹« Redécouvrir sa culture pour mieux la dépasser » ‹samedi **15 octobre 2005**

- Le Démocrate Vernonais : «Le rôle des pères dans la lutte contre la violence » ‹08 mars **2000**

- Paris-Normandie : « La lutte contre la violence passe aussi par les parents » ‹03 mars **2000**

-L'Est Républicain : « Ces jeunes qui nous dérangent » ‹24 février **1996**

- Réponse (trimestriel) : «Micro entretien avec Hossaïn Bendahman – Psychanalyste : Démocratie et acceptation de la différence » ‹Rubrique Micro entretien ‹N° 18 ‹mars **1995**

- ANNASR ‹Quotidien national algérien en langue arabe : « Handicap et intégration scolaire » ‹28 novembre **1990**

- AL 'AMAL ‹Quotidien national tunisien en langue arabe : « Bases culturelles et bases structurelles de la personnalité » ‹1er septembre **1986**

-L'Est Républicain : « La famille dans les pays maghrébins » ‹24 mai **1985**

- L'Est Républicain : « œuvrer pour plus de compréhension entre les cultures » ‹31 janvier **1985**

- **Invitation** au **Salon du Livre** : « Les Ailes du Livre » ‹Longwy (54400) ‹9-10 octobre 2004 : exposition d'ouvrages ‹participation aux tables rondes et aux débats.

Radios :

- Radio Chrétienne en France-Aube (R.C.F.-Aube) ‹Thème: "**Malaise dans la transmission**" ‹Interview en direct aux infos de 7h30 ‹le jeudi **06 décembre 2007**

- Radio Jerico : Entretien le jeudi 20 janvier 2005 : «**De l'utilité de l'interdit pour structurer la pensée : point de vue d'un psychanalyste** » ‹ « **Image de Dieu et autres images** » ‹Emission Ecclesia Diffusion : dernière semaine de **février 2005**

- Radio Jérico : thème : « **L'erreur de Narcisse** » ‹Emission Ecclesia ‹ diffusion : vendredi 24 ‹samedi 25 et dimanche 26 **septembre 2004** à 10H30 et 19H

- Radio Aria : Entretien autour de «**Double culture ‹identité et malaise dans la civilisation**» ‹**radio Aria** ‹99.6 FM ‹vendredi 08 **octobre 2004** à 18H30

- Radio Jérico : thème : « **De l'art d'avoir peur** » ‹Emission Ecclesia ‹ les19 ‹20 et 21 **décembre 2003** à 10H30 et à 19H

Télévision :

- *FR3 ،Région Centre :* ***« Culture Berbère et Lien social dans la République »*** *،28 mai 2006* ***(19H20)***

- **TV8** : « "Construction identitaire à l'adolescence et transmission transgénérationnelle" ،interview du 1er décembre 2006

- **TV8** : Emission : « Culture arabe : Orient express » ،**19 octobre 2005**

- **Berbère TV** : « Culture et Pulsion : pour une éthique de la relation à l'autre » ،**15 octobre 2005**

- **Berbère TV** : Entretien et interview à propos de mes travaux de recherche sur le transgénérationnel et l'identité ،8 féviers 2004

- **2M (télévision marocaine ،2ième chaîne)** : Entretien- interview autour de devenir des étudiants marocains qui viennent faire leurs études en France et ne donnent plus signe de vie à leur famille au Maroc. Emission « Moukhtafoun » ،diffusée les 2 ،3 ،6 et 8 octobre 2008. Emission mensuelle.

DVD :

- « Entretien autour de la mémoire de l'immigration et la transmission transgénérationnelle » ،in Document film-vidéo : « **Parole retrouvée** » ، édité par la CBFB 54 (Longwy)

Fait à Marly ،le 28 mai 2008

العلاج النفسي للأسرى

وضحايا العدوان

تأليف

الدكتور محمد أحمد النابلسي

الأمين العام للاتحاد العربي لعلم النفس

يسجل للمؤلف سبق إصداره لأول الكتب العربية الباحثة في موضوع الحروب وضحاياها على المستويات النفسية والسيكوسوماتية. فقد أصدر النابلسي دراسته عن الحرب اللبنانية في العام 1985 وهي استخدمت مرجعاً في غالبية الدراسات التي تناولت هذه الحرب.

ويأتي هذا الكتاب ليتوج أعمال المؤلف في هذا المجال حيث يركز على موضوعين هامين هما رعاية الأسرى ومعاناة الضحايا من الوساوس المرضية ومخاوف الموت التي تنتشر بصورة وبائية في المجتمعات المتعرضة للحروب والكوارث. مما يجعل من هذا الكتاب ضرورة ملحة لكل معالج عامل في هذه المجتمعات.

مكتبة العدد

العنوان: الشباب الخليجي والمستقبل: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية.

المؤلف: أ.د.مصطفى حجازي.

الناشر: المركز الثقافي العربي.

عرض: د محمد الرميحي.

هذا الكتاب الذي ألفه الدكتور مصطفى حجازي، وهو أكاديمي متخصص في علم النفس، كما أنه قد قام بالتدريس ردحاً من الزمن في الخليج. وهو شخص يعرف موضوعه، والكتاب من نشر المركز الثقافي العربي في بيروت، ويحتوي ثمانية فصول، فبعد المقدمة التي تحوي شرحاً نقدياً للمنهج الذي تبناه الكاتب في معالجة الموضوع، وكذلك دورة الحياة في المجتمعات الخليجية، ثم تعرج الفصول الأخرى على التوالي على الأسرة الخليجية، التعليم والعمل، المشاركة في العمل العام، ثم قضايا الهوية، وبعدها أوقات الفراغ، وفي الفصل قبل الأخير إلقاء نظرة مستقبلية على القضية التي يدرسها الكاتب. وأخيراً، انتهى الكاتب إلى ما سماه إنجازات محققة ومهام مطلوبة، وهي نظرة بانورامية لما يراه الكاتب من فرص وتحديات أمام الشباب الخليجي.

هذه الفصول الثمانية التي حواها الكتاب تضع قضية الشباب الخليجي في منظومة فكرية واحدة ونقدية في آن.

في المنهج يناقش الكاتب عدداً من القضايا المطروحة، منها ما هو العمر الزمني لـ"الشباب"؟ وهل المراهقة من الشباب، أم خارجة عنه؟ وهل السن المتفق عليه للشباب يضم الجنسين الرجال والنساء؟ مثل هذه الموضوعات جعلت المؤلف يخرج بتصور محدد، وهو أن الشباب من ناحية العمر هم ما بين.... و.... عاماً للرجال، وما بين.... و.... للنساء. إلا أنه لا يتوقف في البحث المنهجي عند ذلك الحد، بل يذهب عميقاً لنقاش أهمية دراسة موضوع الشباب، حيث إنهم يشكلون أغلبية بين سكان دول الخليج العربي، كما يشكلون كل المستقبل لهذه البلدان التي تواجه تحديات إقتصادية وسياسية وثقافية كثيرة. ثم يقترح بسبب أهمية

الموضوع أن ندخل علماً جديداً اسمه "علم الشباب"، وذلك للأهمية التي يشكلها الشباب في المجتمع، وخاصة المجتمع الخليجي. بعد ذلك، يوقفنا الكتاب عند تفرع آخر، حيث يرى أن الفئة العمرية للشباب التي حددها ليست كافية، لأن هنالك شرائح داخل هذه الفئة العمرية، وتحتاج إلى معالجة شؤونها وشجونها بشكل مختلف، كما أن هنالك فروقاً بين الجنس الناعم والخشن في التعامل في ثنايا هذه الشرائح المختلفة.

أما الفصل في الشرائح، فإن المؤلف يقدم لنا تفسيراً مبتكراً حول شباب وشابات الخليج، بالقول: إنها تنتمي إلى خمس شرائح محددة، وهي: الشباب النخبة، الشباب صاحب الحظوة، والفئة الطامحة إلى بناء حياة كريمة، ثم الشباب المهمّش، أو "شباب الظل" كما سماهم، وأخيراً فئة خامسة، وهي فئة الشابات. في مثل هذا التقسيم أرى أن بعضه يتداخل مع الآخر، فليس هناك، في ما ذهب إليه المؤلف، فروق جوهرية بين "شباب النخبة، والشباب صاحب الحظوة" إلا في أيسر الأمور وأبسطها. أما قوله الشباب المهمّش فقد كان السبق لدراسات أخرى عديدة تطرقت لهذه الفئة من الشباب. لكن ما ذهب إليه المؤلف في القول في هذا الفصل "تصويب المنظور منهجياً" فهو قول في مكانه الصحيح، حيث صوب المؤلف بعض المفاهيم حول هذا الموضوع المهم الذي يقوم بدراسته.

في الفصل الثاني، يتحدث الكاتب عن الأسرة الخليجية وقضايا الشباب فيها، فيعرج على موضوع مهم وحيوي، وهو دراسة الأسرة الخليجية الحديثة، ويأتي بمفهوم جديد غير مطروق، فقد دأبت الدراسات حول هذا الموضوع إلى توصيف الأسرة في الخليج على أنها إما أسرة "ممتدة"، وإما "نواتية"، والكاتب يجمع بين المفهومين في توصيف دقيق، فالأسرة الخليجية بالنسبة إليه هي "أسرة نواتية ذات علاقات ممتدة"، وهو توصيف يقارب الحقيقة كما نعيشها.

ولا يوفر الكاتب النقد الحق لهذه الأسرة التي تضربها رياح العولمة، والتطورات المادية، ومدى تأثير كل ذلك على الأبناء، وبخاصة كما يرى المؤلف على البنات. فالتحولات التي يمر بها المجتمع الخليجي تحولات قسرية تقود إلى تشتت القيم، ودخول قيم جديدة غير مسبوقة، عدا عن الضغوط التقليدية من الأسرة على الشباب، وإغراءات الفضاء الخارجي للشباب تجعل منهم عرضة للتأثر العميق بهذه التيارات المختلفة. ويرى الكاتب أن التشدد "الديني"، أو الانتماء غير الوطني هو بسبب غياب المرجعية لهذه الأسرة والشباب فيها.

ويضع المؤلف إصبعه على "الوفرة المادية"، كأحد أسباب تشتت القيم لدى الشباب الخليجي، فيرى أن هنالك مركباً ازدواجاً بين "الأصالة والتقليد" من جهة، وبين "الحداثة

والتجديد" من جهة أخرى، وهذا ما يجعل الشباب تحت تأثير قطبين متناقضين كل التناقض. ويقارن بين ما أسماه الإدمان "الديني" والإدمان "الإنترنتي"، وهما قطبان من المفترض أنهما متناقضان، أو مختلفان على الأقل، إلا أن الشباب الخليجي في كثير من الأوقات يجمع بين هذين القطبين المختلفين دون غيرهم من شباب الشعوب الأخرى. ويتحدث الكاتب عن تأثير "الإفراط في الإستهلاك"، كأحد عوامل التشتت في القيم الشبابية في الخليج، كما يضيف إليه أنواع العلاقات الأسرية في العائلة الخليجية، فيصف لنا حالة "التصدع الخفي" في الأسرة، أو التصدع الظاهر، أو البيّن، أو الصريح. ويشدد على أهمية العلاقات الصحية في الأسرة من أجل مرجعية قيمية جيدة، أو مناسبة، للتنشئة الاجتماعية، وفي حال فقدانها فإن صداها يظهر في الاضطرابات المختلفة السلوكية والنفسية للشباب في الأسرة. هذه التحولات التي تصيب الأسرة الخليجية نتيجة تغيرات في الأوضاع الاقتصادية تؤدي إلى ثقافة تناقض الإنجاز والشعور بالواجب وعدم العناية بالإنجاز.

في فصل التعليم والعمل (الثالث)، يعود الكاتب من جديد إلى علاقة التعليم بالبنية الثقافية المؤسسة على قيم الاستهلاك. فعلى الرغم من كبر حجم الصرف على التعليم من قبل الدولة الخليجية الحديثة، والطفرة التعليمية التي يساويها الكاتب بالطفرة النفطية، إلا أن نقد محتوى التعليم ومخرجاته تأخذ جل هذا الفصل. فالتعليم والتأهيل وعلاقة التعليم في سوق العمل هي الأضعف، ويرجع ذلك إلى سببين: الأول هو القدرة الاستيعابية من جهة، والبرامج التعليمية المتوافرة، والثاني إلى ثقافة الاستهلاك التي حولت الجامعات الخليجية إلى "مكان لتلقي الدروس" لا العلم!! فيركن الطلاب إلى السهل السريع، يعاونهم، كما يقول، أساتذة ينصب جلّ هدفهم على البقاء في أماكنهم، فيتدنى مستوى المعارف والمهارات لدى الطلاب، وتحدث القطيعة بين التعليم وبين سوق العمل، ويفرغ الطلاب من "القدرة المعرفية"، وتضمحل الثقافة العامة، وتنتشر تقاليد التساهل والحصول على الدرجات العلمية التي تكاد تكون مزيفة، ويساعد على انتشار ثقافة الارتزاق.

أمام كل ذلك، يرى المؤلف عدم قدرة الطلاب (الشباب) على المنافسة الحقيقية في وضع صحي بعيد عن "الحمائية" الأسرية، أو حمائية الدولة الخليجية الحديثة، وتتجلى عدم القدرة في عدم ملكيتهم للأدوات، كالكتابة والتحليل والقراءة والتلخيص والابتكار. تقاليد التساهل تلك أفرزت جيلاً كاملاً من "صيادي الفرص"، كما ذهب المؤلف إلى تسميتهم، كما أن الرغبة في الحصول على الرضا من المعلمين، في التعليم الجامعي، أو ما دونه، وصلت إلى منطقة خطرة في إعداد الشباب للمستقبل.

ولأن العمل جزء مهم من حياة الشباب، فقد شمل هذا الجزء مناقشة علاقة العمل بالشباب الخليجي، فما دام العمل يتطلب الإعداد المهني والتقبل الاجتماعي، فإن الكاتب يرى أن هنالك شرائح اجتماعية من الشباب

لا تعاني من مشكلات لدخول سوق العمل، وبخاصة الشريحة الأولى والثانية اللتان أشرنا إليهما سابقاً "النخبة وأصحاب الحظوة". أما الشرائح الأخرى، وهي "الطامحة إلى بناء حياة كريمة، والمهمّشة، والفتيات"، فإنها تعاني من صعوبة الحصول على العمل، وتفرز بالتالي آثاراً اجتماعية سلبية، منها الإحساس بالغبن.

وتأتي إشارة الكاتب إلى "الواسطة" كظاهرة اجتماعية سلبية في مجتمعات الخليج العربي التي بدأت تلقي بظلالها على النسيج الاجتماعي. ويلاحظ الكاتب أن ظاهرة "البطالة" في مجتمع يتمتع بدخل عال، أو نسبي، هي ظاهرة لا تغتفر، ويتوقع أن تزداد هذه الظاهرة تفاقماً في الأعوام القادمة، بسبب الأعداد الكبيرة التي تضخها المؤسسات التعليمية. وقد صدر الكتاب قبل الأزمة المالية العالمية التي تأثرت بها دول الخليج في نهاية السنة الثامنة، وبداية التاسعة، من القرن الجديد. وهي أزمة سوف تفاقم من الأوضاع الاقتصادية السلبية، وما تجره من نتائج اجتماعية وسلوكية، ولن تعود "دولة الرعاية" قادرة على تأمين توقعات مواطنيها.

في الفصل الرابع، يتطرق المؤلف إلى المشاركة في العمل العام، وعلينا أن نتوقع مما أسلف في شرح المجتمع الذي يدرسه أن المشاركة في العمل العام من قبل الشباب هي في حدها الأدنى، فالعمل العام التطوعي يكاد يكون غير موجود في معظم الشرائح الاجتماعية الشبابية، كما يوسع الكاتب هذا النقد ليخص العمل التطوعي، بل إنه يتمنى الإقبال على المشاركة في المجتمع بشكل عام، لأن المشاركة تعني العطاء، وهي فكرة لم تترسخ، حيث أن الفكرة المضادة وهي "الأخذ" هي السائدة في الفضاء الثقافي، ولا يفوت الكاتب هنا أن يقارن بين مجتمع الوفرة اليوم ومجتمع الندرة بالأمس، فيرى أن مجتمع الندرة "قبل النفط" كان حيوياً بالنسبة للمشاركة الاجتماعية، وهذا ما لاحظه كتاب آخرون كتبوا في الموضوع نفسه.

التطرق إلى الهوية في الفصل الخامس إضافة مهمة للكتاب في الموضوع، فنتيجة للتغيرات الهيكلية في المجتمع، والانغماس في العولمة، تطرح قضية الهوية في المجتمعات الخليجية على أكثر من صعيد، بل يرى بعضهم أن هذا "التشرذم" الاجتماعي المشاهد هو نتيجة تفكك الهوية السابقة دون الوصول إلى شكل من الهوية الجديدة شبه الثابتة. فالإنسان الخليجي بهويتين وربما أكثر، مما يزيد من صعوبة البحث والوصول إلى نتائج. ويعاني الشباب على

صعيد الازدواجية في الهوية معاناة أكبر من الآخرين، وتتفاوت ردات فعلهم بين إباحية شديدة، وبين تزمت مقيت خارج عالم حديث له متطلبات موضوعية. ويرى الكاتب أن الهوية هنا أيضاً تتوزع على الشرائح الخمس التي صنفها، النخبة والحظوة، والمكافح، والمهمش، والنساء. وأرى أن مثل هذا التقسيم ربما يكون قد لفت النظر إلى الهوية أكثر من اللازم.

في الفصل السادس، يتحدث الكاتب عن أوقات الفراغ لدى الشباب الخليجي، لأن الفراغ شكّل نوعاً من المعاناة، ويرى الكاتب أن استعمال مفهوم "فراغ" قد يكون مراوغاً بالمعنى المنهجي، فكل فراغ يملأ بشكل محدد من النشاط، والإشارة هنا إلى "ملء الوقت بما يضر"، ولا يلاحظ الكاتب أن فراغ الشباب الخليجي، أو ملء الوقت، يختلف من حيث الجدة والشكوى منه، ويركز على أن الفراغ خاص ببعض الشرائح، ولا تعاني منه شرائح أخرى، ويبدو أن ذلك تسرع في التحليل لا مسوّغ علمياً له. ويأتي الكاتب بعدد من الشواهد الدراسية التي تمي في بعض دول الخليج حول الفراغ، فيرى أن هنالك دولاً تشتكي من الفراغ، وأخرى أقل شكوى بسبب التدريب ونوعية التعليم، ووجود وسائل ترفيه مختلفة في المجتمع ومتاحة، مثل دور السينما والمراكز الثقافية والمكتبات، أو توجد برامج مخصصة للشباب رياضياً واجتماعياً. ثم يلوم الكاتب الأسرة الخليجية، لأن بعضها ينمي اتجاهات نقيضة لاستخدام وقت الفراغ، كالسفر الطويل إلى الخارج، وترك الأبناء في أيدي الخدم، أو عدم التدقيق في الرفقة التي يتخذها الأبناء.

في الفصلين السابع: الشباب الخليجي وبناء الاقتدار، والثامن: إجازات محققة ومهام مطلوبة، وهما فصلان يكملان بعضهما بعضاً، يتطرق الكاتب إلى تأثير العولمة على الشباب الخليجي، فهي "حالة حضارية جديدة"، هكذا يرى الكاتب، ربما هي جديدة في موضوعاتها، أما العولمة فقد طرقت أبواب الخليج منذ زمن طويل، وحتى قبل استخراج النفط، لأنها قدمت مع الاحتكاك بالجوار والخارج، ومع تقدم سبل المواصلات، الشراع، ثم البخار، ثم النفط. إلا أن مضمونها الجديد هو جديد بالفعل بسبب التقدم الهائل في وسائل المواصلات والاتصالات. فالإعلام الفضائي يضرب مجتمعات الخليج ليل نهار، وتتيح الإنترنت التواصل مع الجوار والعالم في لمح البصر، إلا أن نتائج في "انعدام القين" كما يسميها الكاتب تؤثر في الشباب الخليجي من أجل إنكار جزئي للواقع، والعيش في عالم افتراضي قابل أو رافض كلياً لما يراه ويسمعه. ويشكل ذلك صعوبة في تكوين رأي عام شبابي متقارب. العولمة لها مضار أيضاً من وجهة نظر الكاتب، فهي تنقل الفساد الكوني حسب تعبيره لفئة الشباب، وتضيف أشكالاً من الثقافة قد لا تكون منسجمة مع قيم المجتمع. كما أنها تفرض قانون

القوة في التعامل مع المجتمعات غير القادرة على المقاومة، سواء كانت قوة اقتصادية، أو ثقافية، أو معلوماتية. ويرى الكاتب هنا أنه لبناء "اقتدار" شخصي ممكن للشباب في الخليج، علينا أن نتوجه إلى سبعة أركان رئيسية في ذلك، وهي الأولى بناء قوة جسمية للشباب عن طريق الرياضة، وثانياً كفاءة نفسية، وهذه تأتي منذ الطفولة من أجل التعامل مع نتائج العولمة، والثالثة بناء اقتدار معرفي في عالم تتسارع فيه التحولات المعرفية بشكل غير مسبوق تاريخياً، والرابعة جدارة مهنية مبنية على اهتمام بالتعليم والتدريب، الخامسة كفاءة اجتماعية تتعامل مع الآخر باقتدار في سوق مفتوح، والسادسة تحصين هوية الانتماء، والسابعة والأخيرة الحصانة الخلقية. بهذه الوصايا السبع يضع الكاتب خبرة ثمينة في متابعة مشكلات الشباب الخليجي.

الكتاب يقدم جديداً في موضوعه وحيوياً أيضاً، ويضيف إلى المكتبة العربية إضافات جوهرية تستحق المتابعة والتثمين.

العنوان: المحرومون في العراق: دراسة في سيكولوجية الظلم.

المؤلف: د.فارس كمال نظمي.

الناشر: المركز العلمي العراقي. طبعة بيروت.

صدر كتاب جديد للأكاديمي العراقي الدكتور فارس كمال نظمي، العضو المؤسس للجمعية النفسية العراقية، بعنوان "المحرومون في العراق: دراسة في سيكولوجية الظلم".

تحاول هذه الدراسة التوغل في أدق بنى شخصية الإنسان العراقي المحروم خلال حقبة الاحتلال الأميركي لبلاده، وقدمت توصيفاً تفسيرياً - تنبؤياً لمسارات الفعل الاجتماعي الجمعي الناجم عن تفاعل أقصى مستويات الحرمان بديناميات الهوية الوطنية.

يستهل المؤلف دراسته بسؤال مركب الغايات: "كيف استطاع المجتمع المدني العراقي أن لا يكره هويته الوطنية التي ارتبطت لديه بأنواع حرمان أسطورية سابقة وحالية كانت كفيلة بتفتيت أي سوسيولوجيا سوى العراقية؟" ليعمد بعدها إلى اشتقاق مفهوم نفسي جديد لأول مرة، مقدماً دليلاً ميدانياً ملموساً على صدقه، هو مفهوم "الحرمان النسبي العراقي المُدرَك"، أي إنه أعطى للحرمان إطاراً وطنياً بالمقايسة مع الشعوب الأخرى، وهو أمر لم تتطرق إليه الأدبيات العالمية السابقة، إذ اكتفت بتناول الحرمان النسبي في إطار المجتمع الواحد. ثم خلص بعدها إلى صياغة أنموذج (موديل) للهوية الوطنية العراقية، متفاعلةً مع الحرمان النسبي ضمن

إطار سيكولوجي - ديموغرافي قادر على التنبؤ باحتمال اندلاع الاحتجاجات الجمعية، أو انحسارها لدى العاطلين عن العمل، مما يعدّ تطويراً تنظيرياً عراقياً خالصاً لنظريتي الهوية الاجتماعية والحرمان النسبي اللتين تأسستا وتطورتا في أروقة الجامعات الأوروبية والأميركية.

ففي ضوء خلفية سوسيو - سياسية قاسية، ممثلة بخطر التفكك المجتمعي من جراء العنف السياسي، تمر به جماعة حضارية قديمة كالعراق، يبرز ميكانزم نفسي جمعي وقائي هو تنامي الهوية الوطنية، إذ تمارس هذه الهوية وظيفةً تكيفية مزدوجة لدى المحرومين بكل درجات إدراكهم للظلم، هي: حماية تقديرهم لذواتهم الاجتماعية من جهة، وتنظيم جهودهم لممارسة الاحتجاج الجمعي من جهة أخرى.

إنها دراسة تبشّر بالأمل، مستندةً في ذلك إلى قياسات رقمية موضوعية للسيكولوجيا العراقية، ومستنتجةً أن "العقلانية" هي الجوهر الاجتماعي للفرد العراقي، وإنْ كان مظلوماً ومحروماً وأسيراً لسادية السلطة ولاعقلانيتها.

يقع الكتاب في (446) صفحة، وصدر عن المركز العلمي العراقي، طبعة بيروت.

د. فارس كمال نظمي
fariskonadhmi@hotmail.com

العنوان: ثورة الكرامة المصرية... قراءة سيكولوجية.

المؤلف: د.حمدي الفرماوي.

الناشر: الأنجلو المصرية.

من مقدمة الكتاب

سوف يقف التاريخ طويلاً أمام يوم 25 يناير من عام 2011 إجلالاً وتقديراً، وسوف تقف شعوب العالم، والدوائر العلمية أمام هذا اليوم المبارك تدرس وتتأمل أحداثه وأسبابه، لتصل إلى دروس كثيرة، وعِبَر عديدة، ونظريات في السياسة وعلوم النفس والاجتماع، وحيث قد أعطاها الشعب المصري للعالم بأسره في هذا اليوم الذي خرج فيه يطالب بعودة كرامته وحريته، ويهزم الظلم والتخلف والاستبداد والتسلط، وأهم من ذلك كله، أن ينتصر على نفسه، ويكسر حاجز الخوف، منتصراً على ترسانة الأمن والأغلال الحكومية.

لقد اندلعت "ثورة الكرامة المصرية" التي أشعلها شباب مصر تعبيراً عن الظلم والمساس بالكرامة، ورفضاً لما آلت إليه أحوال المجتمع المصري، من تردٍّ للأوضاع الاقتصادية والسياسية

والاجتماعية والتعليمية.. ورفع الشباب شعار "الكرامة والحرية والعدالة الاجتماعية".

إن مفهوم الكرامة يتضمن قيمة إحساس النفس بعزتها وقيمتها واعتبارها وكينونتها وثرائها، وغياب هذا الإحساس عن الإنسان يعني أن يعيش الإنسان الهوان، وفقد القدرة على تأكيد ذاته. ولم يكن هذا الإحساس بالكرامة لجميع طوائف الشعب وأطيافه موجوداً قبل 25 يناير، سواء أكانوا كباراً أو صغاراً، ميسورين، أو معسرين، رجالاً أو نساءً.. فقد وصل الإحساس بالإنسان المصري إلى شعوره بأن بلده لم تصبح بلده، وأن أرضه لم تعد أرضه، إنه الشعور بالقرْف، أو الاستئصال، حيث أصبح المواطن يعيش حالة من الانفعال الشديد الحاد الذي يعطيه الإحساس بأنه لم يصبح مواطناً في هذا الوطن، لكن الوطن أصبح لغيره من الأقزام ذوي النفوذ والسلطان.

ولقد أدى هذا "الانفعال" بالشعب إلى حالة من العنف بجميع صوره قبل الثورة، سواء أكان عنفاً على المجتمع، أو عنفاً على الذات.. ففي العامين السابقين على الثورة تعددت المظاهرات والاعتصامات، ثم تطورت إلى سلوكيات عنيفة بين طوائف الشعب نفسه، وخرج العنف من البيوت إلى الشوارع والهيئات والمؤسسات، حتى إلى ساحة المجالس النيابية.. ثم تكررت حالات انتحار الشباب بطريقة مباشرة وغير مباشرة، كالموت في مراكب تنقل الشباب إلى جنة أوروبا التي يحلمون بها، بعد أن ضاق بهم وطنهم، ثم وصل الأمر إلى إشعال المصري النار في جسده في الشوارع وأماكن العمل، احتجاجاً وتذمراً وغضباً مما يحدث، كل ذلك وحكومة الحزب الوطني الغبية لا تعي ولا تسمع إلا نداء التخلف داخلها. وكان لابد أن تتجمع كل هذه الطاقات، تجمعاً منظماً وحول هدف واحد، إلى أن قاد هذه الطاقات شباب مصر الحر، الذين حولوا عالمهم الافتراضي عبر الإنترنت إلى عالم واقعي، حاملين أرواحهم على أكفهم، واندلعت ثورة الكرامة المصرية، فجددت شباب مصر وهويتها، بعد أن وصلت إلى أرذل العمر، وبعد أن اعتبرها العالم في مرحلة النهاية، وحيث الشعب قد تحول في نظر الأباطرة إلى مجرد كائنات تأكل لتعيش، أو كائنات تعيش لتأكل.

- فما هي البيئة المجتمعية التي مهدت لثورة الكرامة؟
- وما الأسباب المحددة لقيامها؟
- وما المراحل النفسية التي فجرت الثورة، في ضوء حالة العنف الذي كان سائداً في المجتمع المصري؟
- وما الآثار المترتبة على اندلاعها، أو ما يمكن أن نطلق عليه آثار ما بعد الصدمة وإدارة الأزمة؟

• وماهي رياح التغيير المتوقعة لعودة مصر إلى شبابها وهويتها؟

من هنا، جاء الكتاب الحالي، الذي كتب مع الدقيقة الأولى للثورة ومراحلها، والذي أود أن يكون قادراً على أن يرد على هذه الأسئلة المهمة، وغيرها... متمنياً أن يجعله الله في ميزان حسناتي يوم القيامة.. "يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم".. "صدق الله العظيم".

فهرس الكتاب

الفصل الأول: قراءة في المشهد المصري قبل ثورة 25 يناير.

• الخصائص الفطرية في الشخصية المصرية.

• اعتداء النظام السابق على الشخصية والهوية المصرية.

الفصل الثاني: الأسباب المحددة لثورة الكرامة.

• غموض السياسات والممارسات الحكومية وعدم منطقيتها.

• حلم الشعب المتجدد في العدالة والديموقراطية.

• المساس بكرامة المصري ووصوله إلى الشعور بالاستئصال.

• كسر حاجز الخوف الذي عانى منه الشعب طويلاً.

الفصل الثالث: المراحل النفسية التي فجرت الثورة وآثار ما بعد الصدمة.

• الخطر الذي داهم السلام الاجتماعي قبل الثورة.

• تداعيات العنف المتعاظمة قبل الثورة.

• الثوار في طريق الإصلاح السياسي بعيداً عن تداعيات العنف.

آثار مابعد الصدمة (ضعف إدارة الأزمة).

الفصل الرابع: عودة مصر الشباب والهوية (رياح التغيير).

• توجه مصر نحو منظومة فعالة للتعليم والبحث العلمي.

• استعادة هيبة مؤسسات الدولة ودورها.

• استعادة حجم مصر ودورها في المنطقة.

• عودة أمن المواطن المصري واحترامه في الداخل والخارج.

• تهيئة الأسرة والمدرسة كمناخ لتنمية الإبداع لدى الطفل المصري.

• أبعاد سيطرة رأس المال عن مجالات المعرفة والإعلام والسياسة.

• تكريس الفهم الجديد للمواطنة.

• تغيير في أسلوب التفكير والتعامل اليومي للمواطن والمؤسسات.

◆ عودة انتصارات أكتوبر إلى ذاكرة الأمة والشباب.

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية

يدعوكم لزيارة مواقعه على الإنترنت

WWW.Filnafs.com

WWW.Psyinterdisc.com

naboulsi.comWWW.Psychiatre-

ملف العدد

التحليل النفسي للرئيس جورج ووكر بوش

جماعة من الباحثين

التحليل النفسي للرئيس جورج ووكر بوش

جماعة من الباحثين

جورج ووكر بوش... سيرة حياة.

عقيدة جورج دبليو بوش.

بوش تحت المجهر: الرئيس على أريكة التحليل النفسي.

مأساة بوش THE BUSH TRAGEDY.

في قلب العاصفة»: السنوات التي قضيتها في السي آي إيه.

قراءات بوش وكتابه المفضلين.

المجنون الذي أرعب العرب والعالم.

الابن الضال PRODIGAL SON REVISOTED.

جورج ووكر بوش... سيرة حياة

هو الرئيس الثالث والأربعون للولايات المتحدة الأميركية، وهو ثاني رئيس أميركي يسبقه والده في الرئاسة، أما الأول فكان جون كوينسي آدامز.

ولد جورج بوش الابن، واسمه الرسمي جورج ووكر بوش، أو جورج دبليو بوش، لأسرة محافظة من أثرى العائلات الأميركية، وذلك يوم 6 يوليو/ تموز 1946 عاش قريباً من أسرته حتى سن الخامسة عشرة، انتقل بعدها للدراسة بعيداً عن الأسرة.

أتم دراسته الجامعية في عام 1968، والتحق بعدها بالحرس الجوي الوطني لولاية

تكساس بقاعدة إلينغتون لينال تدريباً على الطيران. قضى بعد انتهاء التدريب سنتين قائداً لطائرة مقاتلة من طراز F102. ثم اشتغل بقطاع الأعمال، حيث أسس وترأس شركة بوش للتنقيب عن البترول والغاز لمدة 11 عاماً، كما كان أحد ملاك نادي تكساس رنجر للبيسبول من 1989 إلى 1998. وقد تعرضت شركته لأزمات مالية عديدة خلال إدارته لها، فعمد ذووه إلى تقديم المساعدة المالية له.

اتهمه خصومه بالتهرب من الخدمة الوطنية إبان حرب فيتنام. وقد اعترف خلال فترة رئاسته الأولى بأنه عاش حياة ماجنة من حياته التي استمرت حتى سن الأربعين، حين "ولد ثانية" على يد المبشر الأصولي بيلي غراهام، فترك إدمان الكحول.

ينتمي جورج ووكر بوش إلى أسرة سياسية، فجده برسكوت بوش كان عضواً في مجلس الشيوخ الأميركي بين سنتي 1952 و1963. والده جورج هربرت ووكر بوش، أو جورج بوش الأب كما بات يعرف بعد انتخاب ابنه رئيساً. عمل الأب نائباً في البرلمان الفيديرالي سنة 1966، ثم نائباً للرئيس الأربعين للولايات المتحدة رونالد ريغان في الفترة من 1981 وحتى 1989، وأصبح الرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة الأميركية سنة 1989، إضافة إلى أن أخاه جيب بوش لايزال يتقلد منصب حاكم ولاية فلوريدا.

جورج بوش الابن عضو في الحزب الجمهوري، انتخب الحاكم السادس والأربعين لتكساس عام 1994، وأعيد انتخابه لهذا المنصب في عام 1998، ثم فاز بترشيح الحزب الجمهوري لانتخابات الرئاسة في عام 2000، ليهزم فيها منافسه الديموقراطي ونائب الرئيس آنذاك آل غور، في منافسة شديدة تدخلت فيها المحكمة العليا الأميركية بسبب حدوث خلل في تعداد الأصوات في ولاية فلوريدا التي يحكمها شقيقه جيب. وأعيد انتخاب جورج الابن للرئاسة في عام 2004 بعد تنافسه على المنصب مع المرشح الديموقراطي السيناتور جون كيري.

انضم بوش الابن إلى قائمة حكام الولايات الأميركية الذين فازوا بمنصب الرئاسة، مثل الديموقراطي جيمي كارتر الذي كان حاكماً لولاية جورجيا، والجمهوري رونالد ريغان حاكم كاليفورنيا السابق، وبيل كلينتون الذي كان يحكم ولاية أركنساس. أما بوش فقد حكم ولاية تكساس.

تعرضت الولايات المتحدة الأميركية في ولايته الأولى وتحديداً في 11 أيلول/ سبتمبر 2001 إلى أكبر هجوم في تاريخها، حيث تم تفجير برجي مركز التجارة العالمي، وجزء من مبنى البنتاغون، وهي الهجمات التي عرفت باسم هجمات سبتمبر. وأسفرت هذه الانفجارات

عن مقتل قرابة أربعة آلاف أميركي. اتهمت إدارة بوش تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن بالوقوف وراء الهجوم.

قرر بوش شن حرب على أفغانستان بحجة إيواء حركة طالبان لتنظيم القاعدة ولبن لادن، مما تسبب في انهيار حكم الحركة، ومقتل عشرات الآلاف، واحتلال القوات الأميركية للبلاد، وتنصيب حكومة مدعومة من واشنطن على رأسها حامد كرزاي.

وفي عهده أيضاً، وتحديداً في عام 2003، هاجمت القوات الأميركية مدعومة بقوات رمزية من بريطانيا، ودول أخرى، ودون قرار دولي: أراضي العراق، بحجة إسقاط نظام الرئيس صدام حسين، والبحث عن أسلحة الدمار الشامل. لقد احتلت القوات الأميركية العراق، غير أنها لم تجد أي أثر لأسلحة الدمار الشامل هناك.

قرارات حاسمة Decision points

مذكرات بوش

دراسة الشخصية وتحليلها، ومعها تحليل الحركات، وتعابير الوجه وإيماءاته، تحول إلى اختصاص نفسي متفرد، وكانت المخابرات الأميركية سباقة لتوظيفه في مجالها. ولعل بعض القراء سمع عن هذا التطبيق في قنوات الإعلام الاميركي، أو قرأه في مجلة نيوزويك، التي اعتادت مقابلة المسؤول عن هذا الفرع، لاستطلاع رأيه وتحليله لشخصية هذا الرئيس، أو ذاك، عبر حركاته وتعابيره. وكان صدام حسين آخر الخاضعين لهذا التحليل في نيوزويك.

لكن ماذا عن تحليل بوش في مآزقه المتصاعدة؟ طبعاً لن ننتظر نيوزويك، أو غيرها، كي تقدم مثل هذا التحليل. فهو غير مستحب أميركياً. لكن ذلك لا يعني احتكار الأميركيين لهذا الاختصاص، كما أنه لا يعني بحال أن الاختصاص يقوم على التمييز العنصري، بحيث يقدم تحليلات للجميع، ويستثني الأميركيين. ولكي يكون تحليل بوش واضحاً بالنسبة إلى القارئ، علينا أن نستعيد ملامح بوش في الأزمات، حيث تبرز تجاعيد وإيماءات خاصة في وجه بوش لها دلالات بالغة الأهمية بالنسبة للمتخصصين.

ورغم سيل الكتابات التي تناولت شخصية الرئيس ووكر بوش، وسلوكه السياسي، وتبعيته لبعض شخصيات إدارته، والشهادات المجمعة من رفاق دراسته، ومن محيطه العائلي، وكاتب خطاباته، مضافاً إليها عشرات المحاولات التحليلية لمواقف بوش السياسية، أو لشخصيته عموماً. رغم كل ذلك، تبقى أكثر أهمية مذكرات بوش، وتصوره لذاته، والصورة التي يقدم نفسه بها للعالم عبر هذه المذكرات. كما أن كتاب مذكرات بوش يقدم

معطى تحليلياً أكثر قيمة ودلالة من المعطيات الانطباعية التي تعطيها مجمل الكتابات المشار إليها أعلاه. فماذا يقول بوش في مذكراته؟

مذكرات بوش صدرت منتصف نوفمبر 2010 في كتاب بعنوان "قرارات حاسمة" يقع في 497 صفحة من القطع المتوسط، ويقسم إلى أربعة عشر فصلاً، خصص كلاً منها لعرض قضية من القضايا، أو نقطة من النقاط المحورية، التي اتخذ فيها قراراً يعتبره مهماً.

مذكرات مثيرة للجدل مثل صاحبها

أثار الكتاب حتى قبل ظهوره جدالاً يليق بكاتبه الأكثر إثارة للجدل بين الرؤساء الأميركيين، بانتظار تحقق أمل بوش في أن يتكفل الزمن بتحسين صورته التاريخية، كما قال في كتابه. ورغم الجدالات الساخنة التي أثارها الكتاب، فهو وجد طريقه للفوز في المنافسة، مثل صاحبه، إذ باع الكتاب مليون نسخة خلال أيام من صدوره ليصل إلى مليونين نسخة بعد حوالي الشهر. لكن الكتاب مثل صاحبه يدعونا إلى التعمق في دراسة الزاوية الميتة الواقعة بين الفوز والنجاح واستيعاب الفوارق العميقة بينهما.

الجدال يبدأ من عنوان الكتاب "قرارات حاسمة" الذي تعترضه شكوك عميقة في قدرة بوش على اتخاذ مثل هذه القرارات، وهو واقع تحت سيطرة فريق الذئاب المحيط به. ففي الأسبوع الأول من دخوله للبيت الأبيض كتبت نيوزويك أن الرئيس يبدو الأكثر فقراً بين أعضاء فريقه الرئاسي. ولاحقاً، وصفه مايكل مور بالانصياع التام لرغبات رامسفيلد، لغاية تصوير رامسفيلد وهو يأمر بوش بالنوم، إضافة لانتقادات مور للرئيس بوش في فيلمه الوثائقي (فهرنهايت 9/11).

محور ثان وهام للجدل حول الكتاب، ويتعلق بالسرقات الأدبية، حيث تضمن الكتاب مقتطفات كثيرة مسروقة من كتابات آخرين. حتى ذهب بعضهم إلى أن الكتاب ليس مذكرات بوش بقدر ما هي مذكرات آخرين نسخها الرئيس السابق ونقلها إلى كتابه. ولاحظت صحيفة هفنغتون بوست وجود تشابه لافت بين كتابات منشورة سابقاً، ورواية بوش المنمقة عن أحداث لم يكن شاهداً عليها. ومنها رواية بوش عن اللقاء بين كرزاي وزعيم طاجيكي في مذكراته المقتطعة حرفياً تقريباً، وبلا تنسيب من مقالة نشرها أحمد راشد في نيويورك ريفيو أوف بوكس. كما استعار بوش بكثافة في مذكراته من كتاب بوب وودورد الموسوم "حرب بوش"، والذي اتهمه البيت الأبيض بعدم الدقة حين صدر عام 2002. كما نقل مقاطع من كتاب نشره الناطق السابق باسم البيت الأبيض آري فلايشر. كما يستعير بوش

اقتباساً من مقابلة أجرتها صحيفة واشنطن بوست مع جون ماكين عن العراق، ثم يروي الواقعة موحياً بأن ماكين قال له ذلك. وخلص النقاد إلى أن هذه السرقات والانتحالات إنما تعكس صفتين كثيراً ما تعرض الرئيس السابق للانتقاد بسببهما هما افتقاره إلى الفكر الأصيل وكسله.

أما بالنسبة لتوقيت ظهور الكتاب وأهدافه فقد رأى متخصصون في السياسة الأميركية أن ما يلفت النظر في إصدار كتاب المذكرات هذا هو تزامن إصداره مع انتخابات الكونغرس الأميركي، وتأييد جورج بوش الإدارة الأميركية والرئيس أوباما في موضوع تكثيف الوجود العسكري بأفغانستان، كما توحي المذكرات بمحاولة دفع أوباما إلى النهج نفسه الذي كان يمارسه جورج بوش نفسه.

المحاور السياسية

غزو العراق

في قضية غزو العراق، يعتبر بوش أن قراره بالغزو والإطاحة بحكم الرئيس العراقي صدام حسين كان صائباً، رغم شعوره بالغضب بسبب عدم العثور على أسلحة دمار شامل في العراق. ورفض بوش الاعتذار عن غزوه للعراق، وقال أن الاعتذار معناه أن الغزو كان خاطئاً، مؤكداً أنه لايزال يعتقد أن الاطاحة بحكم صدام حسين كان أمراً صحيحاً. وأضاف أن العراق أصبح أفضل، إذ بات 25 مليون عراقي الآن يمتلكون فرصة العيش بحرية، حسب تعبيره.

الملف الإيراني

في الكتاب، يكشف بوش النقاب عن أنه كان قد أوعز إلى وزارة الدفاع الأميركية بإعداد خطة لشن هجوم على المنشآت النووية الإيرانية، بهدف وقف تطوير قنبلة نووية فيها ولو بشكل موقت. وأضاف أن بعض مستشاريه اعتقدوا بأن تدمير المنشآت النووية الإيرانية قد يساعد المعارضة الإيرانية، بينما اعتبر مسؤولون أميركيون آخرون أن مثل هذه الخطوة قد تزيد من الكراهية تجاه الولايات المتحدة. ووصف الرئيس الأميركي السابق عملية عسكرية ضد إيران بآخر خيار يجب اللجوء إليه.

ملف التعذيب

يدافع بوش في مذكراته عن قراره السماح باتباع أساليب قاسية في التحقيق مع الإرهابيين المشتبه فيهم الذين ألقي القبض عليهم. وعندما استفسرت منه وكالة الاستخبارات المركزية

الأميركية "سي آي إيه"، حول ما إذا كان في مقدورها إخضاع خالد شيخ محمد، العقل المدبر وراء هجمات 11 سبتمبر، لنمط من الإيهام بالغرق، أنه أجاب: "عين الصواب". وأضاف أن هذه التحقيقات "أنقذت أرواحاً".

المجد الشخصي

بعد دفاعه عما عنونه بقراراته الحاسمة، وبغض النظر عن مستوى الإقناع في دفاعاته، وعن تناسبها مع انعكسات وذيول قراراته، فهو يعرب في ختام المذكرات عن أمله في أن يتكفل الزمن بتحسين صورته التاريخية. وخلص إلى أنه "بعد عقود من الآن، آمل أن يراني الناس كرئيس أدرك التحدي الأكبر أمامه، والتزم بتعهده بالحفاظ على أمن البلاد، وتحرك بناء على قناعاته من دون تردد، لكنه بدل مساره عندما دعت الضرورة إلى ذلك، ووثق في قدرة الأفراد على اتخاذ قرارات حاسمة في حياتهم، واستغل نفوذ أميركا في تعزيز الحرية.

الجوانب الشخصية

الرئيس المدمن التائب

في الفصل الأول، يروي بوش عن قصة إدمانه للكحول، معترفاً بولعه بالسكر. ويصف نفسه بأنه «شخصية طقوسية»، ومن الصعب عليه أن يترك عادة تعود عليها. ومنها طقس تعاطي الكحول لغاية السكر.. ويشير إلى أنه، خاصة في ليلتي الخميس والجمعة، كان يشرب قدر ما يستطيعه، لدرجة أنه سماهما ليلتي الشرب.. كما يشير إلى أنه لم يكن ليستطيع أن يشرب وحيداً، فهو «سكير اجتماعي» على حد تعبيره.. وأنه بالإضافة إلى ذلك، جرب أنواعاً مختلفة من الكيف.. فقد كان مدمناً للسجائر، ثم تركها واتجه إلى «النشوق» Long Leaf Tobacco، ثم استقر به المقام مع السيجار.. (تجاهل تعاطيه للكوكايين لفترة)، واعتبر جورج بوش أن قراره بالتوقف عن السكر والتدخين من أهم قراراته.. وإن عزا ذلك إلى إيمانه العميق وتدينه. وعبر عن ذلك بقوله: لم أكن لأستطيع التوقف عن الشرب والسكر لو لم يكن لدى إيمان عميق، ولو لم يكن لدي إيمان عميق لما فكرت في التوقف ولما قدرت عليه»(... أؤمن بأن الله فتح عيني التي كانت مغلقة بسبب الإدمان.

قماءة الرئيس

القماءة صفة للشخص القميء، ويصنفه العرب كنوع من أنواع الحمق. أما الطب النفسي الحديث فيطلق عليه تسمية "الشخص اللااجتماعي"، وهو، تعريفاً، يؤذي مشاعر الآخرين دون

قصد، أو إدراك منه لذلك. وفي الكتاب يؤكد بوش قماءته، إذ يعترف أنه كانت تصدر منه أحياناً تصرفات لا يستطيع تبريرها، وكانت تسبب له وللآخرين حرجاً بالغاً.. وأنه حاول أكثر من مرة التحكم في هذه التصرفات والتقليل منها، ولكنه فشل.. ومن ذلك، على سبيل المثال، يشير جورج بوش إلى أنه وفي ليلة من ليالي الصيف الجميلة دعا بعض الأصدقاء، في حضور والده ووالدته، إلى عشاء فاخر.. وكان من بين الحضور صديقة لأمه، ولكنها كانت شديدة الجمال.. وفي أثناء تناول العشاء، التفت بوش إلى المرأة وسألها باهتمام وبصوت عال «في اعتقادك، كيف يكون «الجنس» بعد الخمسين؟».. ويشير بوش إلى أن حالة من الصدمة والاندهاش وعدم التصديق قد عمت المكان، ولم يجد تفسيراً لسؤاله هذا!!، والغريب، على حد قوله، أنه عندما بلغ الخمسين، وكان وقتها حاكماً لولاية تكساس، أرسلت له هذه السيدة رسالة على عنوانه في مقر الولاية، وسألته فيها «حسناً يا جورج.. ماذا وجدته بعد أن صرت في الخمسين؟»!!! (دلالة على عمق شعور المرأة بإهانة بوش لها لدرجة تصيدها وقت بلوغه الخمسين لترد له الصفعة). وذكر بوش لهذه الحادثة بمثل هذه البساطة تعتبر قماءة مضافة. وهي قماءة يؤكدها محيط بوش وأقرب مقربيه ويلخصونها بهوايته رواية النكات السمجة. وهي برزت فاقعة خلال لقائه ملكة بريطانيا، كما في خطابه اللندني الشهير المتضمن إهانة للشعوب الأوروبية بحديثه عن أوروبا العجوز.

الإنجاز الانتخابي وهالة الترشح

حول ترشحه للرئاسة، يقول بوش: لم يخطر ببالي يوماً أن أترشح للرئاسة، ولم أخطط لذلك.. ولم أعتبر يوماً من الأيام أن السياسة مهنة. ومع ذلك فقد صمم على الترشح: لأن شيئاً ما أقوى مني كان يجذبني نحو الترشح (قدرة إلهية اختارته للترشح تحدث عنها ولم يذكرها في الكتاب). وعن مواقف العائلة من ترشيحه، يقول بوش: إنه لم يجد التشجيع الكافي من والديه. أما ابنتيه جينا وبربارا فقالتا له: نرجوك لا تفعل.. ستخسر حتماً يا أبي.. أنت لست جذاباً Cool كما تظن في نفسك، لماذا تريد أن تحطم حياتنا؟!! وعندما سأل بعض أصدقائه عن احتمالات فوزه مقارنة بالآخرين قيل له إنها «صعبة».. وكانت أمه تقول له «جورج.. لن تنجح».. ورغم ذلك صمم على الترشح، وفاز. لكن ما لم يقله بوش هو أن حزبه الجمهوري كان واثقاً من الفوز بعد فترتين للرئيس الديموقراطي كلينتون، وفضيحة مونيكا من خلفه. وعليه، فإن تحفظات العائلة كانت تتعلق بقدرته على منافسة المرشحين الجمهوريين. كما تجاهل بوش الوسائل التي أوصلته للرئاسة، وهي لا تقل شبهة عن شبهات مذكراته (دعم

قساوسة اليمين المسيحي المتطرف، ومشاركة أصحاب شركات السلاح والطاقة ومدراء الشركات التي كانت تخفي إفلاسها بالتزوير منذ سنوات، إضافة لدعم والده الرئيس السابق، ورئيس وكالة الاستخبارات السابق. وأهم من كل ذلك خضوعه وتبعيته للأقوياء في فريقه، وبخاصة "ديك تشيني").

توق الرئيس للإنجاب

يتحدث بوش في الكتاب، وبتفصيل كبير، عن قصة حرمانه الطويل من الإنجاب، وبزياراته المتكررة إلى الأطباء في أنحاء الولايات المتحدة للبحث عن علاج.. وأنه بعد أن يئس تماماً، هو وزوجته لورا، قررا تبني أحد الأطفال.. وأقنع نفسه وزوجته بأن ذلك هو الحل الأفضل.. وأخذا في البحث عن طفل.. غير أنه وفي الأسبوع الذي استقر فيه الزوجان على ذلك، اكتشفت زوجته أنها حامل في توأم.. ويشير إلى أنها وجدت مصاعب جمة في هذا الحمل، وكانت مهددة بين حين وآخر بفقدانه، وهو ما جعله لفترة طويلة لا يصدق أنه أصبح أباً، ولطفلتين، وقلقاً على ابنتيه «جينا وبربارا» بشكل مبالغ فيه!!

العادات اليومية للرئيس

في كل أجزاء الكتاب، يكرر جورج بوش وصف نفسه بأنه متدين.. وفي ذكره لبرنامجه اليومي، أشار إلى أنه يبدأ برنامجه اليومي بالقراءة في «الإنجيل»، وبالدعاء.. ويشير إلى أنه كان يبحث فيمن يختارهم للعمل معه عن سمات محددة هي «الفضيلة، الكمال، عدم الأنانية».. ويشير في هذا إلى أن الله منحه هبة كبيرة، وهي «لدي قدرة هائلة على قراءة الناس»، وعلى معرفة شخصياتهم بسرعة.. وهو يذكر في ذلك مقولة للمرأة الحديدية مارجريت ثاتشر «إنني أنظر للرجل أمامي، وأعمل فكري فيه لمدة عشر ثوان، والحكم الذي أصدره خلال هذه الثواني لا يتغير بعدها أبداً، لأنه في الغالب يكون صحيحاً»!!

وفي إحدى المناظرات الرئاسية في ديسمبر 1999، طلب مدير المناظرة من المتسابقين أن يحدد كل منهم اسم الفيلسوف، أو المفكر السياسي، الذي ارتبط به وتوحد معه.. ويشير بوش إلى أنه فكر في «ميل»، أو «لوك»، أو «لينكولن».. ولكنه عندما جاء عليه الدور في الإجابة وجد لسانه ينطق دون تفكير «إنه المسيح، لأنه غير قلبي وطهره»!! وهو ما أثار تعجب الحاضرين.

وعلى الرغم من كثرة الإخفاقات التي مُني بها، ومنيت بها الولايات المتحدة أثناء فترتي حكمه، يثق جورج بوش في أن التاريخ سينصفه، وذلك بعد أن «تهدأ العواطف، وتتضح النتائج

الحقيقية للأحداث، ويقيم الخبراء البدائل المختلفة لكل قرار».. فبعد «عقود من الآن، آمل أن ينظر لي الناس كرئيس تعرف على التحديات الحقيقية لعصره، وحافظ على بلاده آمنة، واستخدم نفوذ بلاده وقوة تأثيرها في نشر الحرية، وصان كرامة وشرف الوظيفة التي كان جديراً بها»!!

ألم أقل لكم إن الأمر يحتاج إلى متخصصين في الطب النفسي والعقلي للحكم على صحة الرجل! شفاه الله وعافاه!

الكذب يطغى على المذكرات

تكذيب غيرهارد شرودر لبوش: فور صدور الكتاب كذّب المستشار الألماني السابق غيرهارد شرودر ادعاء بوش في مذكراته أن شرودر تحول من تأييد الحرب على العراق إلى معارضتها، مستهدفاً الحصول على مكسب سياسي في حملة الانتخابات العامة بألمانيا خريف عام 2002.

تكذيب مصري لبوش: أورد بوش في مذكراته أن الرئيس المصري حسني مبارك أطلع الجنرال تومي فرانكس على أن العراق لديه أسلحة بيولوجية، وأنه سيقوم باستخدامها ضد قواتنا بكل تأكيد (قبل غزو العام 2003). ورفض مبارك التصريح بذلك الاتهام علناً خشية إثارة الشارع العربي. وتولت صحيفة الجمهورية المصرية الرسمية تكذيب بوش في افتتاحيتها 2010/11/23، بقولها إن بوش كذب في حديثه على لسان مبارك لتبرير "فشله"، وتقدم ذرائع واهية لغزو واحتلال العراق. مضيفة أن فترة حكم بوش الابن، كانت وبالاً على أميركا والعالم على حد سواء، انهار الاقتصاد الأميركي وتفشى الإرهاب، كما كان بوش رئيساً فاشلاً، وأثبت أنه مؤلف كتب من الدرجة السابعة، حتى عندما حاول تبرير أسوأ قرار له وهو غزو العراق. كما تطوع كتاب مصريون عديدون لتكذيب بوش في اتهامه للرئيس مبارك.

عقيدة جورج دبليو بوش

ستيفن مانسفيلد

يتناول كتاب "عقيدة جورج دبليو بوش" للكاتب الأميركي ستيفن مانسفيلد السيرة الذاتية للرئيس الأميركي جورج دبليو بوش، خاصة في ما يتعلق بدور الدين في التأثير على شخصيته ومسيرته السياسية، والآمال التي يعقدها عليه اليمين الأميركي المتدين، خاصة في فترة ما بعد أحداث سبتمبر/ أيلول 2001.

الجذور الدينية لجورج دبليو بوش

يبدأ الكتاب بمحاولة للبحث عن جذور التدين في عائلة الرئيس الحالي، ويشير المؤلف إلى أن بوش الأب مر بتجربة دينية هامة خلال مشاركته في الحرب العالمية الثانية، عندما أسقطت طائرته وهو في مهمة ضد اليابان، وأنقذته غواصات أميركية بمعجزة، كما أن بوش الأب صديق للداعية الأميركي المعروف جيري فالويل، الذي يعد أحد أشهر قادة اليمين الأميركي المتدين.

ولكن بوش الأب حافظ دائماً على ثقافة سياسية صارمة تنظر إلى الدين على أنه أمر "شخصي" لا يجب مناقشته في الحياة العامة، ما وضع حاجزاً بينه وبين قوى اليمين الأميركي المتصاعدة سياسياً، التي مالت بعيداً عن بوش الأب خلال حملته للفوز بفترة رئاسة ثانية عام 1992 في مواجهة مرشح الحزب الديموقراطي بيل كلينتون "سريع الدموع"، ومرشح اليمين الأميركي بات روبرتسون، وهو داعية معروف ومؤسس منظمة التحالف المسيحي.

وحدث مرة أن سأل صحفيون بوش الأب عما كان يفكر فيه حين أسقطت طائرته خلال الحرب العالمية الثانية، فقال "أبي وأمي، وبلدنا، والله.. وعن الفصل بين الدين والدولة"، وهي إجابة لم ترض بالطبع المتدينين الأميركيين.

ثقافة النفط ورعاة البقر

هاجر بوش الأب في بداية حياته إلى ولاية تكساس لبناء حياة مستقلة بعيداً عن والده السيناتور ورجل الأعمال الثري في نيويورك، ورزق بوش الأب بجورج دبليو عام 1946، أي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بعام واحد.

وتأثر جورج دبليو كثيراً بفترة تربيته الأولى في مدينة ميدلاند بولاية تكساس، التي امتزجت فيها صناعة البترول بثقافة رعاة البقر، إذ مرت ميدلاند خلال فترة نشأة جورج دبليو بتحول كبير من مدينة رعاة بقر إلى مدينة بترول تدفق عليها آلاف العمال والمهاجرين للاستفادة من صناعة البترول الجديدة.

ولذا تميزت الحياة في ميدلاند بكونها حياة صعبة يملؤها العمال وصراعات الشوارع، وبها اختلاط اجتماعي كبير، وأفضل ما يمثلها، كما يقول المؤلف، هو صورة راعي بقر يرتدي بذة عمل رسمية معها قبعة وحذاء راعي بقر، ويركب سيارة ليموزين فارهة.

كما شارك بوش الأب في بعض لجان الكنيسة المحلية، وقامت باربرا بوش بتقديم أطعمة للكنيسة، وبتعليم الأطفال في مدرسة الأحد التي حضرها جورج دبليو بشكل منتظم.

سنوات الضياع

بعد ثراء بوش الأب انتقل إلى مدينة كبيرة بولاية تكساس، وهي هيوستن، ومع الانتقال بدأت متاعب جورج دبليو الذي ارتبط دائماً بميدلاند، إذ سرعان ما فشل جورج دبليو في التأهل لأفضل مدارس هيوستن، وبدأ في رفض النظم التعليمية الصارمة، كما واجه صعوبة الخروج من عباءة والده الناجح وذائع الصيت، ودخل خلال مراهقته مرحلة تجارب ثقافية وأخلاقية مستمرة تواكبت مع فترة الستينيات التي شهدت ثورة ثقافية وأخلاقية عمت المجتمع الأميركي.

فشل جورج دبليو في الالتحاق بإحدى جامعات تكساس لدراسة القانون، وبدأ حياة مضطربة. وبعد ذلك ترك جورج دبليو منزل الأسرة لدراسة المال والأعمال بجامعة هارفارد، وخلال تلك الفترة صدرت دراسات تؤكد أن أعلى الوظائف أجراً هي في مجال البترول، فعاد جورج دبليو إلى تكساس بعد التخرج.

وفي العام 1977، تعرف جورج دبليو على لورا وتزوجها، ووضع أصدقاء بوش ومعارفه آمالاً عريضة على لورا، التي كانت تعمل كمكتبية، لتنظيم حياة جورج دبليو الذي كانت تعرف شقته بأنها "ملقى النفايات السامة"، إشارة إلى ما يحتسى فيها من خمور، وغير ذلك.

وفي سن الحادية والثلاثين، قرر جورج دبليو ترشيح نفسه للكونغرس ضد الديموقراطي كينت هانس، الذي صور جورج دبليو، خلال سباق الانتخابات، على أنه شخص غير أخلاقي وغير متدين، خاصة بعد أن نشر أصدقاء جورج دبليو إعلاناً يدعو لحضور مظاهرة مساندة له توزع فيها بيرة مجانية.

وخسر جورج دبليو الانتخابات، ولكنه "لم ينس الدرس" كما يقول المؤلف.

وعاد إلى مجال النفط، وظل يحفر آباراً خاوية حتى وصل سن الأربعين تقريباً، وهو في عداد الفاشلين، ثم بدأ تحولاً كبيراً يطرأ على حياته.

ولادة دبليو بوش من جديد وسنوات التحول

يقول ستيفن مانسفيلد أن التغير في شخصية بوش بدأ خلال اجتماع عقد عام 1984 في إحدى كنائس ميدلاند مع القس أرثر بليسيت، الذي كان يجوب العالم حاملاً الصليب للدعوة إلى المسيحية.

وحضر الآلاف من أهالي ميدلاند محاضرة بليسيت، وبعد المحاضرة طلب جورج دبليو لقاء بليسيت. وخلال اللقاء، وضح لجورج دبليو أنه غير متأكد من موقفه من المسيحية، ولكنه مع

نهاية اللقاء شعر بالرغبة في التوبة، وطلب من بليسيت الدعاء له.

وسرعان ما بدأ جورج دبليو في قراءة الإنجيل والصلاة يومياً، وفي المشاركة بحلقة لدراسة الإنجيل مع بعض أصدقائه. ثم توقف عن شرب الخمور، وبدأ الجميع يرون تحولاً في حياة بوش على نحو أكثر جدية.

في تلك الفترة، كان جورج دبليو مازال يعمل في مجال استكشاف النفط، واحتلت شركته أربوستو عام 1983 المرتبة رقم 993 بين شركات إنتاج النفط بولاية تكساس.

وعام 1984 اتحدت أربوستو مع شركة أخرى هي سبكتروم 7، ولكن الشركة الجديدة لم تسر بشكل جيد، وعام 1986 اشترت شركة هاركين إنرجي شركة سبكتروم 7، وأعطت جورج دبليو راتباً قدره 120 ألف دولار سنوياً، وأسهم بمقدار نصف مليون دولار، الأمر الذي دفع بعضهم إلى القول إن هاركين إنرجي سعت لتوظيف بوش من أجل اسمه، لكونه أحد أبناء نائب الرئيس.

وعام 1988، انتقل جورج دبليو إلى واشنطن لمساعدة والده في حملته الرئاسية، وهناك اكتسب خبرة واسعة، وساعد أباه في التواصل مع الجماعات المسيحية المتدينة، لكونه أحد أعضائها، وذلك خلال فترة شهدت صراعاً سياسياً كبيراً على اجتذاب أصوات اليمين الأميركي المتدين الصاعدة سياسياً.

وبعد فوز بوش الأب بفترة رئاسته الأولى، عاد جورج دبليو إلى تكساس، وقام بشراء وإدارة أعمال فريق بيسبول محلي معروف. وعام 1993 قرر جورج دبليو ومساعده كارل روف خوض انتخابات حاكم ولاية تكساس، وهو قرار عارضه فيه الجميع، خوفاً من وقوع انتكاسة إضافية للأسرة بعد خسارة بوش الأب أمام بيل كلينتون عام 1992، ولكن جورج دبليو أصر على خوض الانتخابات التي فاز فيها.

ويقول المؤلف إن الدين لعب دوراً كبيراً في تمييز حملة جورج دبليو عن منافسته الديموقراطية "آن ريتشاردز"، التي حاولت تصوير جورج دبليو على أنه شاب سليل عائلة ثرية ومستهتر، ما دفع جورج دبليو إلى إضفاء طابع ديني قوي على حملته في مواجهة انتقادات منافسته الديموقراطية.

الله دعاني لترشيح نفسي لرئاسة لأميركا

يقول ستيفن مانسفيلد إن فكرة ترشيح جورج دبليو نفسه للرئاسة جاءته أول مرة خلال حضوره صلاة بإحدى كنائس تكساس، وكان القس مارك كرايج يتحدث في تلك الصلاة

عن قصة موسى (عليه السلام)، ويقول إن موسى "تردد بعض الشيء في قبول دعوة الله له لقيادة الناس"، في حين أن الناس في أشد الاشتياق لقيادة تمتلك رؤية وشجاعة أخلاقية.

خلال الصلاة، شعر جورج دبليو بأن الدعوة كانت موجهة إليه، وذلك قبل أن تلتفت إليه أمه الجالسة بجواره وتقول له إن القس "كان يتحدث لك"، وبعد فترة قصيرة اتصل جورج دبليو بالقس جيمس روبيسون، وقال له "لقد سمعت الدعوة، أعتقد أن الله يريدني أن أرشح نفسي للرئاسة".

كما أشار ستيفن مانسفيلد إلى أن التدين في إدارة جورج دبليو لم يقتصر عليه، فكونداليزا رايس رئيسة مجلس الأمن القومي، على سبيل المثال، هي ابنة قس، وجون أشكروفت وزير العدل هو عضو نشط بجماعة دينية معروفة، وإندرو كارد كبير موظفي البيت الأبيض متزوج من سيدة دين، ووزير التجارة دون إيفانز كان زميل بوش في حلقة لدراسة الإنجيل بتكساس.

كما تحرص إدارة جورج دبليو على الصلاة يومياً بالبيت الأبيض، ويحرص جورج دبليو نفسه على قراءة الإنجيل وتدارسه كل يوم، وعلى عدم ترك الصلاة حتى وهو مسافر على متن طائرته الخاصة.

كما تميزت سياسته بطابع ديني واضح، سواء في مجال التعبير عن عقائده الدينية بشكل علني، أو في ما يتعلق بوضع قوانين تسمح للجماعات الخيرية الدينية بالتنافس على المنح الحكومية المقدمة في مجالات عملها.

11 سبتمبر وموقف جورج دبليو من الإسلام

يقول ستيفن مانسفيلد إن عبارات جورج دبليو عن الإسلام، خاصة في ما يتعلق بوصفه للإسلام على أنه "دين سلام"، خلال زيارة جورج دبليو للمركز الإسلامي بواشنطن في 17 سبتمبر 2001، أثارت عاصفة من النقد في أوساط اليمين المتدين، إلى حد قول أحد رجال الدين "يمكننا أن نتحمل 9/11، ولكن لا يمكننا أن نتحمل 9/17". كما انتقد اليمين المتدين موقف جورج دبليو من المسلمين الأميركيين بعد أن مدحهم والتقى قادتهم.

كما وقف قادة اليمين المتدين موقفاً أكثر تشدداً تجاه الإسلام والمسلمين بعد أحداث سبتمبر/ أيلول عبر عنه فرانكلين غرام، الذي ألقى دعاء افتتاح حفل تنصيب جورج دبليو، وهو أيضاً ابن القس بيلي غرام، وذلك خلال مقابلة أجرتها معه قناة NBC الأميركية في 16 نوفمبر/ تشرين الثاني 2001، إذ قال "لا أعتقد أن هذا (الإسلام) دين رائع ومسالم.. عندما

تقرأ القرآن فإنه يدعو لقتل الكفار وغير المسلمين.. من قاموا بالطيران في أبنية ليسوا طائفة مسيحية (ما). الهجوم كان على بلدنا من قبل أعضاء بالديانة الإسلامية".

مخاوف وآمال اليمين الأميركي المتدين

في الخاتمة، يرى ستيفن مانسفيلد أن اليمين الأميركي المتدين يواجه راهناً ثلاثة تحديات أساسية، وهي:

أولاً: تحدي تقديم حلول أخلاقية لأكبر عدد من مشاكل المجتمع والسياسة في أميركا.

ثانياً: مواجهة أثر التغير السكاني بفعل الهجرات، وتأثيره على خريطة الأديان في أميركا.

ثالثاً: مواجهة التحدي العقائدي الخارجي الذي مثلته القاعدة بعد أحداث سبتمبر/ أيلول 2001.

ويرى مانسفيلد أن الآباء المؤسسين لأميركا كانوا متدينين، ولم ينادوا بالفصل الراهن بين السياسة والدين في الولايات المتحدة، إذ قدم بعضهم دعماً حكومياً للحملات التبشيرية وسط الهنود الحمر، وقاموا بطبع الإنجيل على نفقة الدولة، كما استخدمت المباني الحكومية كنائس يوم الأحد.

ولكن بعد قرن واحد من تأسيس أميركا، بدأ يحدث تغيير واسع في اتجاه معاكس لسببين، أولهما موجات الهجرة بعد الحرب الأهلية الأميركية التي أتت بجماعات دينية متعددة، وثانيهما قرارات المحكمة العليا الأميركية التي سعت لحماية العبيد المحررين من خلال تطبيق قوانين فصل الدين عن الدولة على مستوى الولايات الأميركية المختلفة.

ومع تغير القوانين تغيرت الثقافة السياسية الأميركية، وحرص رجال السياسة على فصل معتقداتهم عن حياتهم العامة والعملية فور وصولهم إلى الحكم.

وفي العقود الأخيرة، ومنذ ولاية جيمي كارتر للحكم على وجه التحديد، الذي كان متديناً وحريصاً على التدريس بالكنيسة خلال فترة رئاسته، بدأ يحدث تحول في اتجاه ضخ التدين في الحياة السياسية الأميركية، وتبع كارتر رونالد ريغان وبيل كلينتون إلى حد ما، خاصة مع صعود قوى اليمين الأميركي المتدين سياسياً.

ومع مجيء جورج دبليو بوش إلى الحكم في أوائل العام 2001، عقد اليمين المتدين آمالاً واسعة عليه زادت بعد أحداث سبتمبر/ أيلول 2001.

بوش تحت المجهر: الرئيس على أريكة التحليل النفسي

د. جوستن فرانك

لم يتعرض رئيس أميركي لمثل ما تعرض له الرئيس بوش الابن من انتقادات لسياساته وأدائه وتصرفاته، بل وصل الأمر إلى صدور مجموعة من الكتب تخصصت في تحليل شخصية الرئيس جورج بوش، من منظور التحليل النفسي. ومن أشهرها حتى الآن كتاب: "بوش على أريكة التحليل النفسي"، وهي الترجمة العربية الأقرب لعنوان الكتاب: Bush on the Couch. والمقصود بالأريكة Couch السرير، أو الكنبة المنجّدة التي يستلقي عليها المريض الخاضع للتحليل النفسي. ومؤلف الكتاب هو فرانك جوستين، وهو بروفيسور الطب النفسي في جامعة جورج واشنطن، وهو أيضاً يُدرّس التحليل النفسي في معهد واشنطن، ويمتلك خبرة ثلاثين سنة في مجاله، ويكتب ويحاضر، على نحو واسع، عن التحليل النفسي والسياسة. حاصل على عدد وافر من جوائز التعليم. وعندما صدر كتابه هذا أثار جدلاً واسعاً في وسط الطيف السياسي، وحقق مبيعات فاقت التوقعات داخل الولايات المتحدة الأميركية، وفي أنحاء أوروبا!

تنطلق فكرة الكتاب، كما كتب مؤلفه: "لو أن أحداً من مرضاي كرّر أمامي أشياء، وفعل أشياء أخرى، لكنت أردت أن أعرف لماذا يفعل ذلك. وقلقي سوف يتزايد إذا ما اكتشفت أنه اعتاد استعمال كلمات تخفي معانيها الحقيقية، وتؤثر في شخصيته، وتحجب جوهر أفعاله. أما إذا أبدى هذا المريض وجهة نظر متعالية ومتصلّبة تتصف بتمييز مبالغ في تبسيطه بين الصواب والخطأ، الخير والشر، الحلفاء والأعداء، فسوف أتساءل عن قدرته على إدراك الحقيقة بشكل عام. أما إذا كشفت أفعاله عن لامبالاة غير مكترثة، وحتى سادية، تجاه المعاناة الإنسانية مغلّفة بادعاءات ورعة من العطف، عندها سأقلق على أمن الناس الذين تتعلق أرواحهم به. وقد لاحظت فعلاً على امتداد... الأعوام الماضية، بقلق متزايد، صفات التنصّل وعدم الثبات والإنكار عند فرد كهذا، لكنه ليس أحد مرضاي. إنه رئيسنا.."!

يغوص المؤلف في قرارة نفسية بوش، أو قل عقليته النفسية، مستخدماً مبادئ التحليل النفسي، وطرائقه، لتحليل شخصية "أقوى رجل في العالم"، متبعاً نظرية عالمة النفس الشهيرة ميلاني كلاين (1882 - 1960)، التي ابتكرت منهج تقصي تكوين الشخصية منذ الولادة، وخاصة في مرحلة العلاقة بين الطفل الرضيع وأمه، أي ما قبل المرحلة الأوديبية، وهي المرحلة التي ينشأ فيها: "عصاب الهجر"، الذي يرتبط، حسب تفسير التحليل النفسي: بحالة أساسية من فقدان الأمان العاطفي. الذي ينعكس بحاجة لا محدودة إلى الحب بحثاً عن الطمأنينة

المفقودة التي تتخذ من اندماج الطفل البدائي بأمه نموذجاً أولياً لها. وقد لا يتطابق هذه العصاب مع هجر فعلي من قبل الأم. هو قد يرتبط بموقف عاطفي نابذ من قبل الأم. ومن تجليات عصاب الهجر، التي لا تظهر إلا في سياق التحليل، القلق والعدوانية وانعدام القيمة الذاتية، وغيرها من العوارض المؤدية لاضطراب الأنا. وإذا كان التحليل يقصر فترة تكون عصاب الهجر على المرحلة ما قبل الأوديبية، فإن ذلك لا ينفي إمكانيات تكونه لاحقاً، عبر بدلاء الأم، أو من خلال مواقف النبذ في فترات حياتية لاحقة، حيث تتحول مواقف النبذ من أشكالها البدائية إلى أشكال أكثر تطوراً وتعقيداً.." على حد تعبير الدكتور محمد أحمد النابلسي.

قام الدكتور جوستين فرانك بتقصي تطور شخصية بوش دبليو من طفولته إلى أن أصبح رئيساً، متوقفاً عند مؤثرات طبيعة العلاقة مع أمه وأبيه. من خلال القراءة التحليلية لسيرة العائلة البوشية، ولشخصية الأم بربارة بوش على نحو خاص، بما هي شخصية استبدادية باردة عاطفياً، في لا حضور أب غائب في أكثر الأوقات. علاقته معه متجاذبة بين الحب والكراهية، وحيث تُقدح مركبات العقدة، ومزيج المشاعر الخطرة، اضطرابات التلهف، التنافس، الغضب، والسادية.

هناك عثر فرانك جوستين في طفولة بوش على جذور الانشطار النفسي الدراماتيكي لديه، الذي لايزال تأثيره مهيمناً على نظرته للحياة/ العالم.

درس الدكتور جوستين أرشيفاً ضخماً من الكتابات عن الرئيس، من طرف مؤلفين على معرفة جيدة به، وطالع كمية من الوثائق الرسمية، وشاهد مجموعة أفلام مصورة يظهر فيها بوش الابن، في مناسبات عائلية خاصة عديدة، واجتماعات عامة، علاوة على ما سجلتها تلك الأفلام من شهادت مختلفة عن شخصية بوش الابن، من طرف عدد من أقاربه، وأصدقائه المقربين!

يقدم تحليل حالة بوش (دون أن يكون مستلقياً شخصياً على الأريكة بالضرورة) تشخيصاً نفسانياً مقلقاً عن صحته النفسية، إذ يكشف عن إصابته بالحصر النفسي (القلق الاضطرابي)، الذي يعبر عن نفسه لغوياً: في خطبه وتصريحاته، وسلوكياً: في أدائه أمام الملأ، فيظهر عليه اضطراب النشاط، الذي يتستر وراء نشاط مفرط على نحو مرضي، تصاحبه اضطرابات في القدرة على التركيز والتحكم في الأفعال، واضطرابات في القدرة على التمييز بين الواقع والخيال، محمولة على الشعور بجنون العظمة. وهنا يتوقف الدكتور جوستين، على سبيل المثال، عند مزاجه النفسي المتعجرف بعد نجاحه في انتخابات 2004،

حيث ادعى بوش الصغير أن إرادة الشعب تدعمه، مما يعفيه من الاهتمام لمنتقديه، ويعطيه كرئيس حرية التصرف كما يشاء!

الدكتور جوستين فرانك يجادل أن هذا الانشطار النفسي يُعوق مقدرة بوش على السيطرة على انفعالاته، ويشحن نفسه بقلق مضطرب، ويجعله يرى العالم من منظور الأبيض والأسود. وهو المنظور الذي يُشكل جوهر المواقف السياسية للإدارة البوشية، كما ظهر ذلك في طريقة التعامل مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. ومن الواضح، حسب تحليل الأريكة، أن بوش تلقى أحداث 11 سبتمبر وكأنها رؤيا تلمودية كارثية، وهو ما يتوافق مع شعوره الخرافي باتصاله المباشر بالقدرة الكلية (أليس هو كليم الرب؟!)، وهو شعور دفين في طفولته، نماه، أو قل استثمره بانتمائه، في سن الأربعين، للأصولية المسيحية المتصهينة. وكأنه وجد، في طريقة تعميدها المعروفة بـ Born-Again Christian (مولوداً مسيحياً من جديد)، معادلاً موضوعياً، للتخلص من الوالدين البايلوجيين، بالولادة من جديد لأب كلي القدرة {أليس هو كليم الرب}؟!

يدرس المؤلف المحلل النوادر المتزايدة عن أغلاطه اللسانية، التي تبرهن أن بوش قد يكون يعاني من مرض الديسليكسيا (صعوبة القراءة) واختلالات في التفكير، ويرى في حياته المرفهة خارج القانون (بانتمائه لطبقة فوق القانون) معكوس تحديه السياسي للقانون الدولي أثناء رئاسته، كما في جرأته على انتهاك القوانين العسكرية، وتزوير وضعيته في التجنيد العسكري. ويتحدث عن صلابة بوش، وأنماط تفكيره التبسيطي، وجنون العظمة.. التي تقوده لاختلاق خصوم وأعداء كي يستطيع أن يدمرهم.

بوش على أريكة التحليل النفساني يلقى الضوء، بطريقة مدهشة، على سجل أعمال الإدارة الوحشية (الحروب ؟؟؟) باعتبارها مرتبطة، أو خاضعة، أو انعكاساً لشخصية الرجل الذي يقودها، بنفاذ بصيرة، وبذهن منفتح جريء ومثير للجدل، أو جدلي، يُمسك أو يقبض على السؤال الذي يبدو ألا أحد يرغب في طرحه، وهو: هل رئيسنا لائق نفسانياً (من حيث الصحة النفسية) لحكم البلاد.

من انتخابات 2000 المتخاصم عليها مثيرة للجدل النزاع إلى 11 سبتمبر. من الحرب في العراق إلى الحرب على الإرهاب داخل أميركا وخارجها. ليظهر بوش الرئيس الأكثر إثارة للخلاف في تاريخ الولايات المتحدة.

بوش على أريكة التحليل النفسي: يشرِّح بدقة نفسية بوش، ويُخرج معطيات صادمة عن دماغ عقل قائد العالم الحر: المبالغة في الولع بالقتال والحرب. التوعد اللفظي (شجاعة لفظية)..

تشويه الحقائق.. التدين المتكلّف.. الممارسة النمطية.. أعراض العيّ اللساني dyslexia.. النشاط المفرط على نحو مرضي.. ممارسة القسوة، في صباه، ضد الحيوانات ورفاق المدرسة. وإليها: الآثار النفسية لمشكلة إدمانه الكحول. فحتى وإنْ توقف عن تعاطيه عضوياً، فهو لم يعالج منه نفسياً، ويحاول أن يخفي المشكلة باتباع نظام حياة روتيني صارم لطرد القلق وتهدئة الانفعالات!

والخلاصة وجد المحلل - المؤلف، بعد التشخيص، أن بوش مصاب بانجراحات نفسية عميقة خلقت لديه أوهام اضطهاد تتوسل الشعور بالعظمة آلية دفاعية، وتتوهم الاتصال بـ، وربما امتلاك قوة كلية القدرة. نجدها مشخّصة في رؤية مناويّة (ثنويّة) تبسيطية للحياة والعالم: أسود وأبيض، شر وخير، وميل إلى إنكار الحقائق، يقابله ميل إلى الاستعراض. والإجحاف بحقوق الآخرين، ولا مبالاة بآلامهم.

والنتيجة أمامنا رجل - رئيس مضطرب نفسياً. تنقصه وثبة قصيرة، ويصبح مجنوناً تماماً، وهو ليس أي رجل، إنه جورج دبليو بوش، والأكثر ترويعاً في ذلك أن شبه جنونه near-madness، في وضعية شخص في مركزه، سبّب ويسبّب في إيذاء وتدمير حياة ملايين الناس، لاسيما في العراق، وقد يؤدي إلى إيذاء وتدمير حياة ملايين جدد أكثر ممن آذاهم حتى الآن!

.. ويبقى العلاج الوحيد لحالته هو إزاحته من مكتبه البيضاوي. ومن حسن الحظ أنه ليس رئيساً إلى الأبد، كما الحال عندنا. فقد بقي له عام واحد ويختفي من المسرح السياسي، لكن الخوف أن يرتكب كارثة كونية جديدة في ما تبقى له من مدة!

مأساة بوش THE BUSH TRAGEDY

الكاتب جاكوب واينزيرغ Jacob Weisberg

قبل وقت طويل من بدء غزو العراق في مارس عام 2003، ارتفعت أصوات عدد من الساسة المحنكين الذين أعربوا عن معارضتهم تلك الحرب، وكان من بين المعارضين "برنت سكوكروفت" مستشار الأمن القومي السابق في حكومة الرئيس "جورج دبليو بوش الأب"، الرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة.

وشرح "سكوكروفت" وجهات نظره ضمن مقالة بعنوان "لا تهاجم صدام حسين" نشرتها صحيفة "وول ستريت جورنال" يوم الخامس عشر من أيلول/ سبتمبر عام 2002.

ونظراً لأن "سكوكروفت" كان مقرباً من الرئيس الحادي والأربعين إلى حد كبير، اعتُبرت تلك المقالة على نطاق واسع كما يقول جاكوب واينزيرغ Jacob Weisberg

The Bush Tragedy إنها طريقة الاتصال الوحيدة بين الأب الذي يشعر بالقلق الشديد وابنه المولع بالقتال. لكن هذا الابن رد على "سكوكروفت" ليس باعتباره في مقام عمه، ولكن باعتباره بديلاً مملاً لوالده، فقال: لقد صار "سكوكروفت" مزعجاً للغاية حينما أصبح مسناً.

بوش الابن عكس بوش الأب

ويعرب "جاكوب واينزبرغ" مؤلف الكتاب عن اعتقاده بأن الرئيس بوش دخل عالم السياسات القومية، وهو مصمم على أن يصبح عكس والده، الذي اعتبره رئيساً ضعيفاً أخطأ حينما أبقى صدام حسين في سدة الحكم، وحينما لم يتخذ موقفاً متحدياً إزاء الصين، ولعدم تباهيه على الملأ بانتصار أميركا في الحرب البادرة.

ويضيف المؤلف أن المحافظين الجدد، الذين ازدراهم الرئيس بوش الأب، ونأى بنفسه عنهم، وفروا للرئيس الابن أسباباً وحججاً مقنعة لانتقاد سياسات أبيه الخارجية، وقدموا له البديل.

وأضاف "وايزنبرغ" أن غطرسة هؤلاء المحافظين الجدد دفعتهم إلى تجاهل حقائق التاريخ، والتشكيلة الدينية للشعب العراقي.

ويستطرد المؤلف فيقول إن بعض المحللين المعنيين بالتاريخ كانوا يعتقدون أن كل المجتمعات سوف تتبنى الديموقراطية حينما تتحرر من الاضطهاد. وكان الرئيس بوش والمحافظون الجدد يتحدثون كثيراً عن النماذج التاريخية، لكنهم كانوا يركزون على القياس، أو النموذج الخاطئ، مثل نجاح عملية إعادة إعمار اليابان وألمانيا، وإرساء الديموقراطية فيهما في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وكذلك الثورة التي اندلعت في أوروبا الشرقية عام 1989.

بوش والمحافظون الجدد لا يعرفون شيئاً عن العراق

لقد شعر ثلاثة من المنفيين العراقيين بالصدمة حينما التقى بهم الرئيس بوش عشية الحرب في بداية عام 2003 لاطلاعه على الشأن العراقي، واكتشفوا أنه لا يعرف الفرق بين السنة والشيعة.

ويتساءل المؤلف: كيف فات الرئيس بوش وهؤلاء المحافظون أن يدركوا أمراً جلياً، وهو أن الإطاحة بصدام حسين من شأنها تمكين إيران؟ ويجيب المؤلف أن إيمانهم بإمكانية تحقيق عملية التحول إلى الديموقراطية، ورفضهم بعناد الحقائق الخاصة بتوازن القوى في السياسة الخارجية أفقدهم البصيرة على ما يبدو، وأشار إلى أن "برنت سكوكروفت" حذر في وقت ما

من خطر تقوية شوكة إيران، لكن آذان الرئيس بوش كانت صماء.

وبعد خمسة أعوام من بدء الحرب في العراق، ما زلنا لا نعرف الكثير: كيف ولماذا ومتى ومن كانوا حاضرين وقت اتخاذ واحد من أهم، وربما من أسوأ، القرارات في التاريخ الأميركي الحديث. كما أننا لا نعلم شيئاً بالتأكيد عن صلة تلك الحرب بالعلاقة المعقدة بين رئيسين، أب وابنه، دخل كلاهما حرباً ضد صدام حسين.

وقد لا نعرف أبداً إلى أي مدي يدرك الرئيس بوش، الذي يصف نفسه بأنه "صاحب القرارات"، إنه على العكس تماماً من والده الحذر والمتروي في اتخاذ القرارات، والمؤمن بسياسة التعاون بين الدول.

لكن كتاب The Bush Tragedy محاولة جادة للتغلغل في ما قد يكون دراما عائلية غير عادية. كما أن الكتاب مبني في جانب منه على تحليل تقارير نُشرت بالفعل، وفي جانب آخر على أمور جديرة بالملاحظة، ولكنها في الغالب لم توردها التقارير.

وبالجمع بين تاريخ بوش الشخصي، وعلاقته بعائلته، وإيمانه الشخصي، وأسرته البديلة في البيت الأبيض، يخلص المؤلف Weisberg إلى أن قرار غزو العراق نجم عن ميل ونزوع إلى تبرئة عائلته، والدفاع عنها، والتفوق على والده عن طريق إنجاز المهمة التي لم يكملها والده حينما سمح بوش الأب لصدام حسين بالبقاء في موقع السلطة بعد انتهاء حرب الخليج الأولى.

وربما يصبح من المعقول أن يكون لعلاقة الأب بالابن والتفاعل بينهما دوراً محورياً في عملية صنع القرار، ولكن هنالك كثيرين دعموا قرار غزو العراق، وأيدوه من خارج عائلة بوش استناداً إلى المعلومات التي أبلغت لهم بأن "صدام" يشكل تهديداً.

وفي الواقع، كان Weisberg نفسه واحداً من هؤلاء الذين يُطلق عليهم اسم "الصقور الليبراليون"، وكان من المؤيدين للحرب الذين سلموا بأن المنطق الكامن وراء غزو العراق متماسك إلى حد كبير.

يقول المؤلف إنه يعتقد أن من بين العوامل التي دفعت الرئيس بوش إلى شن الحرب رغبته في الانتقام لمحاولة اغتيال والده قبل سنوات أثناء زيارته الكويت، لكنه سلم بأن هذا العامل ليس رئيسياً، خاصة وأنه لم يتوفر أي دليل على ضلوع العراق في المؤامرة، أو على وجود مخطط للاغتيال على الإطلاق، كما أن الجيش الأميركي لم يعثر على أي ملفات حول تلك المؤامرة المزعومة في ملفات مخابرات صدام حسين بعد الغزو.

وكتابThe Bush Tragedy في حقيقته عبارة عن صورة معيبة لرئيس ورئاسة استناداً إلى عملية تحليل نفسية عميقة.

ولكن المؤلف Weisberg، وهو رئيس تحرير مجلة Slate، التي تصدر يومياً على شبكة الإنترنت، وتملكها شركة "الواشنطن بوست"، كاتب موهوب، ومحلل سياسي بارع، ولكنه ليس محللاً نفسياً، ومن المؤكد أن المدافعين عن الرئيس سيتهمونه بأنه لا يعي ما يقول.

كما يؤكد المؤلف في مواضع كثيرة من كتابه على أن مسألة الأسلحة غير المشروعة لم تكن أبداً السبب الحقيقي لخوض الحرب.

لقد كان القرار خاطئاً لسبب بسيط هو أن المبرر لقيامها، وهو وجود ترسانة من أسلحة الدمار الشامل لدى صدام حسين لم يكن صائباً، كما ثبت زيف المبرر الآخر، وهو صلة صدام بهجمات الحادي عشر من سبتمبر.

لا يمكن تبرير غزو العراق

ويضيف المؤلف أن كلفة الحرب المالية والبشرية لا يمكن تبريرها حتى لو انتهج العراق الديموقراطية على المدى البعيد، ولكن قد يكون من الممكن تبرير أمور كثيرة إذا تحول الشرق الأوسط بأسره إلى تبني الديموقراطية، وهو أمر يرى الكاتب أنه غير وارد في المستقبل المنظور.

ويقول "واينزبرغ" إن قرار غزو العراق سيُنظر إليه على الأرجح باعتباره قراراً خاطئاً، بغض النظر عما سيكون عليه حال تلك الدولة في المستقبل.

في الفصل الأول من كتاب The Bush Tragedy، تناول المؤلف كفاح الابن ليصبح مثل أبيه إلى أن بلغ الأربعين من عمره، وفي الفصل الثاني يتناول نجاحه المتنامي طيلة السنوات الخمس عشرة التالية بعد أن تعلم كيف يصبح مختلفاً.

أما الفصل الثالث والأخير فيتناول البحث الأخرق عن أسلوب متميز للتعاطي مع الشؤون الدولية.

ويقول المؤلف Weisberg إن ما يثير السخرية من المغامرة الكارثية المتعلقة بدخول العراق هي أنها أثبتت صحة خيارات والده، خاصة قرارات بوش الأب في عامي 1990 و1991 الخاصة بإجبار صدام على سحب قواته من الكويت المجاورة، وعدم الإطاحة به خشية تفجير صراع عنيف على السلطة بين الأكراد والسنة والشيعة، وهو ما حدث بالفعل منذ الغزو الأميركي للعراق عام 2003. وهكذا أصبح ما اعتبر فشلاً من جانب الرئيس الأميركي الحادي والأربعين لإتمام "المهمة" في العراق، تصرفاً حكيماً الآن من جانب رئيس يقدر قيمة الحفاظ على الاستقرار.

وهكذا، فقد انتهي الحال بالابن الذي أراد اعترافاً من والديه بأنه، وليس شقيقه "JEB"، هو الابن المتميز الذي حاول الدفاع عن عائلته من خلال التنكر لسياسات أبيه بأن قام بعكس ما كان ينوي فعله.

ومن الأمور الأخرى الملفتة لنظر من يقرأ هذا الكتاب هو أن الرؤساء الحاليين يبدون كأهداف متحركة، وأنه من الممكن أن تتغير مجريات الأحداث بمجرد الانتهاء من كتابته.

ويترك الكاتب لنفسه مجالاً كي يصل إلى هدفه، فيقول إن من الحماقة الرد على ثقة بوش المفرطة من خلال الحكم عليه بالفشل، فعامل الوقت، ومن يجيئون من بعده، يمكن أن يعتبروا العراق "أقل من كارثة".

فالأمور في العراق تبدو الآن أفضل من وجهة النظر العسكرية على الأقل، وأن تحسن الأوضاع يمكن أن يصل بالأمور إلى مزيد من الإيجابية التي لا يمكن للمنتقدين أن يتصوروها قبل بضعة شهور.

وعلى صعيد آخر، ومهما تحولت الأوضاع في العراق، فإن ذلك لن يغير من الطريقة التي تم بها إقناع البلاد بخوض الحرب بدعاوى كاذبة وملفقة على أساس معلومات استخباراتية زائفة.

كما أن تحول الأوضاع لن يغير من طريقة إدارة الحرب، التي لم تتسم بالكفاءة، ولا الفعالية، علاوة على الكلفة الباهظة في الأرواح والأموال والمكانة الدولية.

والكتاب عبارة عن اتهام قاس ليس فقط لشخص الرئيس، ولكن أيضاً لأفراد عائلته، ولنائبه "ديك تشيني"، وكبير مستشاريه السياسيين "كارل روف".

ولم يصور المؤلف الرئيس بوش على أنه دمية بين يدي "ديك تشيني"، حتى في ما يتصل بالعراق، على الرغم من أنه أكد على نائب الرئيس يدرك حاجة بوش ليصبح على النقيض من والده. ويرى Weisberg أن خطيئة "تشيني" تتمثل في دفعه الرئيس صوب مطالبات غير محدودة بمزيد من السلطات التنفيذية والامتيازات.

وبالنسبة لـ"روف"، كبير مستشاري الرئيس بوش السياسيين، يقول المؤلف إنه وضع ختماً سياسياً لا يُمحى على الحرب ضد الإرهاب، حينما اعتبر هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر الإرهابية فرصة لإبقاء الحزب الجمهوري في السلطة لسنوات عديدة، وكان تسييس تلك الحرب من أفدح أخطائه.

ولم يورد كتاب The Bush Tragedy أن العلاقة بين الأب والابن كانت العامل الوحيد في قرارات الرئيس بوش الخاصة بالعراق، فقد أورد الكتاب الأثر الفكري لباحثين في شؤون

الشرق الأوسط، مثل "برنارد لويس"، و"فؤاد عجمي"، ونظريات المؤامرة للكاتبة LAURIE MYLORIE، التي ربطت بين هجمات سبتمبر وصدام حسين، وتقديرات "مايكل غيرسون" كاتب الخطب الرئاسية، والذي يكتب حالياً عموداً يومياً في صحيفة البوست، وهو الذي روج أكثر من أي شخص آخر لفكرة أن العناية السماوية ترعى الرئيس.

كما يذكرنا الكتاب بهجمات الجمرة الخبيثة التي وقعت بعد هجمات سبتمبر، ولاتزال لغزاً حتى الآن، والأثر الذي خلفته على الإدارة التي اعتبرتها مقدمة لهجوم إرهابي بيولوجي رئيسي.

وقد بلغ الأمر بالكاتب إلى حد القول إنه لولا هجمات الجمرة الخبيثة ما كان الرئيس بوش قد أمر بغزو العراق، ولكنه تخمين مبالغ فيه إلى حد كبير، كما أنه يناقض فحوى الكتاب. والأهم أن المنشور من وثائق ويكيليكس يؤكد أن خطة غزو العراق موضوعة قبل دخول بوش إلى البيت الأبيض، بما ينفي أية صلة للغزو بحوادث 11 سبتمبر، أو بحادثة الجمرة الخبيثة.

"في قلب العاصفة": السنوات التي قضيتها في السي آي إيه

جورج تنيت

يستعد العراق نهاية هذا العام (2011) لجلاء كامل تنفذه القوات الأميركية، منهية مرحلة من التواجد المثير في "قلب الشرق الأوسط"، وعقدة صراعاته السياسية والثقافية والبترولية. ورغم ذلك، فإن بغداد وواشنطن لم تمتلكا بعد صيغة نهائية لشكل العلاقة في مرحلة "ما بعد الجلاء". وفي إطار البحث عن "نهاية" غير متوافرة لقصة حرب غير منتهية بعد، في وسع العودة إلى "البدايات" أن تمثل منطلقاً لاستذكار نقدي نسترجع معه كيف كنا نفكر، وكيف كانوا يتوقعون، أن يكون عليه وضع العراق والمنطقة مطلع القرن الحادي والعشرين. "العالم" وجدت في مذكرات رئيس المخابرات الأميركية السابق جورج تنيت صورة من مركز أساسي لصناعة القرار في واشنطن، ووثيقة تسجل النقاشات الحامية والسجال الذي دار تلك اللحظة بشأن خطة حرب العراق. ورغم أن صاحب المذكرات يحاول تبرئة نفسه من تهمة المساهمة في دفع الأمور نحو الحرب، إلا أن لغة الكتاب جعلته يشبه سلسلة مغامرات حربة بالمتابعة.

يتناول رئيس المخابرات السابق كيف صارت واشنطن تربط بين هجمات نيويورك ونظام صدام حسين، كما يتحدث عن سنة الاحتلال الأولى، حيث قضى المؤلف وقتاً طويلاً في

بغداد، يراقب وينسج خيوط ما ينبغي على واشنطن فعله، ما انتهى بتفكيك مؤسسات الدولة العراقية. ويحسب له أنه يكشف بقدر ما طبيعة الصراعات بين المؤسسات الأميركيةن وكيف يجري دفع ثمنها عبر المحيطات، وفي البلدان البعيدة.

لم يجر أي نقاش جاد أعرف به داخل الإدارة عن مقدار قرب التهديد العراقي. (في الواقع لم يكن الأمر يتعلق بالقرب وإنما بالعمل قبل صدام). ولم يثر أي بحث مهم أيضاً يتعلق بتعزيز الاحتواء، أو تكاليف مثل هذا النهج وفوائده، مقابل التخطيط الكامل لتغيير النظام علناً، أو سراً. وبدلاً من ذلك، بدا أن الولايات المتحدة لم تقم بما يكفي لوقف القاعدة قبل 9/11 ودفعت ثمناً باهظاً. لذا، كما مضى التعليل، لا يمكننا أن نسمح لأنفسنا بأن نكون في موقف مماثل في العراق.

غير أنه بدون 9/11، كشف التشكيك الذي استقبل به اقتراح باول عن "العقوبات الذكية" بجلاء الانقسام بين مؤيديه، ومن يعتقد أننا بحاجة إلى نهج أكثر قوة للضغط على صدام. ومع ذلك، لو لم تقع هجمات 9/11، لوجدت حاجة الذهاب إلى الحرب في العراق صعوبة أكبر دون شك. ولست على يقين مما إذا كان يمكن تقديم حجة أصلاً. لكن هجمات 11/ 9 وقعت، وتحولت الأرض معها.

المحافظون الجدد

كان لقائي الغريب بريتشارد بيرل صبيحة 12 سبتمبر الإشارة الأولى على ما سيلي. لم تكن تلك حادثة منعزلة، فقد تحدثت مع مسؤول عسكري كبير اتفق أنه كان في أوروبا عند وقوع هجمات 9/11. بعد جهد لتأمين رحلة العودة إلى الولايات المتحدة، تمكن من التوجه إلى القاعدة الأميركية في مايلدنهول بإنكلترا، حيث قابل مصادفة مسؤولاً كبيراً آخر عالقاً مؤقتاً، دوغلاس فيث. وقد ركبا على متن طائرة صهريج لسلاح الجو، وهي من الطائرات القليلة التي سمح لها بعبور المجال الجوي الأميركي المغلق. في أثناء الرحلة، أبلغ الضابط العسكري فيث بأن القاعدة هي المسؤولة عن هجمات اليوم السابق، وأنه يجب القيام بحملة واسعة ضدها بدءاً من أفغانستان. ومما أدهشه أن فيث تحدث عن أن الحملة يجب أن تقود إلى بغداد على الفور. وقد خالفه المسؤول العسكري الكبير بقوة. وفي أثناء الاجتماعات في كمب ديفيد في عطلة نهاية الأسبوع التي تلت الهجمات الإرهابية، ركز بول ولفويتز على وجه الخصوص على مسألة إدخال صدام في الرد الأميركي. وتحدث عن العراق في إطار الإرهاب فحسب، ولا أذكر أي ذكر لأسلحة الدمار الشامل. استمع الرئيس إلى آراء ولفويتز،

لكن بدا لي أنه استبعدها بسرعة. وكذلك أنا. ولم يبد رامسفيلد مستغرقاً في الصلة العراقية مثل نائبه، ولم يدل بدلوه في النقاش بأي طريقة ذات مغزى. وعندما أجري تصويت غير رسمي على إدخال العراق في خططنا للرد الفوري، صوت المديرون ضده بأربعة أصوات مقابل لا شيء، وامتنع رامسفيلد عن التصويت.

إنني واثق من أن وولفويتز كان يعتقد بصدق أن هنالك صلة بين 9/11 والعراق. وأنا على يقين أيضاً من أنه كان يمتلك شعوراً عميقاً بأن أول خطوة نحو تغيير وجه الشرق الأوسط نحو الأفضل تبدأ بتغيير القيادة في العراق. لكن لم يكن العراق يحظى بمكانة متقدمة في ذهني. وفي الأسابيع التي أعقبت 9/11، زدنا حجم مركز مكافحة الإرهاب في السي آي إيه أربعة اضعاف، وأجرينا تنقلات كبرى في العاملين والأموال، وأوقفنا العمليات وخفضناها في العديد من أنحاء العالم لدعم الهجوم الذي يشن على القاعدة. لم يكن ذلك لأننا نريد الانتقام من بن لادن. الأهم من ذلك هو وجود إشارات واضحة لا لبس فيها بأن الولايات المتحدة قد تتعرض لضربة ثانية، بل إشارات بأن الهجوم الثاني سيقزم هجمات 9/11 في عنفه وخسائره. ولو طلب مني أحد التوقف عن الاهتمام بالإرهاب في الأشهر التي تلت 11 أيلول/ سبتمبر، وبدء جمع المعلومات عن العراق بدلاً من ذلك، لحدقت فيه غير مصدق ما أسمع.

العراق إلى الواجهة

لاشك في أن عدداً من الأشخاص كان يضع العراق نصب عينيه، وأحدث عدد من القرارات والإجراءات المتخذة في أواخر خريف 2001 وأوائل سنة 2002 زخماً قائماً بنفسه. وأخبرني أحد كبار خبراء الشرق الأوسط في السي آي إيه مؤخراً عن اجتماع حضره في البيت الأبيض بعد بضعة أيام على 9/11. فقد أبلغه مسؤول كبير في مجلس الأمن القومي أن الإدارة تريد التخلص من صدام. وقال محللنا "إذا كنتم تريدون أن تلاحقوا ابن العاهرة لتسوية الحسابات معه، فعلى الرحب والسعة. لكن لا تقولوا لي إن له صلة بهجمات 9/11، أو بالإرهاب، إذ لا يوجد أي دليل يدعم ذلك. يجب أن يكون لديكم سبب أفضل".

تزايدت وتيرة الاجتماعات التي يعقدها موظفو مجلس الأمن القومي في غرفة الأوضاع في البيت الأبيض لبحث موضوع العراق. وأسمي العديد من الاجتماعات اجتماعات النواب، ويحضرها عادة الصف الثاني في قيادة مختلف الهيئات. وكانت اجتماعات أخرى تضم لجنة المديرين. وعلى الرغم من أنني حضرت بعض اجتماعات لجنة المديرين، فإنني غالباً ما كنت أعهد بالمهمة إلى نائبي جون مكلوغلن. وكانت اجتماعات النواب تشكل عبئاً عليه أصلاً.

لم يمض وقت طويل حتى بدأ موظفو مجلس الأمن القومي باستضافة سلسلة أخرى من الاجتماعات تضم ممثلين عن وزارتي الخارجية والدفاع ورؤساء الأركان المشتركة ومكتب نائب الرئيس. لم يكن لهذه الاجتماعات تسمية رسمية، لكنها كانت تدعى بصورة غير رسمية اجتماعات "المجموعة الصغيرة". كانت هذه الاجتماعات تعقد عادة مرتين في الأسبوع على الغداء، وكانت غير مثمرة بشكل محبط من وجهة نظر من يحضرونها. وبعد فترة، بدأ مكلوغلن يحضر معه محللين كباراً وضباط عمليات من السي آي إيه ليجلسوا في المقعد الخلفي. وبعد ذلك اقلع عن الحضور وطلب ممن يليه التقدم إلى المقعد الأمامي.

فرضيات ما بعد الحرب

عند الحديث الآن مع من كانوا يحضرون الاجتماعات، أخبرت بأن تلك الجلسات كانت تبدو غريبة عند النظر إلى الوراء. كانت تتم الإشارة دائماً إلى قرار رئاسي بالذهاب إلى الحرب في مجلس الأمن القومي بعبارات افتراضية، كما لو أنه لايزال معلقاً والمجتمعون يبحثون في الظروف الطارئة. وفي بعض الأحيان، كانت تدور مناقشات طويلة بشأن تفاصيل غامضة، مثل كم من الوقت يلزم بعد بدء الحرب لاستبدال العملة العراقية، وما الصورة التي يجب وضعها على الدينار؛ كانت العملة تحمل صورة صدام. ولم يستطع أحد أن يتذكر مناقشة أية مسألة مركزية في أي من تلك الاجتماعات. هل من الحكمة الذهاب إلى الحرب؟ هل هي العمل الصواب الذي نقوم به؟ كان جدول الأعمال يتركز فقط على الإجراءات التي يجب اتخاذها إذا اتخذ قرار الهجوم لاحقاً.

وما لم يحدث قط، حسبما أستطيع التأكيد، هو الدراسة الجادة لعواقب الغزو الأميركي. ما التأثير الذي يحدثه وجود قوة احتلال أميركية كبيرة في بلد عربي يقع في قلب الشرق الأوسط؟ ما نوع الاستراتيجية السياسية اللازمة لدفع المجتمع العراقي إلى الاندماج في عالم ما بعد صدام وزيادة فرص نجاحنا؟ كيف يمكن أن ينظر في إيران إلى تواجد مئات الآلاف من الجنود الأميركيين، واحتمال قيام حكومة مؤيدة للغرب في العراق؟ وما الذي يمكن أن تفعله إيران رداً على ذلك؟

في العودة إلى الوراء، يبدو أنه كان هنالك نقص في الفضول لطرح هذا النوع من الأسئلة، ونقص في العملية المنضبطة للحصول على الإجابات قبل إلزام البلد بالحرب. وفي نظرة استرجاعية، كان يجب علينا في أجهزة الاستخبارات عمل المزيد للإجابة عن تلك الأسئلة، مع أنها لم تطرح. وأخبرني أحد كبار المحللين في وقت لاحق أنه ساد انطباع بأن قضية "هل نذهب

إلى الحرب" قد قررت بالفعل في اجتماعات لم نحضرها، وأننا دعينا لنبحث "كيف سنذهب"، وبين الحين والآخر "كيف سنشرح الأمر للشعب".

لم يكن هنالك أي شك في النتيجة العسكرية، لكن لم يجر النظر كثيراً، على حد علمي، في الصورة الكبيرة لما يمكن أن يحدث بعد ذلك. كان بعض صناع السياسة متلهفين للقول بأننا سنلقى الترحاب كمحررين، لكنهم لم يذكروا أن مجتمع الاستخبارات أبلغهم أن مثل هذا الترحاب لن يدوم سوى فترة محدودة.

وأن الوضع يمكن أن يتدهور بسرعة ما لم نؤمن بيئة أمنة ومستقرة بسرعة. بالإضافة إلى اجتماعات "المجموعة الصغيرة" في البيت الأبيض، استضاف البنتاغون اجتماعات مماثلة يشار إليها باسم اجتماعات "المجموعة التوجيهية التنفيذية"، ويحضرها على العموم مسؤولو الطبقة الأولى دون الذين يحضرون اجتماعات "المجموعة الصغيرة". لكن التقارير التي كانت ترد إلى مقر قياد السي آي إيه كانت تفيد أيضاً بأن الاجتماعات تبدأ بالحديث عن الإجراءات التي يجب اتخاذها "إذا ذهبنا إلى الحرب"، وسرعان ما تنتقل إلى ما الذي يجب أن يحدث "عندما نذهب إلى الحرب"، دون التوقف في النقاش عند "هل نذهب إلى الحرب".

قراءات بوش وكتابه المفضلين

كارل روف

في واحدة من أروع المقالات بلا شك لهذا العام، كشف كارل روف عن أن صديقه الرئيس الأسبق جورج بوش قد يكون قرأ مئات الكتب خلال فترة رئاسته. وكان من بينها رواية «الغريب» لألبير كامو، ونقرأ في سطورها الافتتاحية التي لا يمكن أن تُنسى: «ماتت الأم اليوم، أو من المحتمل بالأمس، لا أعلم». وبعد قراءة العمود الصحافي الخاص بكارل روف بصحيفة «وول ستريت جورنال»، بات واضحاً أن ثمة كثيراً من الأمور التي لا نعلمها جميعا.

يعد اختيار بوش لرواية كامو الكلاسيكية أمراً غريباً من مظهره الخارجي. وهي رواية عن العزلة والكراهية، وتدور أحداثها عن ميورسول، وهو شخص فاقد المسؤولية الأخلاقية، وغير مكترث بالوازع الديني، كما أنه لا يبدو عليه أبداً أي نوع من أنواع العاطفة، أو الإحساس. وخرج هذا الكتاب خلال فترة تدخيني لسجائر غاولويز، وقرأته خلال فترة المطاردة العابثة للنساء النزاعات إلى قراءة الأعمال الأدبية، كما أنه ليس بالكتاب الذي قد أفكر أن رئيساً تخطى حاجز الستين سيقرأه. وربما يحدث هذا الأمر عندما يتعين عليك التخلي عن اتجاهك.

وفي عموده الصحافي، أوضح روف أن بوش قرأ 95 كتاباً في عام 2006 فقط. وفي عام 2007، قرأ 51 كتاباً، فيما قرأ 40 كتابا حتى نهاية الأسبوع الماضي من عام 2008. وتعتبر تلك الأرقام بالغة الدقة، نظراً إلى أن بوش تحدى روف منافساً إياه بشأن من يمكنه قراءة أكبر عدد من الكتب. ودائماً ما كان يربح روف، لكن بوش لديه عذر جاهز، إذ دائماً ما يقول إنه مشغول كونه «زعيم العالم الحر»، ومع ذلك فإن هذا ليس عذراً. فقد أخبرني دوايت ايزنهاور ذات مرة (إنني لا أرتب هذا)، فقد كان لديه متسع من الوقت خلال الرئاسة للرسم أكثر مما كان يفعل خلال فترة تقاعده.

ويروق لروف أنه كتب تعليقاً على رسم كاريكاتوري، قال فيه «عرفت جورج دبليو بوش وأنا في الـ35 من عمري، وكان دائماً ما يحتفظ بكتاب إلى جواره. وقد أكد على كونه رجلاً كبيراً من ميدلاند بولاية تكساس، وتخصص في التاريخ بجامعة يال، وتخرج في كلية إدارة الأعمال بجامعة هارفارد. ولا يمكنك العمل في المجالين ما لم تكن قارئاً».

وكما هو متوقع، تمثلت أغلب الكتب التي قرأها بوش في السير الذاتية، والتاريخ. وعادة ما كانت السير الذاتية عن رجال عظام غالباً ما أقدموا على أشياء لم تحظ بالقبول الشعبي، إلا أنه تم الدفاع عنهم وتأييدهم في نهاية الأمر. وبالنسبة للتاريخ، فقد كانت الكتب التي قرأها مفعمة ومتخمة بالحكايات التحذيرية. وهذا ما يبرر وجود رواية هوغ توماس الكلاسيكية «الحرب الأهلية الإسبانية» في قائمة الكتب التي قرأها خلال هذا العام الرئاسي. وإذا ما كان هتلر وموسوليني قد توقفا في إسبانيا، كان سيتم تفادي قدر كبير من ألم الشقاء الحادث حينها. ولتستعضْ عن العراق بإسبانيا، وسيكون لديك، بالنسبة للرئيس، بعض الوقت للقراءة المطمئنة قبل النوم.

ومن المتأخر للغاية بالنسبة لروف (ومن المنطقي لبوش أيضاً) أن يؤكد المزايا والحقيقة الفكرية للرئيس، إلا أن الكتب ذاتها تكشف، بل تؤكد، شيئاً عن بوش، من المحتمل ألا يكون روف قد قصد الكشف عنه، فهي ليست قراءة لرجل شغوف بالقراءة إلى حد كبير، بل إن تلك الكتب لدى رجل يسعى، ويرى، التبرير والمبرر في كل صفحة يطويها. ولطالما كان بوش أسيراً للأفكار الثابتة، وبالفعل دعمت كتبه هذه الفكرة. وتعد القائمة التي قدمها كبيرة فعلياً، لكنها ضيقة الأفق، فهي تفتقر إلى قدر كبير يوضح كيف ولم كانت حرب العراق خطأً، وهي الحرب التي تحولت إلى كارثة. ويغيب عن تلك القائمة أيضاً «الحياة الإمبراطورية بمدينة الزمرد» لراجيف تشاندراسكاران، و«الإخفاق» لتوم رايكس، و«بوابة السفاحين» لجورج باكر، و«الجانب المظلم» لجان ماير، ويدور هذا الكتاب عن سياق متصل

للموضوع، إذ يتناول قضية «عمليات التسليم الاستثنائية» للمعتقلين لدول أخرى، والجمل المتكررة كثيراً عن الدستور. ويغيب عن القائمة أيضاً كتاب «المخادع» لبارتون غيلمان، ويتناول هذا الكتاب رئيس عمليات التعذيب عبر الإيحاء بالغرق، ديك تشيني.

لقد قرأ بوش كتاب «الشتاء قارس البرودة» لديفيد هالبرستام، ويدور عن الحرب الكورية، ومع ذلك لم تتضمن قائمته «الأفضل والأكثر إشراقاً» لذات المؤلف، ويدور هذا الكتاب عن الحرب الفيتنامية. لقد قرأ بوش بعض الروايات أيضاً، ولكن تلك الروايات معدة للأفلام في غالبيتها، وهي ذات حبكة روائية، وليست مكتوبة، كما أنها تفتقر إلى جمال السخرية. وفي هذا الصدد أرشح له «ليوبارد»، أو النمر، للكاتب غيوسيب دي لامبيدوسا، فهي رواية رائعة. إنني أرفع القبعة تحية لهذا الحجم الضخم من قراءاته، والتي تتسم أيضاً بالذوق والجودة الراقية، إلا أن كتبه تنم عن رجل يسعى لمعرفة ما يعرفه فعلياً. لقد ماتت صورة بوش غير المعروفة اليوم، أو من الممكن في الأمس؟ إلا أن حقيقة الرجل المعزول فكرياً ستبقى.

المجنون الذي أرعب العرب والعالم

د. محمد أحمد النابلسي

لا يقدم لنا كتاب الصحافي الفرنسي جان كلود موريس "لو كررت ذلك على مسامعي فلن أصدقه" جديداً سوى شهادة موثقة من الرئيس شيراك تؤكد ما نشرناه سابقاً حول شخصية بوش المضطربة. ولم تكن لدينا أية أسباب للتحفظ في مناقشة اضطرابات بوش النفسية، لأن رؤساء أميركيين عديدين كانوا قد عانوا من اضطرابات نفسية، بل إن رئيساً منهم كان يعاني اضطراباً مطابقاً في مظاهره وعلائمه المرضية مع مرض جورج ووكر بوش، مع فارق إصابته بمرض في الجهاز العصبي، وليس بسبب إدمان الكحول والمخدرات.

الرئيس المعني هو الرئيس وودرو ولسون، الذي ذكرتنا به تصرفات بوش منذ أشهره الرئاسية الأولى، فعمدنا لترجمة تحليل قام به سيغموند فرويد لشخصية ولسون، ونشرناه بالعربية بعنوان "التحليل النفسي للرئيس ولسون" انظر الرابط:

http://mostakbaliat.com/link65.html

وفي سياق التحليل، كتب فرويد أن لويد جورج، وكليمنصو، كانا يسخران من ولسون بعبارة "صاحبنا يظن نفسه المسيح، ويريدنا أن نتصرف وفق مسيحانيته"، وكان ذلك هزءاً بما عرف بمبادئ ولسون الأربعة عشر.

وتتيح قراءة تحليل فرويد لولسون ملاحظة نقاط اختلاف عديدة بينه وبين بوش رغم اشتراكهما في مظاهر المرض. وهذه الفروقات هي التالية:

1 ـ إن ولسون كان رئيساً لدولة هامشية، إذ كانت الإمبراطوريات الأوروبية في أوجها، ولم يكن للولايات المتحدة سوى دور ثانوي. على عكس بوش الذي حكم أميركا، وهي قطب عالمي أوحد.

2 ـ عوضاً عن سخرية المسؤولين الأوروبيين من ولسون، لك أن تتذكر مشهد بوش في قمة جزر الآزور البرتغالية في 2003/3/16، التي جمعته مع الزعماء خوسيه أزنار الإسباني، وتوني بلير البريطاني، ورئيس وزراء البرتغال، والتي اعتبرت الإنذار الأخير للمجتمع الدولي قبل شن الحرب على العراق. وفي حينه، أشارت إيماءات وتعابير بوش بوجه مغتصب جنسي (راجع فيديو المؤتمر الصحفي الختامي).

3 ـ بدل غياب الرئيس الأميركي (ولسون) عن مجلس العشرة عاجزاً عن فرض وجهة نظره في العام 1919 قبع الرئيس الفرنسي (شيراك) في باريس ممتنعاً عن المشاركة في قمة الآزور، لعجزه عن منع الحرب على العراق، فيما فرض بوش رأيه على الناتو والعالم.

4 ـ إن اضطراب ولسون العقلي كان بسبب معاناته لمرض في جهازه العصبي اشتد عليه في الفترة الأخيرة من رئاسته، وأعاقه عن القيام بمهامه. أما سبب اضطراب بوش العقلي فهو ناجم عن عطل عصبي سببه تعاطي الكحول والمخدرات، وهو عطل عانى منه هتلر أواخر أيامه لتعاطيه المخدر نفسه (الكوكايين)، وإن كانت مساوئ هذا المخدر مجهولة أيام هتلر.

أما عن نقاط الشبه بين بوش وولسون فهي لا تحصى، حيث نجد تطابقاً غير عادي بين ملامح الشخصيتين. وخصوصاً لجهة ثنائية العلاقة بالأب المحبوب والمكروه في آن معاً. لكن السمة الجامعة بين الرجلين هي ذلك الشعور الغامض والملتبس بالنبوة والنبوءة. فحين سئل ولسون عن الشبان الأميركيين الذين قضوا في فرنسا (أثناء الحرب العالمية الأولى) أجاب إنهم صليبيون قضوا في خدمة المسيحية، وليس لخدمة مصالح أميركية. لقد كان هؤلاء طليعة حرب صليبية جديدة. وقابل بوش هذا الموقف باعتبار حروبه حروباً صليبية.

كما اشترك الاثنان في انقطاع صلتهما بالواقع، وهجران الحقيقة، إلى رغباتهما اللاواعية. وأيضاً اعتقادهما بأن الكلمات تستطيع تغيير الوقائع.

وقبل التطرق لمقالاتنا المتعلقة بهذيان بوش ومرضه النفسي نذكّر بمقالة نشرناها في صحيفة الأنوار اللبنانية العام 1998 بعنوان "التحليل النفسي للرؤساء الأميركيين.. مجانين

حكموا أميركا والعالم" المنشور انظر الرابط:

http://mostakbaliat.com/presidents.html

وبالعودة إلى الإمراضية العقلية الهذيانية التي يعاني منها بوش، والتي وثقتها شهادة الرئيس شيراك، الذي نقل عنه جان كلود موريس في كتابه "أخطر أسرار المحادثات الهاتفية بين الرئيس بوش الابن والرئيس شيراك"، والتي كان يجريها الأول لإقناع الثاني بالمشاركة في الحرب التي شنها على العراق عام 2003، حيث يكشف شيراك في حديث مسجل له مع مؤلف الكتاب عن صفحات جديدة من أسرار الغزو الأميركي، قائلاً: تلقيت من الرئيس بوش مكالمة هاتفية في مطلع عام 2003، فوجئت فيها بالرئيس بوش وهو يطلب مني الموافقة على ضم الجيش الفرنسي للقوات المتحالفة ضد العراق، مبرراً ذلك بتدمير آخر أوكار "يأجوج ومأجوج"، مدعياً أنهما مختبئان الآن في الشرق الأوسط، قرب مدينة بابل القديمة، وأصر على الاشتراك معه في حملته الحربية، التي وصفها بالحملة الإيمانية المباركة، ومؤازرته في تنفيذ هذا الواجب الإلهي المقدس، الذي أكدت عليه نبوءات التوراة والإنجيل. ويتابع شيراك: هذه ليست مزحة، فقد كنت متحيراً جداً، بعد أن صعقتني هذه الخزعبلات والخرافات السخيفة، التي يؤمن بها رئيس أعظم دولة في العالم، وكنا قد تابعنا العلائم النفسية المرضية في سلوك بوش منذ حادثة نسيانه الميكروفون مفتوحاً وتوجيه سباب سوقي لمراسل الواشنطن بوست لأنه أحرجه بسؤال. ونردّ القارئ إلى دراستنا المعنونة: التحليل النفسي لجورج ووكر بوش: المركز العربي للدراسات المستقبلية الرابط:

http://www.mostakbaliat.com/?p=2231

تشخيص الطب النفسي لحالة ووكر بوش

تفرد تصنيفات الطب النفسي خانة لتشخيص نوع خاص من فصام الشخصية (الشيزوفرانيا) يدعى بالفصام المذخر (الفلوريد)، وفيه يتقمص المريض شخصية أحد المشاهير، ويعرّف نفسه بأنه نابليون، أو شكسبير، أو غير ذلك من المشاهير. وتقول الأدبيات إن هذا المرض تراجع انتشاره لما يقدمه العالم المعاصر من إمكانيات تعويضية لهؤلاء المرضى.

إلا أن نوعاً من هذا الفصام بقي منتشراً نسبياً، وهو عرف بداية بهذيان الموسوية لانتشاره في أوساط اليهود، حيث يعتقد المريض أنه المسيح اليهودي المنتظر.

ومعاناة بوش من هذا المرض متطابقة لمعاناة سابقه ولسون منه، كما أشرنا أعلاه.

المجنون المرعب

لقد عنون بوش جنونه بعناوين مرعبة، إذ أعلن بداية عن حرب صليبية، ولما وصل إلى العراق أعلنها "حرب الصدمة والترويع". والجرائم التي ارتكبها في العراق، وعدد القتلى العراقيين والأميركيين الذين أوقعهم، مازالت أعدادهم من الأسرار العسكرية الأميركية. وهكذا حققت الحرب عنوانها، فأصابت كامل العالم العربي بالصدمة والترويع.

وإمعاناً في الترويع والإرهاب لشعوب المنطقة، راح بوش يهدد باحتلال باقي الدول العربية، وتقسيم السعودية، فراحت شعوب المنطقة تتخيل عواصمها نسخة عن بغداد المدمرة.

أما بالنسبة للسلطات العربية (السلطة بديل الأب في اللاوعي، سيئاً كان أم جيداً) فإنها لا تستطيع مواجهة القوة الأميركية وحماية شعوبها، فراحت تسترضي الأميركيين، مما أفقدها هيبة "الأب الحامي"، ليتضاعف الرعب الشعبي العربي، ويصل إلى ما وصل إليه اليوم، حيث تحول قسم من المرعوبين إلى انتحاريين، فيما تحول المرعوبون العاجزون إلى عرض عبوديتهم على السيد الأميركي، ومعها تقديمهم العون له ضد أعداء أميركا، أو حتى مخالفيها في المنطقة، من دول وأحزاب وحتى أفراد.

ولتعميق الرعب لجأ المجنون الأميركي إلى أساليب التعذيب والإذلال الأميركية، لتجعل كل فرد يرتعب من احتمال تعرضه لإذلال مماثل، وبالتالي أن يتحول إلى الخضوع للأميركي المجنون، ونسيان كل ما يحمله من ذكريات تتعلق بالقيم القومية والوطنية والدينية والأخلاقية، وغيرها. وكان الإذلال في سجن أبو غريب أول كشف لحالات التعذيب التي اعترف الرئيس المجنون في مذكراته الصادرة حديثاً بأنه سمح بممارستها. للتعمق انظر مقابلتنا مع قناة الجزيرة بخصوص التعذيب في أبو غريب:

http://www.aljazeera.net/channel/archive/archive?ArchiveId=92915

المسألة اليوم هي أن الرئيس المجنون أحيل إلى الهمود، فتحرك بمذكراته، لكنه خارج التأثير، ومع ذلك فإن الرعب لايزال بصدمته وترويعه يجتاحان الوطن العربي، والأهم أن خدم المجنون من العرب باتوا يكرهون أنفسهم وعروبتهم، لدرجة أنهم باتوا يستعذبون ديموقراطية المجنون الدموية.

الابـن الضـال PRODIGAL SON REVISOTED

د. جيمـي بشـاي

مدير مستشفى المحاربين القدماء - الولايات المتحدة

من الذي رمى بالشوك في مضجعي، فنبت مكلوم الحشا موجعا؟

هذا البيت للشاعر علي الجازم في قصيدته عشية قيام الحرب العالمية.

من هذا المجنون الذي يريد تغيير خارطة المنطقة وثوابت ثقافاتها بقوة التدخل العسكري الذي يتحدى الشرعية الدولية؟ إن أكثر المعلقين السياسيين في الولايات المتحدة يصفون الرئيس بوش الابن بأنه القائد الأوحد الذي بز والده في السعي نحو تحرير البشرية والعالم العربي، وعلى وجه أخص من الإرهاب الذي شنته القاعدة، ومن صدام حسين الذي يهدد العالم بأسلحة الدمار الشامل. وكمواطن أميركي من أصل عربي، أشعر بأن الوضع بحاجة إلى تفكيك لشخصية هذا المجنون، وهل هو الابن الضال كما ورد في الكتاب للقدس في سفر لوقا 15 . 11، وذلك لأن هذه القصة كان لها تفسير خاص في عقلية اليمين المسيحي الذي اعتنقه الرئيس بوش بعد فترة ضلال وسكر وعربدة في شبابه الجامعي، ولكنه تاب وحدث له غسيل مخ قد يؤدي لعقدة الابن الضال.

سياسة جورج ووكر بوش:

إن الرئيس بوش وقد فاز بالانتخاب "عفواً" أصبح من أشد مناصري ضعاف النفس، وشاركهم بالتعتيم على الأهداف الحقيقية للحرب. ولتسويقها عبر الحرب النفسية، أو الدعاية لها، كما ورد في مقال الدكتور محمد حمدي الحجار سيكولوجية الحرب النفسية الأميركية.

باستطاعة أساليب الدعاية الشاملة MASS MEDIA إرهاب الشعب الأميركي، وتبرير الحرب ضد صدام الذي صورته الدعاية على أنه يخطط لقتل الأميركيين، بالتعاون مع تنظيم القاعدة. وأقنعته بأنه هيئة الأمم المتحدة عاجزة عن حل هذه المشكلة، ويحاول جورج بوش أن يكون هو المخلص الذي يحل كل مشاكل كل العالم.

ثم طالعت مقال الدكتور عبد الستار إبراهيم: بكاء أفهمه.... وبكاء لا أفهمه: عندما بكى الكبيسي وعندما بكى بوش"، حيث يقدم دراسة شاملة لكلمات ما نعرفه عن زعماء مثل مارتن لوثركنج "أرى الغد وأملك الحلم"، وشارل ديجول "أنا فرنسا وفرنسا أنا". وعبد

الناصر "كتب علينا القتال، ولم يكتب علينا الاستسلام"، وكلمات قيلت في الوقت المناسب، ومن الشخص المناسب، وفي المكان المناسب.

والدكتور عبد الستار يشير بذلك إلى وحدة الزمن المعاش التي يلزم أن يتعامل به في الدراسات النفسية لتفكيك النص، والبكاء أيضاً هو نص يمكن تفكيكه، والتفكيك في المفهوم ما بعد الحداثي هو التحليل النفسي.

والعلاقة بين انخداع النفس وديمومة العلائم المرضية، سواء كانت هستيريا، أو صدمة نفسية PTSD، بحاجة للتفكك بدون الاعتماد على نظرية مسبقة، أي أن التفكيك لا يقتصر على تحليل جنسي لعقدة الأب Oedipn's Complex مثلاً، كما فعل فرويد في تحليله شخصية الرئيس الأميركي Wilson ولسون، الذي عربه الدكتور محمد النابلسي ونشره مركز الدراسات النفسية تحت عنوان: "التحليل النفسي للرئيس الأميريكي وودرو ولسون". ووجدت نفسي بحاجة لمراجعة كتاب النابلسي عن تحليل "الحرب النفسية في العراق"، ووجدت أوجه شبه واضحة بين تحدي ولسون لعصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى وتحدي بوش الابن لهيئة الأمم المتحدة حالياً. وربما استطاع كليمنصو الفرنسي أن يكشف القناع عن العقد النفسية في شخصية ولسون، في حين لم يستطع شيراك أن يصمد أمام التهديدات الاقتصادية الأميركية، وحاول أن يجامل بوش، وأن يعترف بالأمر الواقع بانهيار الحكم الشرعي للعراق.

يقول الدكتور عبد الستار أن بوش بكى عندما رحب بالجنود الصغار الذين عادوا بعد تحقيق النصر، وأنه احتار في تفسير السبب في هذا البكاء، ثم يتساءل هل هي نشوة النصر، أم يقظة الضمير، والإحساس بالمأساة التاريخية التي ارتكبها في حق المسيرة الحضارية الإنسانية التي هزت ضمير العالم؟ أنا أنظر لهذا البكاء، سواء أكان بكاء حقيقياً، أم ملفقاً، على أنه نص بحاجة لتفكيك بدون مسبقات نظرية، سواء أكانت هذه المسبقات دينية، أو نظرية، على أسلوب التحليل النفسي. ولكن وبالاستعانة بالأساطير والقصص الديني يمكن مراجعة كل ما أوردته شبكة الإنترنت عن قصة الابن الضال"، وهي تتعدى المئة راجعت عشرة منها، ولعل أهمها بحث أوردته شبكة التحليل النفسي عبر مقال في 14 صفحة بعنوان Oedipus the prodigals عدد أبريل 28 (2) 213 ـ 227 بقلم كاتبين هما PAROEKIS & HASEGELLL. وقبل الموازنة بين صدمة بوش بعد حرب العراق وصدمته الأولى بتهديد والده بحرمانه من الميراث إذا لم يكف عن شرب الخمر، يحسن إيجاز القصة في سطور قليلة:

"إنسان كان له ابنان، الأول أنفق نصيبه من الميراث في العبث مع الزواني "حتى جاع وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله فلم يعطه أحد ما يسد جوعه من الخرنوب. فرجع إلى نفسه وقال أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي: "أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً". ورحب به الأب ترحيباً واسعاً، واغتاظ من الابن الأصغر الذي كان يعمل في حقل أبيه، ولم يغادره أبداً، وقال لأبيه" ها أنا أخدمك منذ سنين هذا عددها، وقط لم أتجاوز وصيتك، وجدياً لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي. ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني، وذبحت له العجل المسمن، فقال له: يا بني أنت معي في كل حين، وكل ما هو لي فهو لك، ولكن ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد.

وهنالك تفسيرات كثيرة لهذه القصة، والتفسير الغالب في اليمين المسيحي أنها تمثل محبة الأب، وأن رحمة الله تتسع للخاطئ إذا تاب، وهو تفسير معقول في نطاق اللاهوت المسيحي، الذي يقول هكذا أحب الله العالم حتى أرسل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من آمن بالأب.

ولكن التحليل النفسي الجديد وفق أسلوب لاكان (Lacan.J) مثلاً يدخل في صميم فقه الله، ويفكك مفهوم الأب ولغته. ومفهوم الموت (كان ميتاً فعاش، مفهوم مسيحي للقيامة). ومفهوم العلاقة بين لغة الأب، العالم العليم مسبقاً، ولغة الإبن الذي كان ضالاً فوجد. وهذه العلاقة أشبه بعلاقة الأب القديمة بالابن الأكبر في الدراسات الأنثروبولوجية التي أبرزها فرويد في عرضه لمفهوم عقدة أوديب.

خطر على بالي هذا الخاطر أثناء مشاهدة عناق وتماسك الأيدي Holding hands بين الوالد بوش وبوش الابن أثناء حفل تأبين ضحايا 11/9 في كاتدرائية واشنطون. كان بوش الابن أقل المتحدثين إقناعاً وطلاقة في لسانه. واعتاد الأميركيون التغاضي عن تعثره وأخطائه اللغوية. ولكن هذه العثرات اللغوية التي تميز بها جورج بوش الابن أضفت عليه سمة الرئيس الملهم، بخلاف والده الذي كان لا يتعثر في كلامه، ولكن الأميركيين رفضوه وأسقطوه في الانتخابات عام 1992، واختاروا بأغلبية ساحقة كلينتون صاحب اللسان المعسول. ولم يشأ بوش الأب أن يعلق كثيراً على علاقته بابنه، ولكنه أشار إليه مرة كابن أو OUR BOY كما أنه كان يثور في كل مرة يعلق فيها النقاد على لباقة كلينتون في الكلام ومقارنته برطانة بوش المعيبة في الخطاب. وهدد كلينتون في إحدى المرات بأنه إذا انتقد ابنه مرة أخرى فإنه أيضاً سوف يفضحه في علاقته بمونيكا، هناك إذاً اعتراف ضمني لم يصرح به بوش، وهو اعتراف الأب بأن الابن GW جورج ووكر لايزال شابا فجاً لا يعرف الكلام. وأن الأب،

لأنه هو GHW جورج هربرت ووكر، وليس جورج ووكر، وراء ابنه. ولكن هيهات أن يصل سليط اللسان كلينتون، ابن الممرضة، إلى مستوى جورج هربرت سليل آل بوش الكرام BRAHMIN، أو البراهمة. والصراع للسيطرة واضح من هذا السياق، حيث قصة الابن الضال قابلة للتفسير من وجهة النظر التالية بالنسبة للابن، بمعنى أن الهداية ممكنة إذا اعترف بالخطأ، وأن رحمة الأب تتسع للمذنب متى اعترف بالذنب.

أما من جهة الأب، فإنها تؤكد هيمنة الأب على الابن، وإذا كانت هذه السيطرة قد تزعزعت بسبب ثورة الابن على أبيه وتبديده ثروته، فإنها ثورة لعاجز عن الاستقلال عن أبيه، وبالتالي فهي تزعزع الشعور بالثقة بالنفس، وتعمق مشاعر الذنب ويصبح البكاء الطبيعة لكل سلوك، سواء كان النصر أو الهزيمة، والواقع حالياً يشير إلى صدمة كثيرة الشبه بصدمة فيتنام، لأن العراق لم يرحب بمقدم القوات الأميركية ووقع بوش الابن تحت وطأة حرب استنزاف تهدد ثقة الشعب الأميركي بالرئيس الملهم.

ولعل بوش الابن الآن يراجع نفسه، ويقول ما قاله الابن الضال: أخطأت إلى السماء وقدامك، ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابنا... ذلك أن بوش الأب صرح عن طريق مدير مكتبه سكوكروفت بأن شن الحرب على العراق ستثير مشاكل معقدة لا ناقة للأميركان فيها ولا جمل. كما أورد الكلام نفسه وزير خارجية الأب جيمس بيكر. لكن بوش الابن لم يتقبل نصيحة أبيه بوعي كامل، ولعل بكاءه هو بمثابة التعبير عن قصوره في بعد النظر، أو الحنكة السياسية التي يتمتع بها الأب.

إلا أن عقدة مستمدة من الأسطورة الإغريقية المعروفة (أوديب) لابد وأن تكون لها أوجه اختلاف كثيرة مع الأسطورة الواردة في لوقا 15، والتي تغلب عليها السمة العبرانية لعلاقة الأب بالإبن، دون أي ذكر للأم، أو الزوجة. كما هو الحال في عقدة أوديب، حيث تصبح الأم زوجة لأوديب، وهذا مصدر العقدة، بينما نجد في الإبن الضال عودة الوعي بسيطرة الأب، وعجز الابن عن أن يشب عن طوقه، ويحتل مكان أبيه كما هو الحال في الأسطورة الإغريقية.

ولعل أكثر ما يميز اليمين المسيحي عن المذاهب المسيحية الأخرى تعلقه بالنص العبراني، وبالأسطورة اليهودية، التي ترى أنها الأصل، وأن المسيحية دين الابن، أو الفرع العاجز عن التحرر من سيطرة دين الأب. وكان فرويد قد أوضح هذه العلاقة في كتابه "موسى والتوحيد"، وكيف أنها تقسم إلى حد ما بوجود عقدة أوديب بصور متنوعة في الأديان المختلفة.

هذا تمهيد لدراسة أكثر تعمقاً في العلاقة بين عقدة أوديب وعقدة الابن الضال، والتفكيك الأب وسيرة حياة بوش الابن إلى جانب التحليل اللغوي لخطاب كل منهما، وأعتقد

أنها تصلح مادة لأطروحة دكتوراه، إلى جانب كونها قد تفيد في المحادثات الدبلوماسية الجارية حالياً في ديترويت بين العرب والأميركان.

◆ قصة الابن الضال كما وردت في الكتاب المقدس،
ترجمة الآباء اليسوعيين لوقا 15 . 11.

إنسان كان له ابنان: فقال أصغرهما لأبيه يا أبي أعطني القسم الذي يصيبني من المال، فقسمه لهما بمعيته، وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شيء وسافر إلى كورة بعيدة، وهناك بذر ماله بعيش مسرف. فلما أنفق كل شيء حدث جوع شديد في تلك الكورة ابنه يحتاج فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب التي كان الخنازير تأكله فلم يعطه أحد.

فرجع إلى نفسه وقال كم من أخير لأبي يفضل عن الخبز وأنا أهلك جوعاً، أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً. اجعلني كأحد أجراك فقام وجاء إلى أبيه وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه ينتحي وركض ووقع على عنقه وقبله، فقال له الابن يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً فقال الأب لعبيده أخرجوا أكله الأولى، والبسوه واجعلوه خاتماً في يده وحذاء في رجليه وقدموا العجل المسمن واذبحوا فنأكل ونفرح لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد.

فابتدأوا يفرحون وكان ابنه الأكبر في الحقل، فلما جاء وقرب من البيت سمع صوت الآلات الطرب ورقصاً فدعا واحداً من الغلمان وسأله ما عسى أن يكون هذا، فقال له أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله، سالماً، غضب ولم يرد أن يدخل فخرج أبوه يطلبه إليه فأجاب، وقال لأبيه ها أنا أحترمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك وجرياً لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي، ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل بمعيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن، فقال له يا بني أنت معي في كل حين، وكل ما هو لي فهو لك، ولكن كان ينبغي أن نفرح ونسر، لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد.

الثقافة النفسية المتخصصة

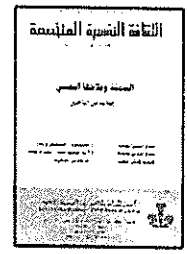

WWW.psyinterdisc.com

Psychologie Interdisciplinaire — Interdisciplinary Psychology

الطب النفسي | السيكوسوماتيك | العلاج النفسي | تحليل نفسي | ادوية نفسية | الكوارث | علم النفس

السمنة وعلاجها النفسي

د. محمد احمد النابلسي

العدد الثالث والخمسون / يناير السعر : دولارات

يناقش العدد موضوع السمنة والبدانة بوصفها شكل من اشكال إدمان الأكل. عارضا لمختلف النظريات الطبية المفسرة للسمنة والطارحة لأسبابها. ودون إهمال لإقتراحات علاج السمنة الدوائية وحتى الجراحية فإن الملف يعرض للعلاجات النفسية المقترحة للسمنة. حيث يصنفها المؤلف ومعها إضطرابات الأكل عامة في إطار الإضطرابات السيكوسوماتية. للمزيد

المعلوماتية والعلوم النفسية

د.جمال التركي

العدد الثاني والخمسون/ أوكتوبر السعر دولارات

يناقش العدد موضوع استخدام المعلوماتية في مجال العلوم النفسية في البلاد العربية. حيث اللغة المشتركة تؤمن تضافر الجهود المعلوماتية في هذه البلاد. ويشرف على الملف الزميل التركي صاحب السبق في هذا المجال. للمزيد

إقرأ في العدد القادم

سيكوفيزيولوجية الألم

دراسة نفسية عصبية يشارك فيها ثلاثة من الباحثين الألمان المعروفين. ترجمها للمجلة الزميل سامر رضوان. كما يضم العدد مقابلة مع العالم فاخر عاقل وهو من رواد الاختصاص في المشرق العربي ...

سيكولوجية أطفال الإنتفاضة

جماعة من الباحثين

العدد الخمسون / أبريل السعر : دولارات

يتضمن البحوث التالية: خصوصية الضغوط الناجمة عن الانتفاضة. قراءة في سيكولوجية طفل الانتفاضة. تصور خطة لعلاج الأطفال الفلسطينيين. ومتابعات الانتفاضة. للمزيد

أزمات المراهقة

أ.د. أنور الجرابة

العدد الثامن والاربعون / اوكتوبر السعر دولارات

يحتوي الملف على البحوث والمقالات التالية: المراهق والسلطة. سلوكيات المراهق. المراهق والصحة النفسية. المراهق والتثبيت الاسري. والمراهق والامتحانات. للمزيد

شروط النشر
الهيئة الإستشارية
مؤتمرات المجلة
ملفات المجة
دليل الموقع

الصفحة التالية

إصدارات
مركز الدراسات النفسية

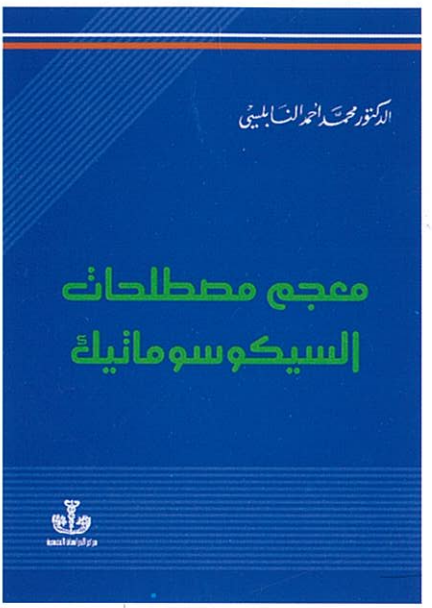

«إن الخطأ الكبير لأطباء عصرنا هو أنهم يفصلون النفس عن الجسد لدى تصديهم لعلاج الجسم البشري. فطبيعة الجسد لا يمكن أن تكون مفهومة ما لم ننظر للإنسان ككل» ويتوالى الاهتمام بهذه الخلفية على امتداد التراث الإنسان حيث توقف عندها ابن سينا ليفرد لها فصلاً خاصاً في قانونه وذلك وصولاً إلى العصر الحديث إذ بدأ الأطباء منذ القرن التاسع عشر بإعادة النظر في موقفهم من العلاقة بين النفس والجسد وبالتالي من هذه الخلفية. ولقد كان الطبيب فان دوش Van Dush أول من تخطى الثنائية الديكارتية (التي تفصل بين النفس والجسد) ليعلن عن نمط نفسي خاص بمرضى القلب في العام 1868 حيث وصفهم بأنهم يتكلمون بصوت عال وبأنهم يخوضون الصراعات المتركزة حول تدعيم سحرهم وسطوتهم. وكان هاينروث Heinroth قد أطلق مصطلح «سيكوسوماتيك» في العام 1818. لكن الاستخدام الدقيق للمصطلح تأخر لغاية العام 1922 على يد دوتش F.Deutch. وقد كان لظهور التنويم المغناطيسي. وقدرته على شفاء العديد من الحالات المرضية الجسدية، دور هام في إقناع الأطباء بالعلاقة بين النفس والجسد.

Sous la direction de
Hossaïn BENDAHMAN

DU PULSIONNEL AU CULTUREL

Sous la direction de
Hossaïn BENDAHMAN

DU PULSIONNEL AU CULTUREL

L'Harmattan

DU PULSIONNEL AU CULTUREL

Si nous parlons de la pulsion articulée aux cultures conformément au titre de cet ouvrage, il s'agit bien de la pulsion de vie et non d'une oblitération de la pulsion de mort. Bien avant d'être l'otage d'un surmoi socioculturel, la pulsion de vie nous donne la sensation et la représentation d'être vivant dans un corps, limité à ce qu'il exprime de son énergie intime, de ses besoins et de son organisation naturelle, bio-psychique.
Chaque culture a ses phases de croissances, de maturité, de bien-fondé mais aussi d'ombres, de turbulences, de passage à vide et de déclin. Les crises sont toujours des crises d'identité prises au piège de la dualité mais elles nous font évoluer et font évoluer notre relation à l'autre.
Les approches rassemblées ici témoignent dans leur différence d'une unité : celle de cerner les effets des mutations culturelles, notamment dans l'exil. Elles sensibilisent à l'émergence de dimensions nouvelles et plus complexes de l'altérité. Ces approches peuvent être une réponse à l'attente pratique de formation des acteurs sociaux, un moyen d'approcher les référents culturels des publics d'origine étrangère souvent en souffrance qu'ils sont amenés à côtoyer ou à prendre en charge. Les contributions réunies dans cet ouvrage sont le témoin du désir de la découverte de la culture de l'autre et de l'effort de réduire les dérives discriminantes quelle que soit la culture de l'autre ou son étrangeté.
Le présent ouvrage ne prétend pas traiter l'ensemble de la question. Celle-ci est d'une complexité telle qu'aucune étude ne pourrait être exhaustive.

Hossaïn BENDAHMAN, Docteur d'Etat en Psychologie Clinique et Psychopathologie, Psychanalyste. Maître de Conférences HDR en psychologie, Directeur de « l'Equipe de Recherche Pluridisciplinaire en Psychologie Interculturelle : Discours et Modes de Pensées » à l'I.U.T. de Troyes (Université de Reims). Directeur de recherches, équipe « Psychanalyse, Psychopathologie et Psychologie Clinique » de l'URP/SCLS (EA 3071), Université Louis Pasteur, Strasbourg I, dir. Professeur Serge Lesourd.
Auteur de *Personnalité maghrébine* et fonction paternelle au Maghreb : *Œdipe maghrébin* (1984) et *Travail culturel de la pulsion et rapport à l'altérité* (2000) et de nombreux articles et conférences.

ISBN : 978-2-296-06427-0
20 €